

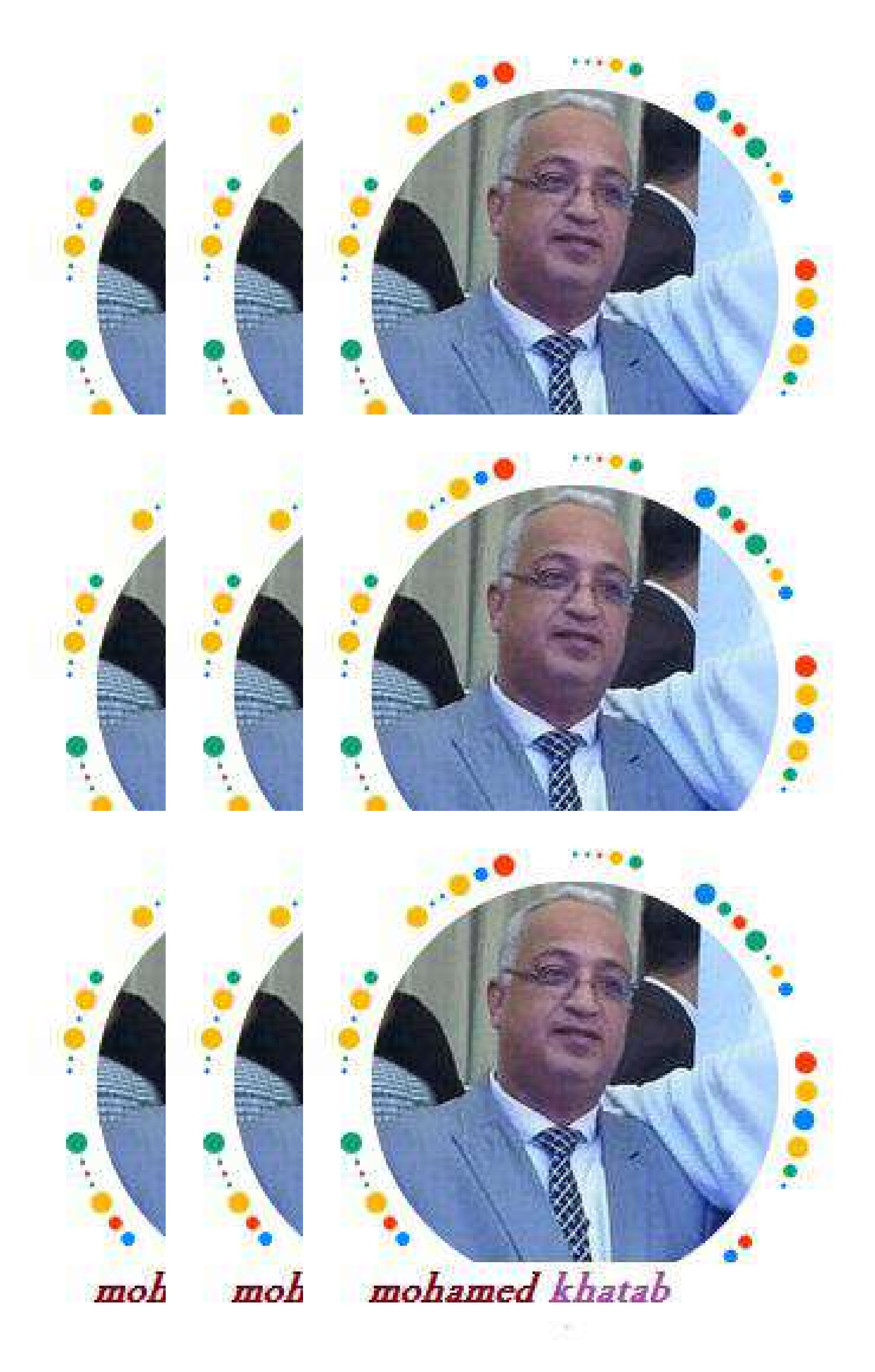
5
L.Frank Baum
The Road To
OZ
ل. فرانك باوم
الطريق
إلى
أوز
مكتبة
الطفل
telegram
@book4kid
أهم ملحمة خيالية في تاريخ أمريكا وبيعت أكثر من ٣ مليون نسخة
تحولت لعشرات الأفلام والمسرحيات
ترجمة
طه عبد المنعم
المحروسة
5

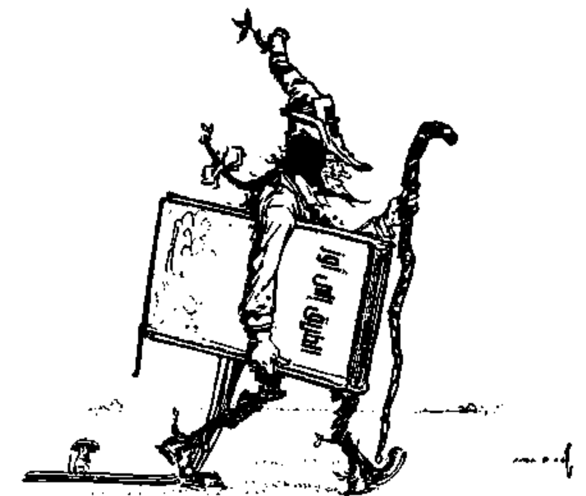
الطريق إلى أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم


mohamed khatab



الطريق إلى أوز

ل. فرانك باوم

رسوم: چون أر. نيل

ترجمة: طه عبد المنعم

الطبعة الأولى 2020





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

باوم، ليمان فرانك، 1856 - 1919

الطريق إلى أوز/ ل. فرانك باوم؛ رسوم چون أر. نيل؛ ترجمة طه عبد المنعم.-

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2020.

263 ص؛ 14.5×21.5سم

تدمك 1-814-313-977-978

1 - القصص الامريكية

أ- نيل، چون أر.، (رسام)

ب - عبد المنعم، طه (مترجم)

ج - العنوان

823

رقم الإيداع 16891/ 2020

اهداء المترجم

إلى فيروز

بنت رحمة عبد المنعم ومحمد عفيفي

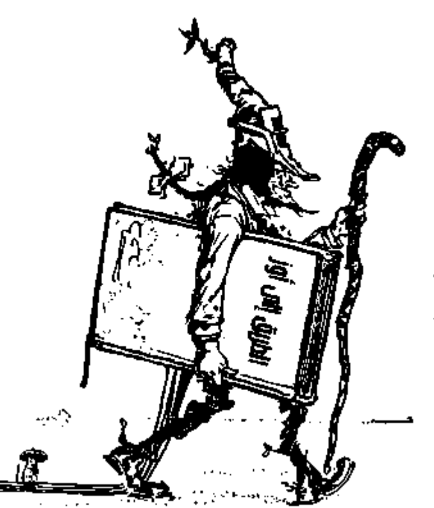

L'istesso tempo

اهداء المؤلف

چوسلين ستانتون باوم[1]

(1) حفيد المؤلف من ابنه الأكبر فرانك چوسلين باوم.
الابن الأكبر للمؤلف، هو الرئيس الأول لنادي أوز الدولي، رغم أنه لم يؤسسه، وهو مستمر حتى وقتنا الحالي، ولكنه كاتب سيرة والده التي لم توافق عائلة باوم على نشر بعض تفاصيلها، ونُشرت بعنوان To Please a Child، كما أنه أنتج عددًا من الأفلام الصامتة عن أوز بعد وفاة والده، لأنه كان يرغب في استكمال عالم أوز.

المحتويات





إلى قرّائي..

هــذا يــا أعــزائي مــا طلبتمــوه؛ كتــاب آخــر عــن أوز. مغامــرة غريبــة لــدورثي، يظهــر فيهــا كلبهــا دودو كمــا أردتــم، إلى جانــب شــخصيات أخــرى ستكتشــفونها في هــذه الروايــة. إنــي بالطبــع أهتــم برغبــات القــراء الأطفــال الذيــن يراســلونني، لكــن إن لــم تجــدوا مــا أردتــم بالضبــط في هــذه القصــة، فاعلمــوا أن القصــة يجــب أن تكــون "حكايــة" قبــل أن تُكتــب، وإن حــاول المؤلــف أن يغــيّر فيهــا فســوف يُفسِــدها رغمًــا عنــه.

في مقدمــة روايــة "دورثي والســاحر في أوز"، قلــت إنــني أرغــب في كتابــة قصــص أخــرى ليســت عــن عالــم أوز، لأني أكــثرت مــن الكتابــة عــن أوز، ولكــن بعــد صــدور الروايــة الســابقة، تلقيــت رســائل كثــيرة مــن أطفــال يحثونــني عــلى كتابــة المزيــد عــن دورثي، والمزيــد عــن أوز. وبمــا أني أكتــب لأمتــع الأطفــال، فســأحترم رغباتهــم.

ســتجدون هنــا شــخصيات جديــدة، ســتنال إعجابكــم بالتأكيــد. أنــا شــخصيًا مغــرم بشــخصية[1] shaggy man المتــشرد، وأظــن أنكــم ســتحبونها

(1) Shaggy معناهــا الأشــعث، وهــو بالفعــل أشــعث غزيــر الشــعر، ويظــل محتفظًــا بمظهــره وشــعره حتــى بعدمــا تهديــه أوزمــا ملابــس جديــدة، لكــن الصفــة الغالبــة عليــه هــي التــشرد، فهــو لا يحــب أن يمكــث في مــكان واحــد، ويظــل يجــول كالمتــشرد، ولــه فلســفة خاصــة في هــذا شــأن.

أيضًا. وبالنسبة إلى polychrome [1] مُلَوَّنة، ابنة قوس قزح، والأحمق الصغير button-bright [2] برعم باهر فيبدو أنهما أضافا بهجة خاصة على قصص أوز. أنا سعيد لأني اكتشفتهما، ورغم ذلك أنا في لهفة لتكتبوا لي كيف أعجبتكم تلك الشخصيات.

بعد الانتهاء من كتابة هذا الكتاب، تلقيت بعض الأخبار غير العادية من أرض أوز، التي أذهلتني شخصيًّا، وأعتقد أنها ستذهلكم أيضًا يا أعزائي عندما تسمعونها. ولكنها قصة مثيرة وطويلة لدرجة أني أدخرها لكتاب قادم. واحتمال أن يكون هذا الكتاب هو آخر حكاية ستسمعونها من أرض أوز.

ل. فرانك باوم

كولورادو 1909

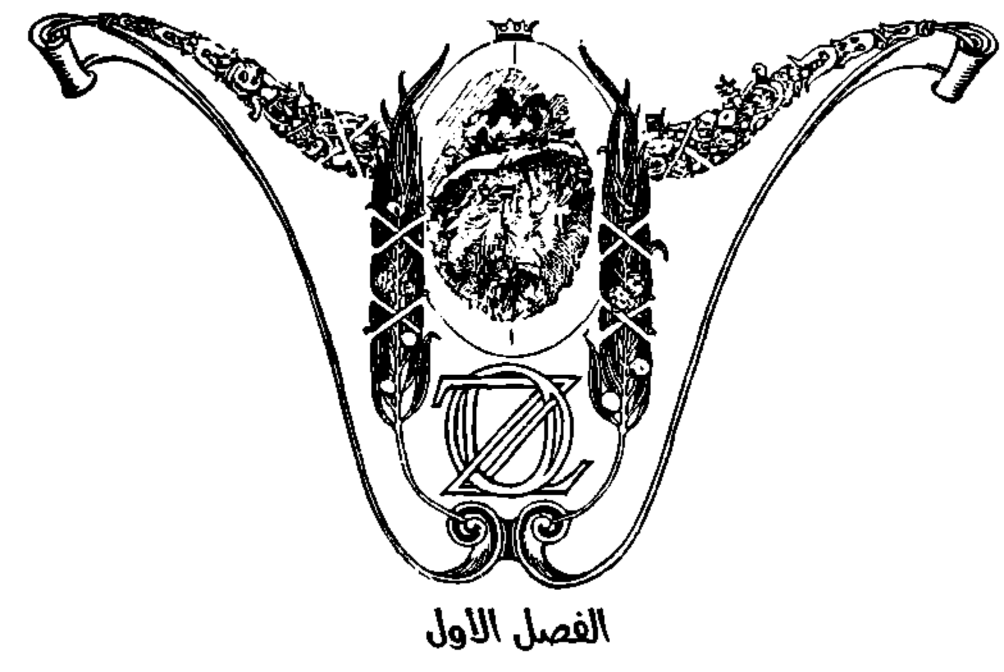


(1) Chrome مشتق من الكلمة اليونانية khroma ومعناها لون، فاسم الشخصية polychrome يعني متعدد الألوان أو المُلَوَّن، ولكنه مختصر في الرواية إلى بولي.

(2) الاسم نفسه مأخوذ من تعبير As Bright As a Button وهي تقال للشخص سريع البديهة. فهي تلعب على كلمة Bright التي تعني الذكيّ واللماح، وتعني الساطع والباهر. فالأزياء العسكرية القديمة كانت تعتمد في تصميماتها على الأزرار المعدنية المصقولة، وساهم ذلك في فكرة أن تكون الأزرار ساطعة وباهرة. ولكن بما أن الشخصية بعيدة تمامًا عن سرعة البديهة، فاخترت أن يكون buttom هو برعم النبات: زِرّ الزهرة، لأن والده كان يمدحه دائمًا بـ cute as a button وهو تعبير يقال للأطفال حديثي الولادة، بمعنى "فاتن كبرعم".







الفصل الأول

السبيل إلى بلدة بِترفيلد

قال رجل متشرد لدورثي:

- من فضلك يا آنسة، هل يمكن أن تدليني على الطريق إلى بترفيلد؟

نظرت إليه دورثي، فوجدته متشردًا أشعث الشعر، لكن في عينيه لمعة جذابة. أجابته قائلة:

- أوه، حاضر، سأقول لك.. ولكن هذا ليس هو الطريق على الإطلاق!

قال الرجل باستنكار:

- هذا ليس الطريق!

ردت دوثي:

- عليك أن تعبر هذا المرعى الذي تبلغ مساحته عشرة أفدنة، وبعدها تتبع الممر إلى الطريق السريع، ثم تتجه شَمالاً حتى منطقة الشجيرات الخمس، وبعدها تسلك... دعني أريك.

سألها المتشرد:

- هل أنتِ متأكدة؟ هل ذهبتِ إلى بلدة بترفيلد من قبل لتعرفي الطريق؟

أكملت دورثي كأنها لم تسمعه:

- ... ثم تسلك الدرب المجاور لشجرة الصفصاف على ما أعتقد.. أو تسلك الدرب المجاور لجحور السنجاب، أو...

قاطعها الرجل سائلاً:

- ألا يؤدي كلاهما إلى الطريق ذاته؟

قالت دورثي:

- بالطبع لا.. يجب أن تسلك الطريق الصحيح للوصول إلى بلدة بترفيلد.

سألها مجددًا:

- إذًا أيهما هو الطريق الصحيح؟ درب جحور السنجاب أم درب...

قاطعته دورثي صائحة:

- يا إلهي! أنت غبي جدًّا.. يجب أن أريك الطريق بنفسي.. انتظر دقيقة؛ سأحضر قبعتي الشمسية من المنزل.



انتظرهـا المتـشرد، وأخـذ يمضـغ عـودًا مـن قـش الشـوفان ببـطء، ويتلـذذ بـه رغـم أنـه ليـس لذيـذًا عـلى الإطـلاق. رأى بجانـب البيـت شـجرة تفـاح يتسـاقط بعـض مـن ثمارهـا عـلى الأرض، ففكـر في أن طعـم التفـاح سـيكون أفضـل مـن قـش الشـوفان، فمـشى باتجـاه الشـجرة كي يلتقـط بعض التفـاح المتسـاقط، لكـن كلبًـا أسـود صغـيرًا بعينـين بنيتـين، اندفـع بجنـون مـن منـزل المزرعـة نحـو المتـشرد، الـذي تنـاول ثـلاث تفاحـات مـن الأرض، ووضعهـا في الجيـب الواسـع بمعطفـه البـالي. نبـح الكلـب الصغـير عليـه، وحـاول أن يعـض قدمـه، لكـن المتـشرد أمسـك الكلـب مـن أعـلى عنقـه ببسـاطة، ووضعـه في جيبـة الواسـع مـع التفـاح، وأكمـل التقـاط التفـاح مـن الأرض، ووضعـه في جيبـه. وكل تفاحـة يضعهـا في جيبـه تصـدم رأس الكلـب الصغـير أو ظهـره فتجعلـه يدمـدم في ألـم . كان هـذا الكلـب الصغـير هـو دودو، وكان منزعجًـا مـن أنـه انتهـت بـه الحـال في جيـب رجـل متـشرد.

خرجت دورثي من المنزل، وعلى رأسها القبعة الشمسية العريضة، وقالت:

- تعالَ أيها المتشرد لأريك الطريق إلى بلدة بترفيلد.

وتسلقت السور الخشبي المحيط بمرعى الأفدنة العشرة، فتبعها ومشوا بتمهل لدرجة أنه تعثر في ركام الأتربة الصغيرة في مرعى الأفدنة العشر وكأنه يفكر في شئ آخر ولا ينتبة لها.

فقالت الفتاة:

- يا ربي! ما كل هذا التعثر؟ هل قدماك متعَبتان؟

أجابها الرجل:

- لا، إنه شاربي.. يتعب كثيرًا في الجو الحار! أتمنى أن تهطل الثلوج! أتريدين أن تهطل الثلوج؟

نظرت إليه دورثي مستغربة، وردت:

- بالطبع لا، لو هطلت الثلوج في أغسطس، لفسدت المحاصيل الزراعية، ولما استطاع عمي هنري أن يحصد الزرع، ما سيؤدي إلى إفلاسه و...

قاطعها المتشرد وقال:

- لا تقلقي، لا أظن أن الثلوج ستهطل.. هل هذا هو الممر؟

قالت دورثي وهي تتسلق سورًا آخر:

- نعم.. سأرافقك إلى الطريق السريع.

قال المتشرد بامتنان:

- أشكرك يا آنسة.. أنتِ لطيفة جدًّا، بالنسبة لحجمك!

قالت دورثي وهي تتبختر على الممر:

- لن تجد كثيرين يعرفون الطريق إلى بترفيلد.. لقد سرت فيه كثيرًا مع عمي هنري، لذا أستطيع المشي عليه مغمضة العينين.

قال لها المتشرد ناصحًا:

ـ لا تفعلي ذلك؛ قد تقعين في حفرة!

ضحكت دورثي وردت:

ـ لا، لن أفعل.. ها هو الطريق السريع.. الآن، يجب أن تسلك ثاني درب.. لا، بل ثالث درب إلى اليسار.. أم هو الدرب الرابع؟ دعنا نرى. أول درب بعد شجرة الصفصاف، والثاني بعد جحور السنجاب، وبعدها...

استفسر المتشرد:

ـ وبعدها ماذا؟

ووضع يده في جيب معطفه، فاقتنص دودو الفرصة وعض إصبع يده، فأخرج المتشرد يده سريعًا من جيبه وهو يتأوه. لم تلاحظ دورثي هذه الحركة، فقد كانت تنظر بقلق إلى الطريق، وتظلل بكف يدها على عينيها لتحميهما من الشمس، ثم قالت:

ـ تعالَ، الطريق هناك، ليس بعيدًا.

وصلا بعد مسافة إلى مكان يتفرع منه الممر إلى خمسة اتجاهات مختلفة، فأشارت إلى واحد منها وقالت:

ـ ها هو الطريق.

قال المتشرد:

ـ أنا ممتن لكِ جدًّا يا آنسة.

وسلك طريقًا آخر غير الذي أشارت إليه دورثي. فصاحت فيه:

ـ لا، ليس هذا الطريق.

فتوقف وسألها متحيرًا:

ـ لقـد قلـتِ إن الطريـق الآخـر هـو الطريـق إلى بلـدة بترفيلـد.. صحيـح؟

أجابت دورثي:

ـ نعم صحيح!

فقال المتشرد:

ـ حسنًا، وأنا لا أريد الذهاب إلى بترفيلد!

سألته دورثي بدهشة:

ـ أحقًّا لا تريد الذهاب إلى هناك؟

أجابها الرجل:

ـ بالطبـع لا أريـد.. لقـد طلبـت منـكِ أن تريـني طريـق بترفيلـد، حـتى لا أذهـب إلى هنـاك بالخطـأ!

سألته دورثي:

ـ إلى أين تريد الذهاب إذًا؟

فأجاب المتشرد:

ـ ليس إلى مكان محدد يا آنسة!

هـذه الإجابـة أدهشـت الفتـاة الصغـيرة، وقـد اسـتفزها أن تبـذل كل هـذا المجهـود للـشرح بـلا أي فائـدة.

وأكمل المتشرد قائلاً:

ـ توجد طرق أخرى جيدة هنا..

ودار حول نفسه ببطء كأنه طاحونة هوائية وقال:

ـ يبدو لي أنني أستطيع الذهاب إلى أي مكان من هنا.

تلفتـت دورثي حولهـا فاندهشـت.. فبالفعـل هنـاك طـرق أخـرى جديـدة غـير الخمسـة الـتي تعرفهـا. وبـدأت تعدهـا، وعندمـا وصلـت في العـد إلى سـبعة عـشر طريقًـا داخـت، فتوقفـت لأن عـدد الطـرق أكـثر ممـا تسـتطيع إحصـاءه، فقـد كانـت تعـد وهـي تـدور حـول نفسـها كالعجلـة، فكانـت تعـد الطريـق ذاتـه مرتـين.

تعجبت دورثي وقالت:

- يـا ربي! كانـت هنـا خمسـة طـرق فقـط، الطريـق السريـع والبـاقي، ولكـن الآن.. أيـن.. أيـن الطريـق السريـع؟

أجابها المتشرد:

- لا أعرف يا آنسة!

وقعد على الأرض كأنه تعب من الوقوف، وأكمل:

- ألم يكن هنا منذ دقيقة؟

أجابته دورثي متحيرة:

هـذا مـا ظننتـه! فقـد رأيـت جحـور السـنجاب وشـجرة الصفصـاف، ولكنهـا الآن ليسـت هنـا.. هـذه الطـرق كلهـا غريبـة، وكثـيرة أيضًـا، إلى أيـن تعتقـد أنهـا تذهـب؟

رد المتشرد:

- الطـرق لا تذهـب إلى أي مـكان، فهـي تظـل ثابتـة، والنـاس يمشـون عليهـا!

ثـم وضـع يـده في جيـب المعطـف، وأخـرج تفاحـة بسرعـة حـتى لا يعضـه الكلـب، ولكـن دودو عـض كمّـه هـذه المـرة ونبـح بصـوت عـالٍ، فسـمعته دورثي وانتفضـت وقالـت:

- أوه، دودو.. من أين أتيت؟

فقال المتشرد:

- لقد أحضرته معي.

فسألته:

- لماذا؟

فرد:

- لكي يحرس التفاح في جيبي حتى لا يسرقه أحد!

وأمسك المتشرد التفاحة بيد وبدأ يأكلها، وباليد الأخرى أمسك الكلب وأخرجه من جيبه وأسقطه على الأرض. وبالطبع جرى دودو إلى دورثي على الفور، ونبح في سعادة بإطلاق سراحه من الجيب المظلم. ربتت الفتاة على رأس الكلب برفق، وقعدت بجانبه، فأخذ يلعق يدها بلسانه الأحمر، وينظر إلى وجهها كأنه يسألها ماذا عليه أن يفعل. لكن دورثي نفسها لم تعرف ماذا عليها أن تفعل.

نظرت حولها بقلق لترى أي علامة مألوفة تستدل بها على مكانها، ولكن كل شيء كان غريبًا. بين الدروب المتفرعة ظهرت مروج خضراء وبعض الشجيرات، ولكنها لم تجد منزل المزرعة الذي خرجت منه منذ قليل، أو أي شيء تعرفه، إلا المتشرد ودودو. ظلت تدور حول نفسها مرات ومرات لتحدد اتجاه منزل المزرعة على الأقل، ولكنها لم تستطع، فشعرت بالقلق والخوف.

فتنهدت وقالت:

- أنا خائفة.. لقد تهنا يا متشرد!

رد عليها المتشرد وهو يلقي بذر التفاحة بعيدًا، ويتناول واحدة أخرى:

- لا داعي للخوف، كل طريق يجب أن يؤدي إلى مكان ما، وإلا لن يكون موجودًا بالأساس.. فما الذي يخيفك؟

قالت دورثي:

- أريد العودة إلى البيت!

سألها المتشرد:

- حسنًا، ولماذا لا تعودين؟

أجابت:

- لا أعرف أيها هو طريق البيت!

هز رأسه الأشعث بأسف وقال:

- هـذا سيئ جـدًّا، أتمنى لـو كنـت أستطيع مسـاعدتك، لكـني غريـب عـن هـذا المـكان.

قعدت بجواره وقالت:

- يبـدو أنـني أيضًـا غريبـة عـن هـذا المـكان، هـذا مضحـك، فمنـذ دقيقـة كنـت في بيـتي، وعندمـا أتيـت لأدلـك عـلى الطريـق إلى بترفيلـد...

قاطعها المتشرد:

- لهذا لم أخطئ بعدم الذهاب إلى هناك...

قاطعته دورثي بدورها:

- أنا الآن تائهة ولا أعرف كيف أعود إلى البيت!

ابتسم المتشرد، ومد يده إليها بتفاحة وقال:

- هل تأخذين تفاحة؟

دفعت دورثي يده وقالت:

- لست جائعة!

قال لها المتشرد:

- لكنك ستشعرين بالجوع غدًا.. وستندمين لأنك لم تأكلي التفاحة.

ردت الفتاة:

- سآكل التفاحة وقتما أجوع.

لكن ألمتشرد قال:

- قد لا تجدين التفاح وقتها.

وأكمل وهو يأكل التفاحة التي رفضتها دورثي:

- في كثير من الأحيان تحدد الكلاب طريق عودتها للبيت أفضل من البشر.. وقد يرشدك كلبك إلى الطريق للمزرعة.

فسألت دورثي كلبها:

- هل تستطيع يا دودو؟

هز الكلب لها ذيله بحيوية، فقالت:

- حسنًا، هيا بنا إلى البيت.

نظر دودو حوله لدقيقة، ثم اندفع إلى واحد من الطرق، فجرت دورثي وراءه وصاحت:

- مع السلامة أيها المتشرد.

مشى الكلب لفترة، ثم التفت إلى دورثي كأنه يستفهم منها ماذا سيفعل، فقالت:

- أوه، لا تتوقع مني أن أخبرك بشيء، فأنا لا أعرف الطريق، عليك معرفته بنفسك.

ولكن دودو هز ذيله وأذنه وعطس، ثم هرول عائدًا إلى مكان المتشرد، ومن هناك بدأ يمشي في اتجاه آخر. وبعدها عاد مجددًا إلى مكان المتشرد، وحاول السير في اتجاه آخر، ولكنه كل مرة يجد الطريق

غريبًـا، ويقـرر أنـه ليـس الطريـق إلى مـنزل المزرعـة. في النهايـة تعبـت دورثي مـن ملاحقتـه، واستسـلم دودو وجلـس يلهـث بجـوار المتـشرد.

قعـدت دورثي بجوارهمـا لتفكـر قليـلاً في حالهـا. لقـد خاضـت الكثـير مـن المغامـرات المثـيرة منـذ أن حـضرت للإقامـة في المزرعـة، لكـن هـذه كانـت الأغـرب عـلى الإطـلاق. فـأن تجـد نفسـها تائهـة في أقـل مـن ربـع سـاعة، وبالقـرب مـن بيتهـا، وداخـل نطـاق ولايـة كانسـاس، هـي تجربـة محـيرة فـوق حـدود الخيـال.

سألها المتشرد، وعيناه تلمعان:

- ألا يقلق عليك أهلك الآن؟

أجابت دورثي بتنهيدة:

- أفـترض ذلـك! فعمـي هـنري يقـول إنـني دائمًـا مـا تحـدث معـي أمـور غريبـة، لكنـني أصـل إلى البيـت سـالمة في النهايـة.. أعتقـد أنـه سـيريح نفسـه وينتظـر أن أعـود بأمـان في الوقـت المناسـب.

ابتسم المتشرد وأومأ برأسه وقال:

- أنـا متأكـد مـن ذلك، فالفتيـات الصغـيرات الطيبات لا يصيبهـن أذى.. أكيـد تعرفـين هـذا.. أنـا أيضًـا طيـب، ولهـذا لا يحـدث لي مكروه.

نظـرت إليـه دورثي بتمعـن. كانـت ملابسـه مهلهلـة، وينتعـل حـذاء برقبـة مليئًـا بالرقـع والثقـوب، وشـعره أشـعث وكذلـك شـاربه. ولكـن ابتسـامته لطيفـة وعينـاه ودودتـان. فسـألته:

- لماذا لا تريد الذهاب إلى بترفيلد؟

أجاب المتشرد:

- لأني لا أريـد مقابلـة رجـل يسـكن هنـاك.. إنـه مديـن لي بخمسـين قرشًـا، إن ذهبـت إلى هنـاك ورآني سـيرد لي المبلـغ.. وأنـا لا أريـد هـذا المـال يـا عزيـزتي!

سألته:

- لماذا؟

فأجاب:

- لأن المال يجعل البشر جشعين ومتكبرين، وأنا لا أريد أن أكون جشعًا أو متكبرًا.. أريد فقط أن يحبني الناس، وما دام معي مغناطيس* الحب، سيحبني كل مَن يقابلني.

سألت دورثي مستغربة:

- مغناطيس الحب! ما هذا؟

أجابها بصوت منخفض وغامض:

- سأريه لكِ إذا وعدتِني أنكِ لن تخبري أحدًا!

ردت دورثي:

- لا يوجد أحد لأخبره إلا دودو.

بحث المتشرد في جيبه بعناية، وأخرج صرة صغيرة من الورق المقوى، ملفوفة ومربوطة بخيط قطني. فك الخيط وفتح الحزمة، وأخرج قطعة معدنية على شكل حدوة حصان، كان لونها بنيًّا باهتًا، وشكلها لم يكن جيدًا. ثم قال بتأثر شديد:

- ها هو يا عزيزتي مغناطيس الحب المدهش.. أعطاه لي واحد من الإسكيمو في جزيرة ساندوتش.. رغم أن الجزيرة لم تكن بها ساندوتشات وطالما أحمله، فكل مَن أقابله سيقع فى حبي.



سألته دورثي:

- ولماذا أعطاه لك؟

أجاب المتشرد:

- لقد تعب من أنه محبوب طوال الوقت، وافتقد إحساس أن شخصًا يكرهه.. فأعطاني المغناطيس، وفي اليوم التالي أكله دب رمادي!

سألته دورثي:

- هل شعر بالأسف؟

لف المتشرد مغناطيس الحب وأعاده إلى جيبه بحرص، وقال:

- لم يخبرني.. لكن الدب لم يشعر بالأسف بعدما التهمه!

تساءلت دورثي:

- وهل كنت تعرف الدب؟

فأجابها:

- نعم، كنت ألعب معه في جزيرة كافيار.. لقد أحبني لأني أملك مغناطيس الحب.. ولا ألومه على أكل رجل الإسكيمو؛ هذه طبيعته!

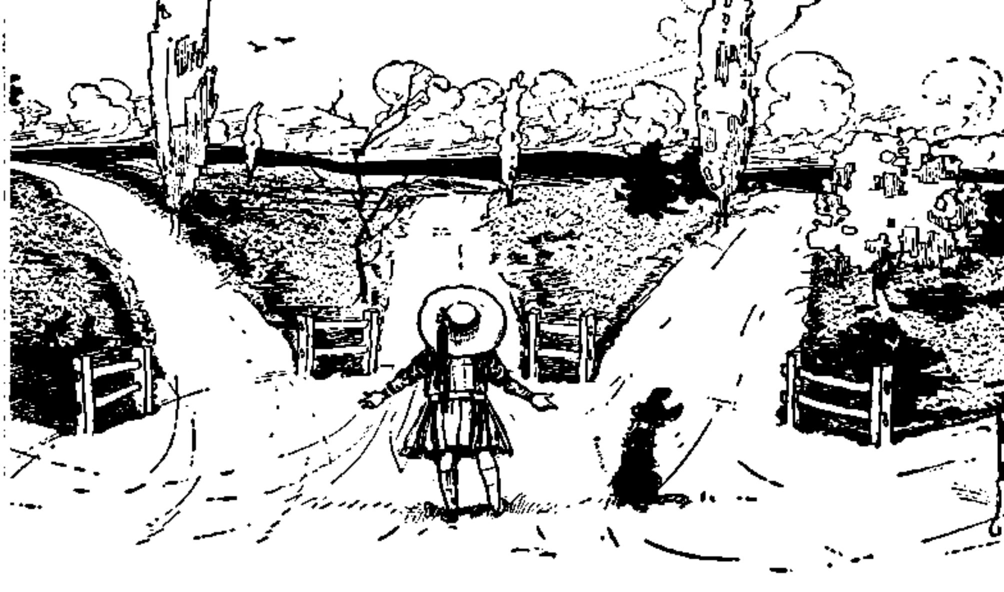
قالت له دورثي:

- ذات يوم، عرفت نمرًا جوعانًا دائمًا، ويشتهي أكل الأطفال البدناء لأن هذه طبيعته.. لكن ضميره لم يسمح له بأكلهم.

تنهد المتشرد ورد:

- ذلك الدب لم يكن عنده ضمير!

وصمت لدقائق يفكر في حالة النمر الجوعان والدب الرمادي، في حين يراقبه دودو مفكرًا بالطبع في فترة حبسه داخل جيب المتشرد، وكيفية الابتعاد عن هذا المكان المظلم لاحقًا.



أخيرًا نهض المتشرد، وسأل:

- ما اسمك يا عزيزتي؟

نهضت الفتاة وقالت:

- اسمي دورثي.. ولكن ماذا سنفعل؟ لا يمكننا البقاء هنا للأبد!

قال المتشرد:

- إذًا دعينا نسلك الطريق السابع.. يبدو رقمًا محظوظًا لفتاة اسمها دورثي[1].

سألته دورثي:

- من أين الطريق السابع؟

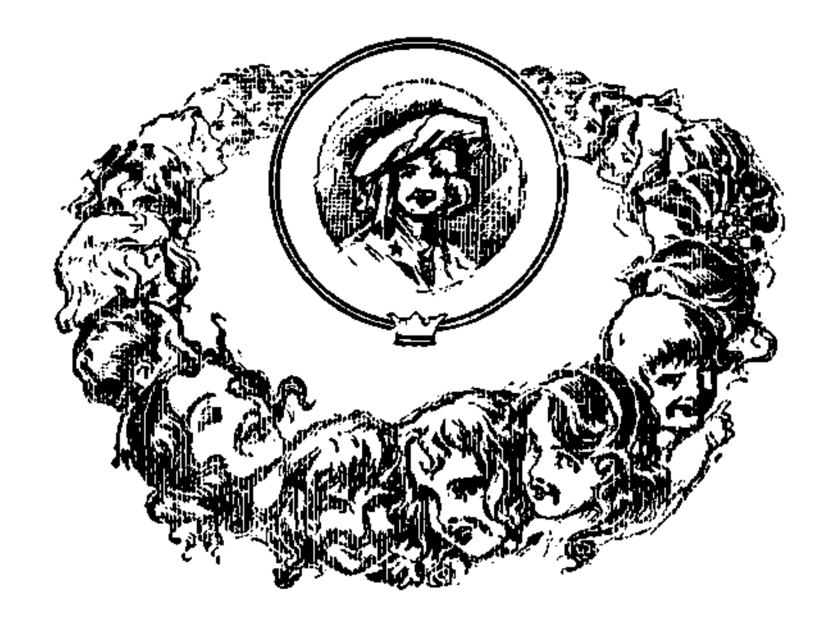
قال لها:

- من أي مكان تبدئين منه العد.

فعدت دورثي سبعة طرق، كانت متشابهة كلها، فتقدم فيه المتشرد كأنه واثق بأنه أفضل طريق للخروج من هذا المأزق. ولم تجد دورثي مفرًّا من اتباعه هي وودو.

(1) اسم دورثي بالإنجليزية Dorothy مكون من سبعة حروف.





الفصل الثاني

مقابلة برعم باهر

الطريق السابع كان طريقًا جيدًا، كان واسعًا وينحني يمينًا ويسارًا حول مراعٍ خضراء وحقول مزروعة بالأقحوان والزهور والأعشاب، والأشجار الّتي تظلل الطريق. لم تكن عليه بيوت أو منازل، ولمسافة طويلة لم يقابلوا أي كائن حي.

خافت دورثي أن يبعدهم هذا الطريق عن المزرعة أكثر، لكن العودة لن تكون مفيدة، لأنها إن اختارت طريقًا آخر، قد لا يختلف عن هذا الطريق، ويؤدي بهم بعيدًا عن المزرعة أيضًا.

ظلت تمشي بجانب المتشرد وهو يصفر بنغمة مفرحة ليسلي نفسه، حتى انحنى الطريق بهم، ورأوا شجرة كستناء كبيرة، يجلس في ظلها ولد صغير بملابس البحّارة، وينبش في الأرض بعود خشبي، ويبدو

أنـه ينبـش منـذ مـدة طويلـة، فالحفـرة الـتي صنعهـا كبـيرة كفايـة لتسـقط فيهـا كـرة قـدم.

وقفـت دورثي ودودو والمتـشرد أمـام الولـد، الـذي ظـل ينبـش في الأرض بصـبر ومثابـرة، فسـألته الفتـاة:

- مَن أنت؟

نظـر إليهـا بهـدوء، فـرأت وجهـه المـدور وعينيـه الزرقاويـن الواسـعتين الصافيتـين، وقـال:

- أنا برعم باهر!

قالت الفتاة:

- أريد اسمك الحقيقي.

أجاب مكررًا:

- برعم باهر!

فقالت دورثي:

- هذا ليس اسمًا حقيقيًّا.

رد الولد:

- حقًّا!

قالت الفتاة:

- بالطبع.. إنه مجرد لقب يطلق عليك.. يجب أن يكون لك اسم.

تساءل الولد:

- فعلاً؟

قالت دورثي:

- بالطبع.. فبماذا تناديك أمك؟

أجاب الولد:

- بابا دائمًا يقول إني باهر مثل البرعم.. لذا تناديني ماما "برعم باهر".

سألته دورثي:

- ما اسم والدك؟

أجابها:

- بابا.

فتساءلت:

- وماذا بعد؟

رد الولد:

- معرفش!

ابتسم المتشرد وقال:

- لا يهم، سنناديه كما تناديه أمه.. برعم باهر! إنه أفضل من أسماء أخرى كثيرة.

نظرت دورثي إلى الحفرة التي يحفرها الولد، وسألته:

- أين تعيش؟

أجابها:

- معرفش!

قالت بدهشة:

- ألا تعرف من أين جئت إلى هنا؟

أجاب الولد:

- لا

فالتفتت دورثي إلى المتشرد وقالت له:

- أظن أنه تائه مثلنا!

ثم نظرت إلى الولد مجددًا وسألته:

- ماذا تفعل؟

فقال:

- أحفر!

فقالت له:

- لكنك لا يمكن أن تحفر للأبد.. ماذا ستفعل بعدها؟

أجاب:

- معرفش!

نفد صبر دورثي، فقالت:

- لكنك يجب أن تعرف شيئًا ما!



نظر إليها في دهشة وقال:

ـ فعلاً؟

أجابته دورثي:

ـ بالطبع!

سألها الولد:

ـ وماذا يجب أن أعرف؟

أجابت الفتاة:

ـ على الأقل ماذا تريد أن تكون؟

سألها الولد:

ـ هل تعرفين ماذا أريد؟

أجابته دورثي:

ـ لا!

فأكمل الولد متسائلاً:

ـ وهل تعرفين ماذا تريدين؟

ردت دورثي، وقد تذكرت الصعوبات التي تواجهها حاليًّا:

ـ في الحقيقة لا!

فضحك المتشرد وقال:

ـ لا أحد يعرف كل شيء يا دورثي!

ردت الفتاة بحدة:

ـ ولكن يبدو أن برعم باهر لا يعرف أي شيء.. أليس كذلك يا برعم باهر؟

هز الولد رأسه وردّ بهدوء:

- معرفش!

لـم تقابـل دورثي في حياتهـا شـخصًا لا يعطيهـا معلومـات عـن نفسـه. إن هـذا الولـد تائـه بالتأكيـد، وأهلـه قلقـون عليـه.. يبـدو أصغـر بسـنتين أو ثـلاث عنهـا، ولكنـه مهنـدم جـدًّا، كأن أحدهـم يحبـه لدرجـة أن يهتـم بـكل تفاصيـل ملابسـه، ويجعلـه أنيقًـا عـلى الـدوام. فتعجبـت دورثي؛ كيـف وصلـت بـه الحـال إلى هـذا المـكان المنعـزل.

بالقـرب مـن برعـم باهـر، كانـت قبعـة بحـار ملقـاة عـلى الأرض، في مقدمتهـا شـارة هلـب ذهـبي. أمـا الولـد فيلبـس بنطـال بحـار واسـعًا وطويـلاً، وقميـص بحـار مطـرزًا بهلـب ذهـبي عـلى الأطـراف، ولـه ياقـة عريضـة. وكان الولـد لا يـزال يحفـر في الحفـرة، فسـألته دورثي:

- هل كنت في البحر؟

أجاب برعم باهر:

- أرى ماذا؟ [1]

قالت دورثي موضّحة:

- أقصد، هل كنت في مكان بالقرب من الماء؟

أجابها:

- نعم، توجد بئر في الساحة الخلفية لبيتي.

صاحت دورثي:

- أنـت لا تفهمـني.. أقصـد هـل كنـت يومًـا في مركـب كبـيرة تطفـو عـلى سـطح الماء؟

---

(1) برعـم باهـر يسـمع كلمـة بحـرsea كلمـة أرى see فيعتقـد أنهـا تسـأله هـل رأيـت مـن قبـل؟ فـيرد عليهـا أرى مـاذا؟

أجاب الولد مجددًا:

- معرفش!

سألته:

- إذًا، لماذا تلبس ملابس البحارة؟

أجاب كالعادة:

- معرفش!

أصيبت دورثي بالإحباط، وقالت:

- أنت غبي بطريقة فظيعة يا برعم باهر!

رد الولد متسائلاً:

- فعلاً؟

فقالت دورثي:

- نعم، أنت غبي!

نظر إليها الولد وسألها:

- لماذا؟

كادت دورثي تقول له "معرفش"، ولكنها أجابت:

- بسبب إجابتك دائمًا بـ"معرفش"!

ضحك المتشرد وهو يأكل تفاحة أخرى، وقال:

- ليست هناك فائدة من سؤاله عن شيء.. أظن أن هذا الولد المسكين يحتاج إلى الرعاية.. من الأفضل أن يأتي معنا!

نظر دودو إلى الحفرة التي يحفرها الولد بفضول كبير.. بالتأكيد ظن أن برعم باهر يبحث عن حيوان بري مختبئ في الأرض. فبدأ الكلب الصغير ينبح بصوت عالٍ، وقفز في الحفرة بنفسه وبدأ يحفر فيها بكف قدمه الصغيرة، لدرجة أن التراب طار في كل اتجاه، وتناثر على ملابس

الولـد المهندمـة. أمسـكت دورثي بالكلـب وأخرجتـه مـن الحفـرة ووضعتـه عـلى الأرض، ونفضـت ملابسـها وصاحـت:

- توقف يا دودو، لا توجد فئران أو سناجب في الحفرة، فلا تكن أحمق.

توقف دودو، وتشمم الحفرة في شك، ثم هز ذيله كأنه فعل شيئًا مهمًّا.

قال المتشرد:

- حسنًا، فلنستكمل طريقنا وإلا لن نصل إلى أي مكان مع قدوم الليل!

سألته دورثي:

- أين تتوقع أن نذهب؟

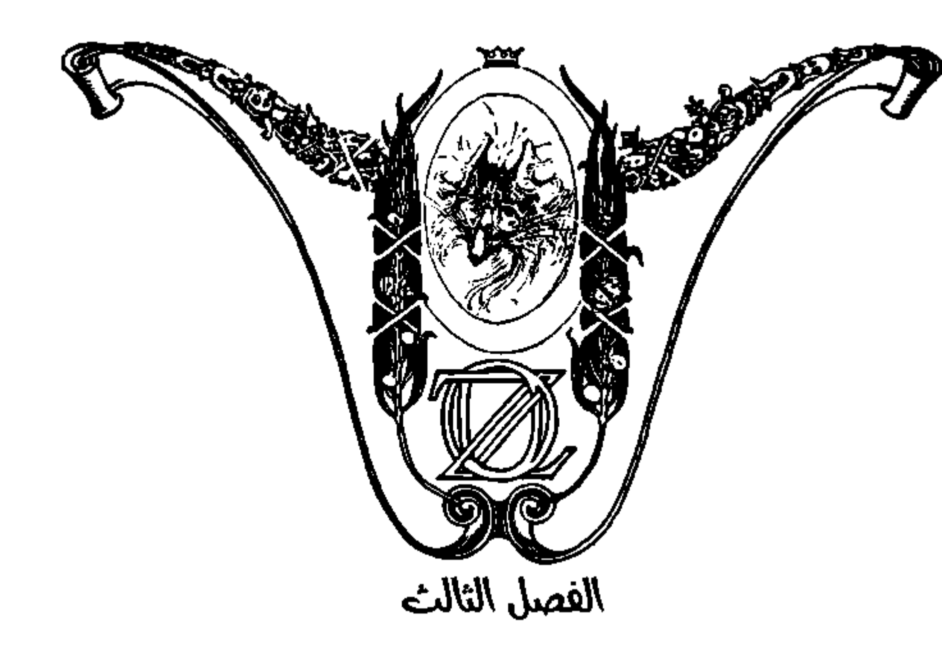
ضحك المتشرد وقال:

- شـخصيًّا، تعجبـني ردود برعـم باهـر، لـذا سـأقول "معرفـش" مثلـه.. ولكـن بحسـب خـبرتي الطويلـة في التـشرد، فـأي طريـق يـؤدي إلى مـكان مـا، وإلا مـا فائـدة الطـرق؟ إن قطعنـا مسـافة كافيـة عـلى الطريـق فبالتأكيـد سـنصل إلى مـكان مـا، لكـن إلى أيـن؟ هـذا مـا لا أسـتطيع تخمينـه! سـنعرف عندمـا نصـل!

قالت دورثي:

- نعم، هذا سبب يبدو معقولًا أيها المتشرد!





الفصل الثالث

بلدة غريبة

مـد المتـشرد يـده إلى برعـم باهـر، فأمسـكها الولـد عـن طيـب خاطـر، ونهـض وسـار معـه، لأن المتـشرد يملـك مغناطيـس الحـب وهـو مـا جعـل الولـد يقـع في حبـه عـلى الفـور. ثـم تسـكعت الصحبة الصغـيرة عـلى الطريق بفـرح أكـثر ممـا ينبغـي، فهـم في النهايـة تائهـون. لكـن الفتـاة الصغـيرة معتـادة المغامـرات الغريبـة الـتي دائمًـا مـا كانـت مثـيرة وشـقية، ولـم يبـد أن برعـم باهـر خائـف أو قلـق مـن أنـه تائـه، كمـا أن المتـشرد ليـس لـه بيـت أصـلاً فهـو سـعيد في أي مـكان سـيكون فيـه.

بعـد فـترة، رأوا عـلى الطريـق قوسًـا حجريًّـا كبـيرًا جميـل المنظـر، وعندما اقتربـوا منـه وجـدوه منحوتًـا بدقـة ومزينًـا بألـوان أنيقـة. فـوق القـوس امتـد صـف طويـل مـن أشـكال الطواويـس منفوشـة الذيـول، ريشـها ملـون بشـكل مبهـج، وفي المنتصـف رأس كبـير لثعلـب يلبـس تاجًـا ذهبيًّـا بأطـراف لامعـة، وعـلى وجهـه تعبـير الداهيـة الفطـن، وعـلى عينيـه نظـارة فخمـة.

وبينما ينظر المسافرون بفضول إلى القوس الجميل، ظهرت فجأة فرقة جنود من الثعالب، ترتدي زيًّا عسكريًّا موحَّدًا، يتكون من صديري أخضر وبنطال أصفر، وعلى رؤوسهم قبعات دائرية صغيرة، وفي أقدامهم أحذية طويلة الرقبة لونها أحمر براق، ويرتدون ربطات عنق حمراء. وكل جندي مسلح بسيف خشبي، في حافته صف من الأسنان الحادة، ارتعشت دورثي من منظرها المخيف.

وقبل أن يدرك أصدقاؤنا الموقف، حاصرهم الجنود من كل جانب. وتقدم كابتن فرقة الجنود الثعالب، وكان زيه مطرزًا بجديلة ذهبية تميزه عن بقية الجنود، وصاح بصوت أجش:

- استسلموا.. أنتم سجناء!

تساءل برعم باهر ببراءة:

- ما هو السجين؟

رد كابتن فرقة الثعالب:

- السجين هو الأسير!

أعاد برعم باهر السؤال:

- وما هو الأسير؟

قال الكابتن:

- أنت!

ضحك المتشرد من هذا الحوار، وقال:

- مساء الخير يا كابتن!

ثم انحنى بلطف وأدب للجنود الثعالب وقائدهم وأكمل:

- أتمنى أن تكونوا بصحة جيدة.. كيف حال عائلاتكم؟ أتمنى أن يكونوا أيضًا بصحة جيدة.



التفـت كابـتن الثعالـب إلى المتـشرد، فاختفـت الملامـح الصارمـة مـن وجهـه فـورًا، وحلـت عليـه ملامـح الطيبـة والوداعـة وقـال:

- في أحسن حال، شكرًا لك أيها المتشرد.

أصبحـت كل الثعالـب تحـب المتشرد، فعرفـت دورثي حينها أن مغناطيس الحـب يعمـل، ولكـن دودو لـم يعـرف هـذا، فنبـح غاضبًـا، وحـاول أن يعض سـاق قائـد الثعالـب، فصاحـت فيـه الفتاة:

- توقف يا دودو.. توقف!

وأمسكت بالكلب وحضنته بين ذراعيها وأكملت:

- إنهم أصدقاء!

قال الكابتن بدهشة:

- نعـم، هـذا صحيـح، لقـد ظننـت في البدايـة أننـا أعـداء، لكـن مـن الواضـح أنكـم أصدقـاء.. عليكـم أن ترافقونـا لمقابلـة الملـك دوكـس!

سأل برعم باهر ببراءة:

- ومَن هو؟

أجابه الكابتن:

- ملك بلدة الثعالب.. عظيم وحكيم له السيادة على مجتمعنا.

فتساءل برعم باهر:

- ما السيادة؟ وما المجتمع؟

قال له الكابتن:

- لا تسأل كثيرًا أيها الولد!

فسأله برعم باهر:

- لماذا؟

فكر الكابتن قليلاً ثم قال:

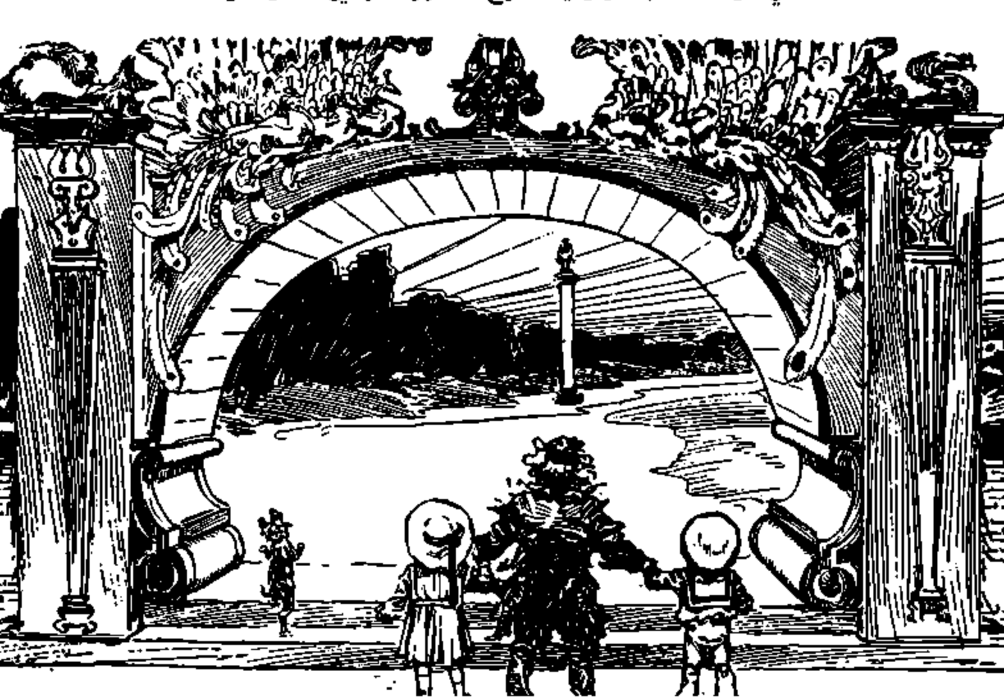
- إمممـم.. صحيـح، لمـاذا؟ إن لـم تسـأل فلـن تتعلـم شـيئًا وراجـع نفسـه وأكمـل.. هـذا صحيـح وأنـا مخطـئ، أنـت ولـد ذكي جـدًا لأنـك

تسأل عما لا تعرف.. لكن الآن يا أصدقاء، إذا سمحتم، تعالوا معنا، فمن واجبي أن أرافقكم إلى القصر الملكي.

سار الجنود عبر القوس ثانية، ومعهم المتشرد ودورثي ودودو وبرعم باهر، وعبروا المدخل فوجدوا مدينة كبيرة ممتدة أمامهم، كل بيوتها منحوتة من الرخام الملون، ومعظم الديكورات على أشكال الطيور والدجاج.. طواويس وديوك رومية ونعام وسِمّان وبَطّ وإوَزّ.

وعند مدخل كل بيت، يوجد رأس منحوت للثعلب الذى يعيش بهذا البيت، وهو ما ترك طابع لطيف ومميز على البلدة خرج بعض الثعالب من الشرفات لرؤية الغرباء الذين دخلوا المدينة. وكلهم يرتدون ملابس أنيقة، وقد أعجبت دورثي بثياب النساء والبنات الثعالب، المنسوجة من ريش ألوانه زاهية وجذابة للغاية.

حدق برعم باهر في هذه المناظر بانبهار لدرجة أن عينه اتسعت من الدهشة، وتعثر مرات عدة، وكاد يقع لولا أنه يمسك بيد المتشرد. وحتى الكلب دودو أراد النباح ومطاردة كل ثعلب يراه، لكن دورثي حملته تحت ذراعها، وأمرته أن يحسن التصرف. وأخيرًا هدأ الكلب؛ وقرر أن هناك كثيرًا من الثعالب، ولن يستطيع مطاردتها كلها في نفس الوقت.





رويــدًا رويــدًا اقتربــوا مــن ميــدان كبــير، ينتصــب القــصر الملــكي في منتصفـه. عرفتـه دورثي بسـهولة مـن منحوتـة لـرأس ثعلـب يلبس تاجًـا ذهبيًّا، كالـرأس الـذي رأتـه فـوق القـوس في مدخـل البلـدة. يحـرس القـصر عـدد كبـير مـن الجنـود الثعالـب، وقـد انحنـوا جميعًـا لتحيـة الكابـتن، وسـمحوا لـه بالدخـول مـن دون سـؤال. قادهـم القائـد عـبر غـرف كثيرة، بهـا ثعالـب يلبسـون ملابـس الأثريـاء، ويجلسـون عـلى مقاعـد فخمـة، ويشربـون الشـاي الـذي يقدمـه لهـم خـدم ثعالـب يلبسـون مرايـل بيضـاء.

وصلـوا إلى بـاب كبـير مغطـى بسـتائر ضخمـة مصنوعـة مـن خيـوط الذهـب. لاحظـوا بجانـب البـاب طبلـة ضخمـة، اقـترب منهـا الكابـتن وطرقهـا -طـرق بالركبـة اليمـين وبعدهـا بالركبـة الشـمال- فقالـت الطبلـة: "بـووم -بـووم" وأمرهـم أن يفعلـوا مثلمـا فعـل بالضبـط. طـرق المتـشرد الطبلـة بركبتيـه، وبعـده فعلـت دورثي، وتبعهـا برعـم باهـر، الـذي أعجبـه صـوت الطبلـة، فظـل يطـرق عليهـا بركبتيـه الصغيرتـين، حـتى أوقفـه القائـد. دودو لـم يتمكـن مـن الطـرق، فطرقـت دورثي بـدلاً منـه، وعندمـا نبـح الكلـب الصغـير تجهـم وجـه الكابـتن فسـكت دودو.

ارتفعت الستائر الذهبية ليظهر مدخل الباب، وتقدم الكابتن وخلفه الآخرون إلى قاعة بها نوافذ زجاجية ملونة بدرجات الذهب، وفي الركن عرش منحوت من الذهب، يقعد فوقه ملك الثعالب محاطًا بمجموعة من الثعالب الأخرى، وكلهم يرتدون نظارات جعلتهم يبدون مهمين ووقورين.

ولأن دورثي سافرت كثيرًا، وعرفت كثيرًا عن آداب الملوك والأمراء، انحنت تحية أمام الملك، وفعل مثلها المتشرد وبرعم باهر. فقال القائد:

- هذا تصرف نبيل حكيم منكم في حضرة ملك الثعالب.

وأكمل موجهًا كلامه إلى الملك:

- بكل تواضع، أتشرف بأن أرفع لسموك تقريرًا بأني عثرت على هؤلاء الغرباء في الطريق المؤدي إلى السلطنة الثعلبية المعظمة، ولهذا فمن واجبي أن أعرضهم عليك.

نظر إليهم الملك وقال:

- حسنًا حسنًا.. ما الذي أتى بكم أيها الغرباء؟

رد المتشرد:

- أرجلنا يا فخامة الملك!

سأله الملك:

- وماذا تريدون؟

أجاب المتشرد:

- نريد أن نبتعد قدر الإمكان!

لا يعرف الملك شيئًا عن مغناطيس الحب بالطبع، ولكن تأثيره فيه صار واضحًا عندما قال للمتشرد:

- اذهبوا إلى أي مكان تشاؤون، ولكني أحب أن أريكم الأماكن السياحية في المدينة.. اسمحوا لي باستضافتكم في أثناء إقامتكم

هنـا.. ونحـن نفخـر بزيـارة الصغـيرة دورثي لمدينتنـا، فـأي مدينـة تزورهـا تصـير مشـهورة!

سألته دورثي بدهشة:

- كيف تعرف اسمي يا جلالة الملك؟

قال ملك الثعالب:

- الـكل يعرفـك يـا عزيـزتي.. ألا تدركـين هـذا؟ أنـتِ شـخصية مهمـة منـذ أن اتخذتـك الأمـيرة أوزمـا صديقـة لهـا!

سألت دورثي بتعجب أكبر:

- هل تعرف الأميرة أوزما يا جلالة الملك؟

أجاب بحزن:

- لـم أتـشرف بمعرفتهـا، ولكـني أتمـنى مقابلتها قريبًا.. أنـتِ بالتأكيـد تعرفـين أن الأمـيرة أوزمـا سـتحتفل بعيـد ميلادهـا في الحـادي والعشريـن مـن هـذا الشـهر.

قالت دورثي:

- حقًّا؟ لم أكن أعرف!

قال الملك:

- نعـم، إنـه أهـم احتفـال ملـكي يقـام في مدينـة خياليـة، وأتمـنى أن تتوسـطي لي للحصـول عـلى دعـوة لحضـور الحفـل.

فكرت دورثي للحظة ثم قالت:

- بالطبـع، أنـا واثقـة بـأن أوزمـا سـتدعوك لحفلهـا إن طلبـت منهـا.. لكـن كيـف سـتذهب إلى أرض أوز ومدينـة الزمـرد؟ أعتقـد أنهـا بعيدة جـدًّا عـن كانسـاس!

قال الملك باستغراب:

- كانساس!

قالت الفتاة:

- نعم، نحن الآن في كانساس، أليس كذلك؟

ضحك ملك الثعالب وقال:

- يا له من مكان غريب.. لماذا تعتقدين أننا في كانساس؟

ردت دورثي:

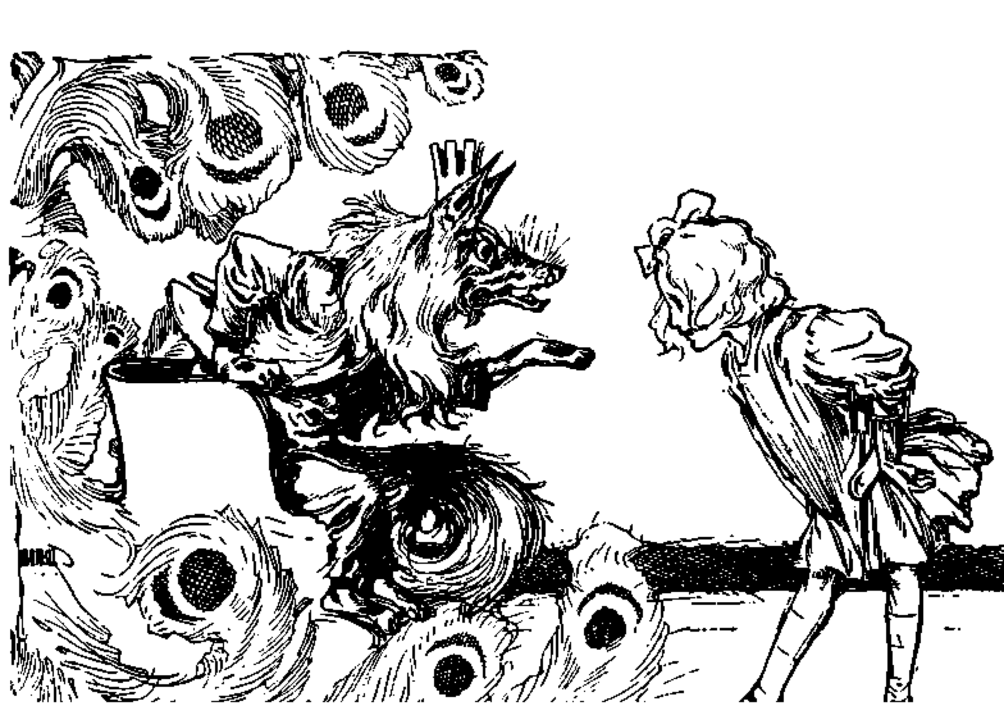
- لقد تركت مزرعة عمي هنري منذ ساعتين فقط!

قال الملك:

- ولكن يا عزيزتي، هل سبق أن رأيت مدينة مدهشة مثل بلدة الثعالب في كانساس؟

أجابته:

- لا يا جلالة الملك.



سألها:

- ألـم تسـافري مـن أرض أوز إلى كانسـاس في لمـح البـصر بواسـطة الحـذاء الفـضي والحـزام السـحري؟

أجابت:

- بلى يا جلالة الملك.

فسألها:

- إذًا لمـاذا تتعجبـين مـن وصولـك إلى بلـدة الثعالـب القريبـة مـن أرض أوز في سـاعة أو سـاعتين؟

هتفت دورثي:

- يا ربي! هل هذه مغامرة خيالية أخرى؟

ابتسم ملك الثعالب وقال:

- يبدو هذا!

التفتت دورثي إلى المتشرد، وقالت بلهجة عتاب:

- هـل أنـت سـاحر أم جنيـة متنكـرة؟ هـل سـحرتني عندمـا سـألتني عـن الطريـق إلى بلـدة بترفيلـد؟

هز المتشرد رأسه وقال:

- مَـن منكـم سـمع بجنِّيـة متنكـرة في شـكل رجـل أشـعث متـشرد؟ لا يـا عزيـزتي دورثي، لسـت المـلام عـلى هـذه الرحلـة بـأي شـكل.. أعـترف بـأن هنـاك أشـياء غريبـة حدثـت لي منـذ امتلكـت مغناطيـس الحب، ولكـني لا أعـرف عنهـا أكـثر ممـا تعرفـين.. لـم أحـاول إبعـادك عـن المـنزل، وإن أردتِ العـودة سأسـاعدك بـكل مـا أسـتطيع.

فكرت الفتاة قليلاً وقالت:

- لا تشغل بالك، لا يوجد شيء في كانساس يستحق الرؤية، وأعتقد أن عمتي إم لن تقلق كثيرًا لغيابي الطويل.

هز الملك رأسه بالموافقة وقال:

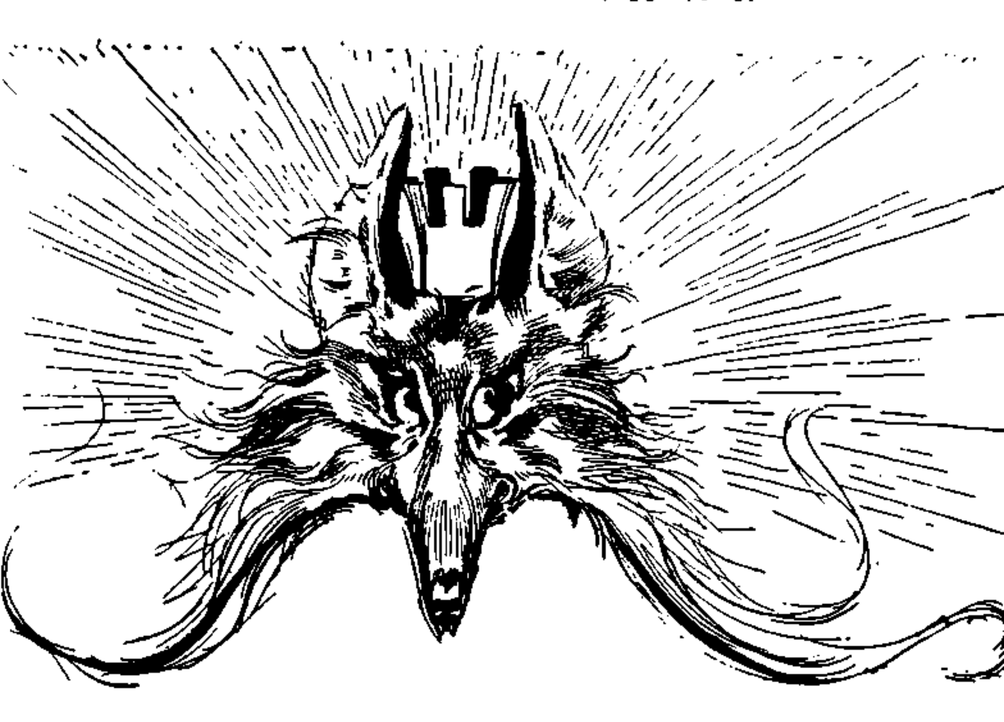
- هذا صحيح، كونوا سعداء بإقامتكم هنا مهما حدث.. إنكم تصطحبون مرافقًا جديدًا في مغامرتكم، يبدو ذكيًّا وباهرًا.

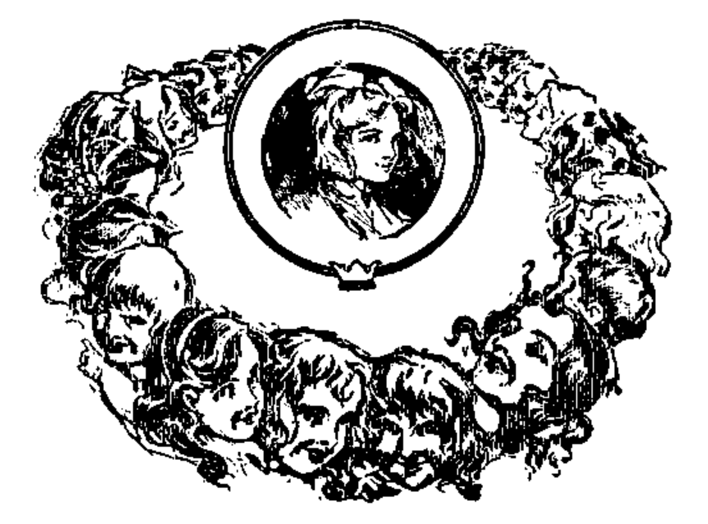
قالت دورثي:

- نعم!

وأضاف المتشرد:

- اسمه برعم باهر يا جلالة الملك!





الفصل الرابع

الملك دوكس

ارتسم تعبير طريف على وجه ملك الثعالب وهو ينظر إلى برعم باهر، بقبعة البحار على رأسه والحذاء الغليظ في قدميه. كما ارتسم تعبير مماثل على وجه الولد وهو يحدق إلى الملك. فلم يشاهد الثعلب وجهًا أكثر براءة وعذوبة من وجه هذا الولد، ولم يشاهد الولد في حياته ثعلبًا يتكلم، ولم يحكِ له أحد عن الأراضي الخيالية التي تتكلم الحيوانات فيها.

سأله الملك:

- هل تعجبك بلدتنا؟

قال برعم باهر:

- معرفش.

رد الملك:

- بالطبع لا تعرف، فنحن لم نتعرف جيدًا بعد.. ماذا تقترح أن يكون اسمي؟

قال برعم باهر:

- معرفش.

قال الملك:

- الحقيقة، لا يجب عليك معرفة اسمي، فلم أخبرك به. حسنًا اسمي الشخصي هو دوكس، ولكن الملك لا يجب منادته باسمه الشخصي، يجب أن يكون له اسم رسمي.. واسمي الرسمي هو الملك رينارد[1] الرابع.. رين-ارد، تُنطق بكسر الراء في مقطع (رين).

سأل برعم باهر:

- ما هو (رين)؟

هتف الملك:

- يا لك من ذكي!

والتفت إلى مستشاريه وقال:

- هذا الولد ذكي على نحو باهر.. لقد سأل (ما هو رين؟)[2] وبالطبع (رين) لا تعني شيئًا بذاتها، إنها مجرد مقطع من الاسم. كم أنت ذكي وباهر!

---

(1) اسم الملك الرسمي هو Renard the Fourth رينارد الرابع. رينارد كلمة فرنسية الأصل تعني ثعلب وتنطق بالفرنسية Reynard لذا هو ينوه بضرورة نطق الكسرة في مقطع ren لتظهر y كما في النطق الفرنسي. Reynard the Fox هي شخصية مشهورة في الفلكلور الأوروبي، وترجع أصولها وحكاياتها إلى الإنجليز والفرنسيين والألمان، وأقدم أصولها إلى منتصف القرن الثاني عشر الميلادي. أحب أن أضيف أن اسم بلدة الثعالب هو foxville ومقطع -ville هو مقطع من اللغة الفرنسية يعني "بلدة".

(2) الملك يظن أن الولد يسأله ما هو (رين)، أو ما أهميتها، لهذا يرى أن السؤال ذكي.

قال أحد المستشارين:

- هذا السؤال ماكر يا جلالة الملك[1].

فقال الملك لمستشاريه:

- إذًا فليكن واحدًا منا.

والتفت إلى برعم باهر وسأله:

- بما أني أخبرتك باسمي.. بم ينبغي أن تناديني؟

رد برعم باهر:

- الملك دوكس.

سأله الملك:

- لماذا؟

أجاب:

- لأن (رين) لا تعني شيئًا.

قال الملك:

- برافو، برافو! أنت بكل تأكيد لديك عقل مشرق وباهر.. هل تعرف لماذا اثنان واثنان تصنع أربعة؟[2]

قال برعم باهر:

- معرفش!

---

(1) المستشار يصف سؤال برعم باهر بأنه سؤال foxy أي ماكر، ولكنه يقصد أيضًا أنه ثعلبي، وهو السبب في ما يلي من أحداث.

(2) سؤال الملك هو why two and two make four سؤال نحوي في اللغة الإنجليزية كُتبت فيه مقالات ودراسات. أهمها أن من المفترض أن نستخدم فعل make في صورة الجمع في حالة العملية الحسابية الجمع فيكون make. ولكن من المفترض أيضًا أن نستخدم فعل make في الصورة المفردة في حالة العملية الحسابية الضرب فيكون makes. وبما أن 2 و2 تساوي 4 في حالة الجمع والضرب، فكلاهما صحيح. ولكن نستخدم صورة الجمع للفعل لأن الأكثر شيوعًا لتلك العملية الحسابية هو الجمع. لهذا فسؤال الملك سؤال ماكر وإجابة برعم باهر صحيحة.

قال الملك:

- ممتاز، ممتاز! بالطبع لا تعرف، فنحن نعرف فقط أنها أربعة[1] دون أن نعرف لماذا. يا برعم باهر، خصلاتك الذهبية وعيناك الزرقاوان لا تتماشى مع كل هذه الحكمة والذكاء. سأمنحك رأس ثعلب، لتكون دائمًا باهرًا ومشرقًا كما ينبغي لك أن تكون.

وفي أثناء كلامه، لوح الملك بكف يده تجاه الولد، وعلى الفور اختفت الخصلات الجميلة والرأس المدور والعينان الزرقاوان، وحل محلها رأس ثعلب على كتفي برعم باهر؛ رأس مشعر بأنف حاد وأذنين مدببتين وعينين صغيرتين لامعتين.

صاحت دورثي:

- أوه، لا تفعل هذا!

وانكمشت وتراجعت من صدمتها بالتحول الذي حدث لرفيقها.



(1) الملك يقصد أنها حقيقة عالمية لا تحتاج لبرهان في الجمع أوالضرب.

قال لها الملك:

- لقد فات الأوان.. بإمكانك الحصول على رأس ثعلب، إن أثبتِّ أنكِ ذكية مثل برعم باهر.

هتفت دورثي عندما سمعت وعد الملك:

- لا، لا أريد، إنه رأس مخيف!

استعجب الملك وقال:

- كيف تقولين هذا؟ إنه رأس أجمل بكثير من رأسه الأول.. زوجتي دائمًا ما تقول إن ذوقي جيد.. لا تبكِ أيها الولد الثعلبي الصغير، ابتسِم واشعر بالفخر، أنت محظوظ بحصولك على هذا الرأس. كيف حال الرأس الجديد معك يا برعم باهر؟

أجهش الولد بالبكاء وقال:

- ممر.. ممر... معر... معرفش!

قالت دورثي للملك متوسلة:

- أرجوك أعد له رأسه الأصلي يا جلالة الملك!

رد الملك دوكس:

- لا أستطيع، حتى لو أردت، ليست لي القدرة على ذلك.. برعم باهر يجب أن يرتدي رأس الثعلب، وسوف يحبه عندما يعتاده.

تبادل المتشرد ودورثي نظرات القلق والذعر، فقد شعرا بالأسف على رفيقهما الصغير. نبح دودو على الولد الثعلبي الصغير مرة أو مرتين، فهو لم يدرك أنه صديقه السابق ولكن يرتدي رأس ثعلب. لكن دورثي كبلت الكلب وجعلته يصمت. أما الثعالب، فاعتقدوا أن الرأس الجديد مناسب للولد، وأن ملكهم منح شرفًا كبيرًا لهذا الغريب الصغير. وبدا الولد مضحكًا وهو يتحسس وجهه الجديد ويلمس أنفه الحاد وفمه العريض بيديه البشريتين. ورغم أنه يهز أذنيه بطريقة هزلية، نزلت

دمـوع مـن عينيـه السـوداوين الصغيرتـين. فلـم تضحـك دورثي، وخامرهـا حـزن شـديد عـلى الولـد.

دخلـت ثـلاث أمـيرات ثعالـب، هـن بنـات الملـك، إلى قاعـة العـرش، وحـين رأيـن برعـم باهـر، هتفـت الأولى:

- "مـا أجملـه!" وهتفـت الثانيـة: "مـا أروعـه!" وهتفـت الثالثـة: "مـا أحـلاه!" فتوقـف برعـم باهـر عـن البـكاء وسـأل بخجـل: "أنـا؟"

قالت الكبرى:

- "بالطبع أنت! لم أرَ في كل العالم وجهًا بهذا الجمال".

وقالت الصغرى:

- "يجب أن تعيش معنا وتصبح أخي الأصغر".

وقالت الثالثة:

- "سوف نحبك بكل قلوبنا".

هـذا المديـح جعـل الولـد يشـعر بالراحـة، والتفـت إليهـن وحـاول أن يبتسـم، وكانـت محاولـة يـرثى لهـا، فوجـه الثعلـب جديـد وجامـد.

قـال المتـشرد بصعوبـة وهـو يبلـع ريقـه فلـم يكـن ليعـرف أي رأس ينـوي الملـك تحويلهـا بعـد ذلـك:

- أعتقد أن علينا الرحيل الآن.

ترجّاهم الملك دوكس قائلاً:

- لا ترحلـوا أرجوكـم، أتوسـل إليكـم.. فأنـا أعـتزم اسـتضافتكم عـدة أيـام، أقيـم فيهـا الولائـم عـلى شرف زيارتكـم النبيلـة.

قالت دورثي بحسم:

- بإمكانـك أن تقيمهـا بعدمـا نرحـل مـن هنـا، فنحـن لا نسـتطيع البقـاء.

وحين رأت الإحباط على وجه الملك أضافت:

- إلا إن كنت تريد دعوة من الأميرة أوزما.. فيجب أن أقابلها سريعًا.. بالتأكيد ستقدر ذلك.

على الرغم من جمال بلدة الثعالب، شعرت دورثي والمتشرد أنهم ليسوا آمنين في هذا المكان. لكن الملك قال:

- لقد حل المساء، وفي كل الأحوال يجب أن تبقوا حتى الصباح.. أنا أدعوكم الليلة إلى العشاء، ومشاهدة العرض المسرحي من المقصورة الملكية.. ولترحلوا في الصباح إن كنتم مصرين على استكمال رحلتكم.

وافقت دورثي والمتشرد على ترتيب الملك، فأرشدهم الخدم الثعالب إلى جناح في القصر الكبير، به غرف فاخرة. خاف برعم باهر من المكوث في غرفة بمفرده، فأخذته دورثي للإقامة في غرفتها الخاصة.

اهتمت وصيفة ثعلبة بشعر دورثي، وصنعت لها ضفائر وزينتها بأشرطة ملونة. كما مشطت وصيفة ثعلبة أخرى رأس برعم باهر المشعر. أرادت الوصيفتان أن يرتدي الطفلان أزياء راقية من الريش المنسوج، مثل كل ملابس الثعالب في البلدة، ولكنهما لم يوافقا.

قالت الوصيفة:

- زِي البحّار لا يناسب رأس الثعلب.. فلا يوجد ثعلب بحار.

قال برعم باهر:

- أنا لست ثعلبًا.

قالت الوصيفة:

- بالطبع، ولكنك الآن تملك رأس ثعلب!



تذكـر برعـم باهـر محنتـه وبـدأ يبـكي ثانيـة. فهدّأتـه دورثي، وربتـت عليـه ووعدتـه أنهـا سـتجد وسـيلة لاسـتعادة رأسـه الأصـلي، وقالـت:

- إن اسـتطعنا الوصـول إلى أوزمـا، سـتعيدك كمـا كنـت في لمـح البـصر.. عليـك أن تتحمـل هـذا الـرأس قـدر الإمـكان يـا عزيـزي.. هـل تسـتطيع؟

توقف برعم باهر عن البكاء وقال بارتياب:

- معرفش.

سـمحت دورثي للوصيفـة بتعليـق شرائـط عـلى كتفيهـا، وبعدهـا أصبحـا مسـتعدين لحضـور عشـاء الملـك. وعندمـا قابـلا المتـشرد في صالة الاسـتقبال بالقـصر، وجـداه عـلى حالـه، فقـد رفـض التخـلي عـن ملابسـه الباليـة وارتداء ملابـس جديـدة، لأنـه إذا فعـل ذلـك، لـن يكـون المتـشرد الـذي يعرفونـه. ورغـم أنـه قـال إنـه صفـف شـعره الأشـعث وشـاربه الكـث، كانـت متأكـدة مـن أنـه صففهمـا بالعكـس، لأنهمـا منكوشـان أكـثر ممـا كانـا مـن قبـل.

الثعالـب الذيـن رافقـوا الغربـاء عـلى العشـاء، كانـوا مهندمـين للغايـة، ويرتـدون أزيـاء أنيقـة وفاخـرة، لدرجـة أن ملابـس دورثي وبرعـم باهـر بـدت تافهـة وعاديـة. ولكنهـم رحبـوا بالضيـوف باحـترام كبـير، ولأن الثعالـب مغرمـون بالدجـاج والطيـور؛ كانـت مأدبـة عشـاء الملـك غنيـة بأطبـاق حسـاء الدجـاج والديـك الرومـي المشـوي، والبـط المحمـر، والإوز المشـمر، والسـمّان المعمـر، والحمـام المحشـو، وفطـيرة البجـع.

بعـد العشـاء ذهبـت الصحبـة إلى المـسرح، وشـاهدوا مسرحيـة يمثلهـا الثعالـب، وتحـكي قصـة خطـف ثعلبـة عـلى يـد ذئـاب شريـرة واحتجازهـا في كهـف، وقبـل قتلهـا هجمـت فرقـة مـن الجنـود الثعالـب، وحـررت الثعلبـة، وقتلـت كل الذئـاب المجرمـين.

الملك سأل دورثي:

- هل أعجبتك المسرحية؟

أجابت:

- جميلة جدًّا، تذكرني بواحدة من حكايات إيسوب[1] الخرافية.

قال الملك مستنكرًا:

- أرجـوكِ لا تذكريـني بهـذا الرجـل.. أنـا أكرهـه وأكـره اسـمه.. لقـد كتـب قصصًـا جيـدة عـن الثعالـب، ولكنـه دائمًـا يظهرنـا كقسـاة وأشرار، ونحـن كمـا تريـن ظرفـاء ولطفـاء.

قال المتشرد:

- ولكنكـم تظهـرون في تلـك الحكايـات أكـثر حكمـةً ودهـاءً مـن بقيـة الحيوانـات!

---

(1) إيسـوب (564 ق.م - 620 ق.م) هـو كاتـب إغريقـي اشـتهر بكتابـة حكايـات تنسـب إليـه باسـم "خرافـات إيسـوب"، وقـد عـاصر كرويسـوس وسـولون في منتصـف القـرن السـادس قبـل الميـلاد، في اليونـان القديمـة.



رد الملك بفخر:

- نعـم نحـن كذلـك ليـس هنـاك جـدال بشـأن معرفتنـا أكـثر ممـا يعرفـة البـشر وبقيـة الحيوانـات.. لكننـا نوظـف حكمتنـا للخـير، وذلـك الإيسـوب المرعـب لا يعـرف عـم يتكلـم.

لـم يرغـب المغامـرون في إكمـال النقـاش مـع الملـك، فقـد شـعروا أنـه يعـرف عـن طبيعـة الثعالـب أكـثر ممـا يعـرف البـشر، فصمتـوا واسـتكملوا مشـاهدة المسرحيـة، الـتي أعجبـت برعـم باهـر لدرجـة أنـه نـسي أن فـوق كتفيـه رأس ثعلـب. بعدهـا عـادوا إلى القـصر ونامـوا عـلى فـرش محشـوة بالريـش. فالثعالـب يربـون الطيـور للطعـام، ويسـتخدمون ريشـها للنسـيج والملابـس والفـرش. تسـاءلت دورثي متعجبـة، لمـاذا لا ترتـدي الثعالـب جلودهـا المشـعرة كمـا تفعـل الثعالـب البريـة؟ سـألت الملـك دوكـس عـن السـبب في هـذا، فقـال:

- لأننا متحضرون!

قالت دورثي:

- لكنكم مولودون بلا ملابس.. ومن الواضح أنكم لا تحتاجون إليها.

رد الملك بثقة:

- البشر أيضًا يولدون بلا ملابس.. وقبل التطور الحضاري كانوا يلبسون جلدهم الطبيعي فقط.. لكن أن تكون متحضرًا هو أن ترتدي ثيابًا فخمة وجميلة قدر الإمكان، وتثير بها غيرة جيرانك.. لهذا، يقضي البشر والثعالب المتحضرون كثيرًا من الوقت في ارتداء الثياب.

قال المتشرد:

- لكني لا أفعل هذا!

نظر إليه الملك بهدوء وقال:

- هذا صحيح.. لذا، أظن أنك لست متحضرًا.

بعد نوم هادئ، استيقظت الصحبة، وتناولوا فطورهم مع الملك، ثم ودّعوه.

قالت دورثي:

- لقد كنت كريمًا معنا، بصرف النظر عما حدث لبرعم باهر، فقد قضينا وقتًا لطيفًا هنا في بلدة الثعالب!

رد الملك:

- إذًا، عليكِ أن تكوني كريمة معي، وتحضري لي دعوة لاحتفال عيد ميلاد الأميرة أوزما.

ردت دورثي:

- سأحاول.. إن رأيتها في الوقت المناسب.

قال لها الملك:

- تذكـري أن عيـد ميلادهـا في الحـادي والعشريـن مـن الشـهر.. ولـو دبـرتِ لي الدعـوة، سـأجد وسيلة لعبـور الصحـراء المميتـة، والدخـول إلى أرض أوز المدهشـة، كنـت دومًـا أريـد زيـارة مدينـة الزمـرد.. مـن حسـن حظـي أني قابلتـك، فأنـتِ صديقـة الأمـيرة أوزمـا، وسـوف تسـاعدينني في الحصـول عـلى دعـوة.

علقت دورثي:

عندما أرى أوزما سأطلب منها دعوتك إلى حفلها.

أمـر الملـك بتحضـير سـلة طعـام للمسـافرين، حشرهـا المتـشرد في جيب معطفـه الواسـع. ورافقهـم كابـتن ثعلـب إلى المدخـل المقـوس الحجـري في الناحيـة الأخـرى مـن البلـدة، وهنـاك وجـدوا جنـودًا يحرسـون الطريـق.

فسألته دورثي:

- هل تخافون من أعداء؟

أجابها كابتن ثعلب:

- لا، لا نخـاف، فنحـن قـادرون عـلى الدفـاع عـن أنفسـنا جيـدًا، لكـن هـذا الطريـق يـؤدي إلى بلـدة أخـرى، سـكانها ضخـام وأغبيـاء، ويمكـن أن يسـببوا لنـا مشـكلات إن ظنـوا أننـا نخـاف منهـم.

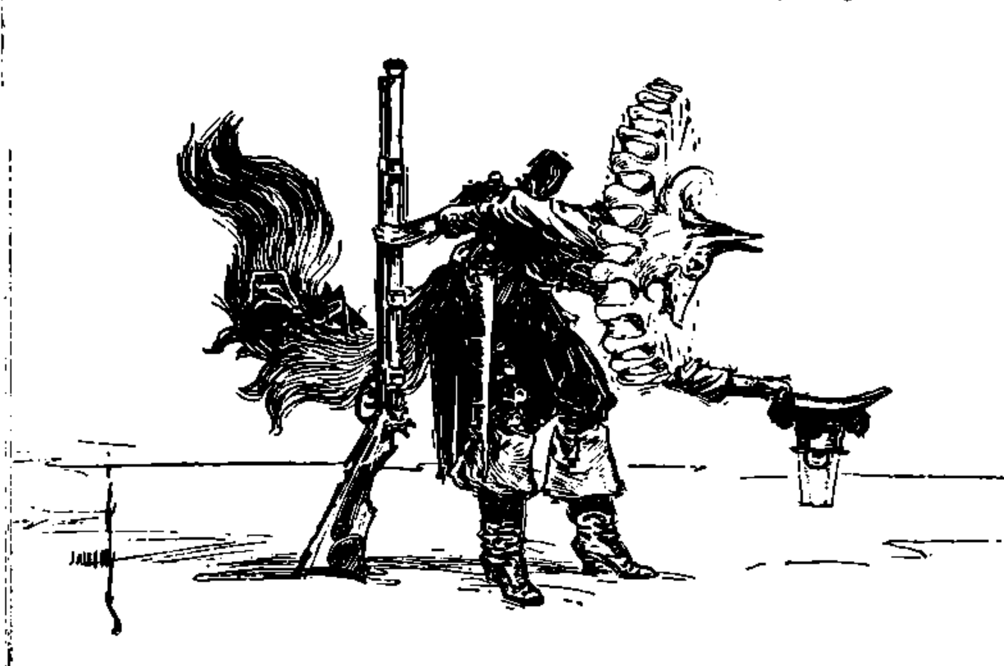
سأله المتشرد:

- ما هي هذه البهائم؟

تردد كابتن ثعلب في الإجابة قليلاً، ولكنه أجاب أخيرًا:

ستتعرفون عليهم عندما تصلون إلى بلدتهم.. لكن لا تخافوا منهم.. هذه هي نصيحتي.. كما أن معكم برعم باهر، وهو ذكي جدًّا، وأنا واثق بأنه يستطيع حمايتكم.

شعر كل من دورثي والمتشرد بالقلق من إجابة كابتن ثعلب، فهم لا يثقون في حكمة الولد الثعلب كما يثق فيه الكابتن، لكنهم ودّعوه واستكملوا رحلتهم.





الفصل الخامس

ابنة قوس قزح

انطلق دودو سعيدًا بحريته في النباح على الطيور وملاحقة الفراشات، ويمرح كما يشاء في الحقول الجميلة المليئة بالزهور البرية، التي تنمو بها أشجار ترمي بظلالها على مساحات واسعة بلا منازل أو سكان. العصافير تطير في السماء، والأرانب البيضاء اندفعت من الأعشاب الطويلة إلى الشجيرات الصغيرة. لاحظت دورثي أن حتى النمل يمشي في صفوف منتظمة بنشاط على طول الطريق، يحمل حمولات ضخمة من بذور البرسيم. لكن لم يكن هناك بشر على الإطلاق.

سارت الصحبة لساعة أو اثنتين، ثم انحنى الطريق بهم، فشاهدوا أمامهم منظرًا أثار فضولهم. كانت هناك فتاة صغيرة في هيئة جنية جميلة وتشع حيوية، ترتدي ثيابًا أنيقة، وترقص برشاقة في منتصف الطريق المنعزل. رداؤها الفضفاض منسوج من مواد ناعمة، ذكرت دورثي بنعومة وهشاشة نسيج العنكبوت، إلا أنه ملون بصبغات مبهرة من البنفسجي والوردي والياقوتي واللازوردي والزيتوني والأبيض، امتزجت

كلهـا بشـكل منسـجم. وشـعرها مثـل خيـوط الذهـب المغـزول يرفـرف حولهـا. ولـم تكـن هنـاك أحزمـة تربـط الـرداء حـول خصرهـا، أو مشـابك ودبابيـس تلـف شـعرها الـذي يطـير حولهـا في سـحابة شـفافة.

بمشـاعر تعجـب وإعجـاب، اقتربـت الصحبـة منهـا، ووقفـوا يشـاهدون رقصهـا الفاتـن. لـم تكـن أطـول مـن دوروثي، ولـم تكـن تبـدو أكـبر مـن بطلتنـا الصغـيرة. فجـأة، توقفـت وتخلـت عـن رقصهـا، كأنهـا أول مـرة تـرى غربـاء. واجهتهـم في خجـل وهـي واقفـة عـلى قـدم واحـدة كأنهـا سـتطير في اللحظـة التاليـة. واندهشـت دوروثي مـن رؤيـة الدمـوع تنهمـر مـن عينيهـا البنفسـجتين، وتسـيل عـلى خديهـا الورديـين. فتلـك الفتـاة الـتي ترقـص وتبـكي في نفـس الوقـت هـي بالتأكيـد مدهشـة.

سألتها دوروثي بصوت ناعم:

- هل أنتِ حزينة أيتها الصغيرة؟

ردت:

- نعم، حزينة جدًّا! فأنا تائهة.

ابتسمت دوروثي وقالت:

- نحن أيضًا تائهون.. لا تبكي على هذا الحال!

قالت البنت:

- ولماذا لا أبكي؟ ألا تبكين أنتِ؟

أجابت دوروثي ببساطة:

- لأني تهت من قبل، ودائمًا ما أعثر على البيت.

تمتمت البنت:

- ولكني لم أتوه من قبل.. أنا خائفة وقلقة!



قالت دورثي متحيرة:

- ولكنك كنتِ ترقصين منذ قليل!

قالت البنت شارحة:

- هذا الرقص غرضه أن أبقى دافئة، ولا علاقة له بالسعادة أو الفرح.

تفحصتها دورثي عن كثب، قد لا تكون ملابسها الشفافة الرقيقة كافية لتدفئتها، ولكن الجو لم يكن باردًا أصلاً، بل بالعكس معتدل ومشرق. يوم ربيعي بامتياز.

سألتها بلطف:

- مَن أنتِ يا عزيزتي؟

ردت البنت:

- أنا بوليكروم.. أنا ملونة.[1]

تساءلت دورثي:

- بولي ماذا؟

ردت البنت:

- بوليكروم.. ملونة.. ابنة قوس قزح!

قالت دورثي مبهورة:

- أوه، لم أكن أعرف أن قوس قزح لديه أبناء.. ولكن ينبغي لي أن أتوقع ذلك! قبل أن تخبريني! فأنتِ لا يمكن أن تكوني أي شيء آخر غير ابنة قوس قزح.

استفسرت بوليكروم كأنها مندهشة:

- لماذا؟

ردت دورثي:

- لأنكِ أجمل وألطف فتاة قابلتها.

---

(1) انظر هامش المقدمة.

ابتسمت البنت من بين دموعها، واقتربت من دورثي أكثر، ولمست بيدها الرقيقة يد دورثي وقالت برجاء:

- هل يمكن أن تكوني صديقتي؟

ردت دورثي:

- بالطبع.

سألتها بوليكروم:

- وما اسمك؟

أجابت بطلتنا:

- اسمي دورثي، وهذا صديقي المتشرد الذي يملك مغناطيس الحب.. وهذا برعم باهر، ولكن ليس هذا مظهره الحقيقي، لأن ملك الثعالب حوّل رأسه باستهتار إلى رأس ثعلب.. لكن الرأس الحقيقي للولد الصغير جميل وبهيّ، وأتمنى أن أستطيع مساعدته ليستعيده ثانية عما قريب.



أومـأت ابنـة قـوس قـزح بابتسـامة، ولـم تعـد تشـعر برهبـة مـن الصديـق الجديـد، ولكنهـا أشـارت إلى دودو الـذي جلـس بجوارهـا يهـز ذيلـه بإعجـاب، وسـألت:

- ومَن هذا؟ هل هو أيضًا شخص مسحور؟

ردت دورثي:

- أوه، لا، يـا بوليـ. هـل تسـمحين لي بمناداتـك "بـولي"؟ فاسـمك طويـل وصعـب النطـق.

قالت بولي:

- بإمكانك مناداتي "بولي" كما تشائين.

فقالت دورثي:

- حسـنًا يـا بـولي.. دودو هـو كلـب فحسـب، ولكنـه يمتلـك وعيًـا أكـثر ممـا يمتلـك برعـم باهـر.. أنـا مغرمـة بـه.

ربتت بولي على رأس الكلب وقالت:

- وأنا أيضًا!

استمع المتشرد لما دار بتعجب، وسأل بولي:

- ولكن كيف لابنة قوس قزح أن تتوه في هذا الطريق المنعزل؟

أجابت بولي:

- أبي مـد قـوس قـزح في هـذا المـكان صباحًـا، فنزلـت نهايتـه عـلى هـذا الطريـق المنعـزل، وبينمـا كنـت أرقـص عـلى أشـعة الضـوء الجميلة، لـم أدرك أنـني ابتعـدت عـن قمـة القـوس، وفجـأة وجـدت نفـسي أنزلـق عـلى منحـنى القـوس، وسريعًـا سريعًـا وقعـت في هـذا الطـرف وسـقطت عـلى الأرض.. بعدهـا، رفـع أبي القـوس ولـم ينتبـه إلى وقوعـي هنـا.. لقـد حاولـت الإمسـاك بهـذا الطـرف قبلمـا يختفـي، ولكنـه كان قـد ذاب تمامًـا، وتُركـت بمفـردي وحيـدة في هـذا الـبرد.

قالت لها دورثي:

- الجـو ليـس بـاردًا يـا بـولي.. لعـل السـبب أنـك ترتديـن ملابـس خفيفـة.

ردت ابنة قوس قزح:

- لقـد اعتـدت أن أعيـش بجـوار الشـمس، وهنـاك الجـو أكـثر دفئًـا بكثـير مـن هنـا.. لقـد خفـت أن أتجمـد مـن الـبرد، لـذا أرقـص لأظـل دافئـة.. والآن أنـا حزينـة لأني لا أعـرف طريـق العـودة للبيـت.

سألتها دورثي:

- ألـن يفتقـدك والـدك، ويرسـل قـوس قـزح آخـر كي يحملـك إلى البيـت؟

قالت بولي:

- احتمـال، لكنـه مشـغول الآن، لأنهـا تمطـر في أنحـاء كثـيرة مـن العالـم هـذا الموسـم، وعليـه وضـع القـوس في أماكـن مختلفـة.. بماذا تنصحيني يا دوري؟



ردت دورثي:

- تعـالي معنـا، نحـن ذاهبـون إلى مدينـة الزمـرد، عاصمـة أرض أوز.. تحكمهـا صديقـة لي اسـمها الأمـيرة أوزمـا.. إن وصلنـا إلى هنـاك، أعتقـد أنهـا سـتعرف طريقـة لتعيـدك إلى البيـت ثانيـة.

قالت بولي بارتياح:

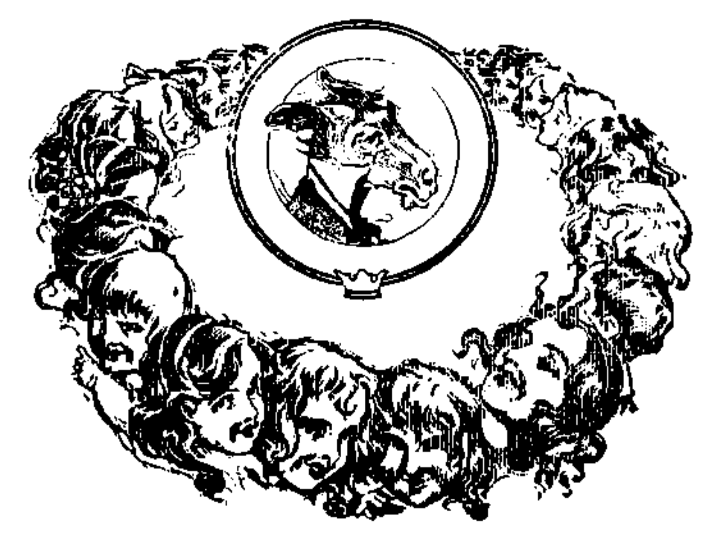
- إذًا سـأذهب معـكِ.. فالسـفر سيسـاعدني أن أبقـى دافئـة، وأبي يسـتطيع العثـور عـليّ في أي مـكان مـن العالـم، إذا فكـر في البحـث عـني!

قال المتشرد بمرح:

- إذًا هيا بنا!

اسـتأنفت الصحبـة رحلتهـا مـع الرفيقـة الجديـدة، الـتي أمسـكت يـد دورثي كأنهـا تخـاف أن تفلتهـا ولكـن طبيعتهـا بـدت خفيفـة ورهيفـة مثـل ردائهـا الهـش والشـفاف. وفجـأة قفـزت للأمـام، وأخـذت ترقـص وتـدور حـول نفسـها، ثـم عـادت إليهـم مسـتعيدة مزاجهـا السـعيد، ناسـية كونهـا تائهـة.

شـعرت الصحبـة أنهـا عـثرت عـلى رفيقـة فاتنـة، فرقصهـا وضحكهـا طـوال الوقـت عـلى أشـياء بسـيطة، بـث روح المـرح في الرحلـة.



الفصل السادس

مدينة البهائم

عند منتصف النهار، فتح المتشرد سلة الطعام، ووجد ديكًا روميًا مشويًا، مع صلصلة التوت البري وشرائح من الخبز والزبد. وبينما يستريحون على جانب الطريق، قطع المتشرد الديك الرومي بمطواة صغيرة، ووزعه عليهم.

سألته بولي بلهفة:

- هل معك حلوى الندى أو كعك الغيوم؟

ردت دورثي بدهشة:

- بالطبع لا، نحن نأكل أشياء صلبة مصنوعة على الأرض.. هذه زجاجة شاي بارد، جربيها!

رأت بولي أن برعم باهر يلتهم ورك الديك الرومي، فسألته:

- هل هو لذيذ؟

أومأ برسه إيجابًا، فأكملت:

- هل تظن أني أستطيع أكلها؟

فرد برعم باهر:

- ليست هذه.

فقالت:

- لا أقصد هذه القطعة، أقصد قطعة أخرى.

فرد:

- معرفش!

فقالت:

- حسنًا، سأجربه.. أنا جوعانة جدًّا.

أعطاها المتشرد شريحة رقيقة من صدر الديك الرومي، مع قضمة من الخبز والزبد. تذوقته فبدا لها أفضل من كعك الغيوم. أشبع جوعها قليلاً، وتناولت بعده رشفة من الشاي البارد.

قالت لها دورثي وهي تتناول طعامها:

- لقد أكلتِ قدرًا قليلاً جدًّا كأكلة النملة.. ولكني أعرف أشخاصًا في أوز لا يأكلون على الإطلاق.

سألها المتشرد:

- ومَن هم؟

أجابته دورثي:

- أحدهم هو خيال المآتة المحشو بالقش، والثاني هو الحطاب المصنوع من الصفيح.



سأل برعم باهر:

- هل هم أحياء؟

أجابته:

- بالطبـع، وهـم أيضًـا في غايـة الـذكاء واللطـف، عندمـا نصـل إلى أرض أوز، سـأعرفك عليهـم.

شرب المتشرد قليلاً من الشاي البارد وسألها:

- هل تتوقعين حقًّا أن نصل إلى أرض أوز؟

أجابت دورثي بجدية:

- أنـا لا أعـرف مـاذا عـلي أن أتوقـع. لكـني لاحظـت أن في كل مـرة أتـوه فيهـا، ينتهـي بي الحـال إلى أرض أوز، بطريقـة مختلفـة في كل مـرة، لكـن ينتهـي بي المطـاف إلى هنـاك.. لا أسـتطيع أن أعدكـم بـشيء، فكمـا تعرفـون، كل مـا أسـتطيع فعلـه هـو الانتظـار، ولـنرى مـاذا سـيحدث.

سألها برعم باهر:

- هل سيخيفني خيال المآتة؟

قالت دورثي مستنكرة:

- لا، فأنـت لسـت غرابًـا.. كمـا أنـه يملـك ألطـف ابتسـامة يمكـن أن تراهـا، رغـم أنهـا مرسـومة ولا يقـدر عـلى الابتسـام بنفسـه.

انتهـوا مـن الغـداء، واسـتكملوا الرحلـة. مـشى المتـشرد ودورثي وبرعـم باهـر متجاوريـن عـلى الطريـق، وأمامهـم بـولي تخطـو راقصـة بمـرح. أحيانًـا تغيـب عـن بصرهـم ، ولكنهـا تعـود لتبهرهـم بابتسـامتها الذهبيـة. وفي مـرة رجعـت وعـلى ملامحهـا الجديـة وقالـت:

- هناك مدينة في طريقنا.

قالت دورثي:

- نحـن نتوقـع هـذا.. فالنـاس في بلـدة الثعالـب حذرونـا منهـم.. إنهـا مدينـة بهائـم أغبيـاء مـن نـوع مـا، ولكـن يجـب ألا نخافهـم، وعندهـا لـن يؤذونـا.

قال برعم باهر:

- حسنًا.

ولكن بولي قالت بقلق:

- إنها مدينة كبيرة، والطريق يخترقها باستقامة.

قال المتشرد:

- لا تقلقـي.. مـا دام معـي مغناطيـس الحـب، سـيحبني كل كائـن حـي، ولـن أسـمح بـأن يتـأذى أصدقـائي تحـت أي ظـرف.

أشـعرتهم هـذه الكلمـات بالراحـة قليـلاً، فاسـتمروا في المـشي حـتى رأوا لافتـة مكتوبًـا عليهـا:

"نصف ميل إلى بلدة الحمير"

قال المتشرد:

- أوه، إذًا هم مجرد حمير. لا يجب أن نخاف منهم.

قالت دورثي متشككة:

- قد يرفسوننا!

رد المتشرد بحسم:

- إذًا نستخدم خيزرانة لنعلمهم الأدب.

ومـن أول شـجرة قابلوهـا، قطـع عصـا طويلـة ورفيعـة مـن أحـد الأغصـان، ومجموعـة مـن العـصي القصـيرة لـكل واحـد منهـم.

وأكملـوا مسـيرتهم حـتى وصلـوا إلى بوابـات المدينـة، وهنـاك وجـدوا أسـوارًا عاليـة مطليـة بالأبيـض. والبوابـات مجـرد فتحـة في الجـدار، فـلا توجـد قضبـان حديديـة عـلى سياج، ولا أبـراج أو قبـاب تميـز المدخـل. وفي أثنـاء اقترابهـم وعبورهـم المدخـل لـم يـروا أي كائـن حـي.

فجـأة، وفي لحظـة عبورهـم المدخـل، صـدر صـوت عـالٍ يصـمّ الآذان، تضخـم وتـردد في كل جانـب، فاضطـروا إلى وضـع أصابعهـم في آذانهـم.

كان الصـوت يشـبه صـوت دوي المدافـع، ولكـن لـم تكـن هنـاك مدافـع أو صواريـخ. وكان يشـبه هزيـم الرعـد الهائـل، ولكـن لـم يكـن هنـاك بـرق أو سـحب في السـماء. وكان يشـبه هديـر أمـواج لا نهائيـة عـلى شـواطئ صخريـة وعـرة، ولكـن لـم تكـن هنـاك بحـار أو صخـور في أي مـكان.

تـرددوا في التقـدم لحظـات، ولكـن الضوضـاء لـم تسـبب لهـم ضررًا، فأكملـوا دخولهـم عـبر فتحـة الجـدار المطـلي بالأبيـض، وهنـاك اكتشـفوا سـبب هـذه الجلبـة الكبـيرة. كانـت بالداخـل طبـول مـن رقائـق الصفيـح أو الحديـد، ويجلـس أمامهـا صـف مـن الحمـير، يطرقـون عليهـا بحوافرهـم برفسـات عنيفـة.

أسرع المتـشرد إلى أقـرب حمـار، وضربـه بالعصـا وصرخ: "أوقـف هـذه الجلبـة"، فتوقـف الحمـار عـلى الفـور، ونظـر إلى المتـشرد بدهشـة. بعدهـا ضرب المتـشرد الحمـار الثـاني والثالـث حـتى توقـف صـف الحمـير كلـه، وتدريجيًّا خفتـت الضوضـاء الفظيعـة. ووقـف الحمـير في مجموعـة يرتجفون وأعينهـم خائفـة مـن الغربـاء.

سأل المتشرد بصرامة:

- لماذا تثيرون كل هذه الضوضاء؟

قال واحد من الحمير بخنوع:

- نحـن نخيـف الثعالـب، في العـادة يجـرون بسرعـة عندمـا يسـمعون هـذه الضوضـاء.



قال المتشرد:

- لا توجد ثعالب هنا.

رد الحمار وهو يشير إلى برعم باهر:

- اسـمح لي أن أختلـف معـك.. هـا هـو واحـد منهـم.. لقـد رأينـاه قادمًـا مـن بعيـد، فاعتقدنـا أن جيشًـا مـن الثعالـب سـوف يهجـم علينـا.

قال المتشرد شارحًا:

- برعـم باهـر ليـس ثعلبًـا، إنـه يرتـدي رأس ثعلـب فقـط لفـترة حـتى يسـتعيد رأسـه الأصـلي.

قال الحمار:

- أوه، الآن عرفـت السـبب، اعذرنـا عـلى هـذا الخطـأ.. يبـدو أننـا بذلنـا كل هـذا المجهـود بـلا فائـدة.

في أثناء هذا، جلست بقية الحمير تحدق إلى الغرباء. كان منظر الحمير غريبًا، فكلهم يلبسون ياقات بيضاء واسعة حول أعناقهم، مشرشرة ولها أطراف مدببة. يرتدي الذكور منهم قبعات بين آذانهم الطويلة، والإناث يرتدين قبعات شمسية عريضة، بها فتحات لخروج آذانهن الطويلة منها. والغريب أنهم لم يكونوا يرتدون ملابس غير جلودهم المشعرة، رغم أن العديد منهم يرتدي أساور من الفضة والذهب في معاصمهم الأمامية، وخلاخيل من معادن مختلفة في كواحلهم الخلفية. يستخدمون أرجلهم الأمامية للدفاع عندما يدخلون في عراك. وحين يقفون في وضع مستقيم، فهم يجلسون على الجزء الخلفي منهم. وعدم وجود أصابع أو أيدٍ جعل حركتهم خرقاء. لكن دورثي اندهشت عندما لاحظت أن حوافرهم الصلبة والثقيلة لها استخدامات أخرى مدهشة. بعضهم أبيض أو بني أو رمادي أو أسود، وشعرهم ناعم أملس، ومع الياقات العريضة والقبعات بدا مظهرهم أنيقًا.

علق المتشرد بنبرة تأنيب:

- إنها ليست طريقة لطيفة لاستقبال الزوار.

قال حمار رمادي:

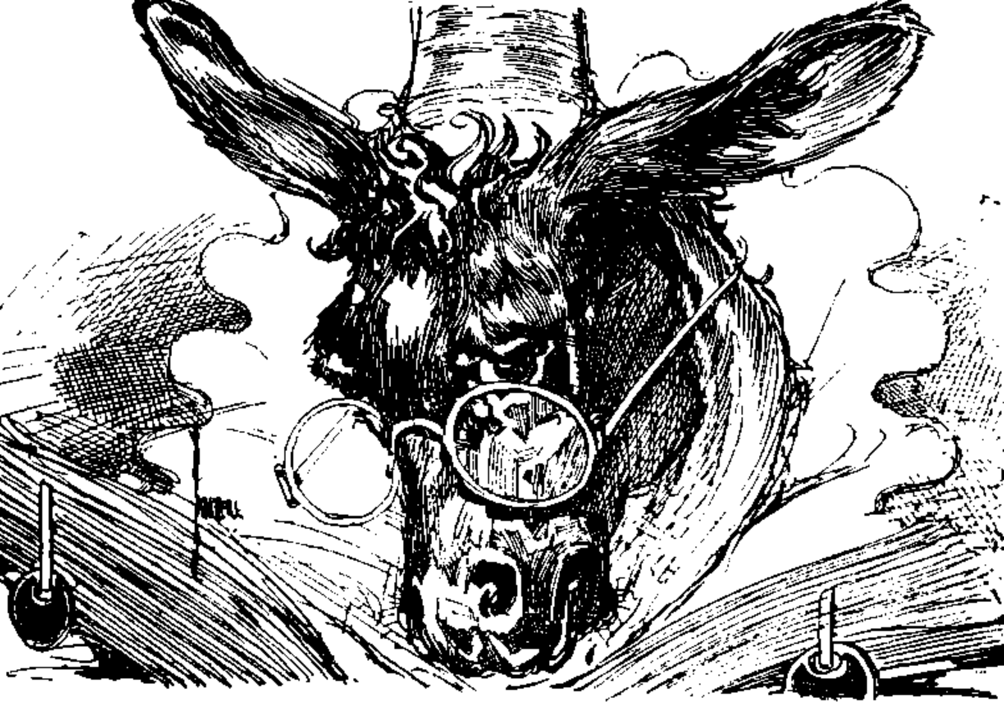
- أوه، نحن لا نقصد أن نكون غير مهذبين، لكننا لم نكن نتوقع حضوركم.. لم ترسلوا إلينا كروتًا لإبلاغنا بزيارتكم كما يحدث عادة قبل الزيارات.

قال المتشرد معترفًا:

- عندك حق، لكن الآن أنت تعرف أننا زوار مهمون ومميزون.. وأنا واثق بأنكم سترحبون بنا بطريقة مناسبة.

أحست الحمير بالسعادة من هذه الكلمات الفخمة، وانحنت للمتشرد باحترام، وقال الحمار الرمادي:

- سيستقبلكم جلالة الملك العظيم المجيد رفْس-نَهّق.



قالت دورثي:

- هذا جيد.. خذنا إلى شخص يعرف ما ينبغي أن يفعل.

قال الحمار الرمادي بزهو:

- نحن جميعًا نعرف ما نفعله يا طفلة.. فكلمة (حمار) تعني (ذكي) كما تعرفين بالطبع.

ردت دورثي:

- لم أكن أعرف.. كنت أظن أن معناها (غبي).

قال الحمار الرمادي:

- إطلاقًا، إذا نظرتِ في موسوعة (الحمارون) ستعرفين أن ما أقوله صحيح.. والآن تعالوا، سأرشدكم بنفسى إلى حاكمنا الأفخم والجليل والاكثر ثقافة.

يبدو أن كل الحمير تحب الأوصاف الرنانة، فلا عجب أن يستخدمها الحمار الرمادي في كلامه.



الفصل السابع

تحول المتشرد

المنـازل في البلـدة منخفضـة ومبنيـة بالطـوب عـلى شـكل مربعـات، ومطليـة بالأبيـض مـن الداخـل والخـارج. ولـم تكـن مرتبـة في صفـوف وبينهـا شـوارع، بـل موزعـة بطريقـة عشـوائية تثـير حـيرة أي زائـر غريـب.

قـال الحمـار الرمـادي للصحبـة وهـو يمـشي عـلى رجليـه الخلفيتـين بطريقـة مضحكـة:

- الاشـخاص الاغبيـاء هـم الذيـن لديهـم شـوارع ومنـازل مرقمـة ف مدنهـم، لكـن الحمـير الاذكيـاء يعرفـون طريقهـم بـدون علامـات سـخيفة.. كمـا أن المنـازل المختلطـة أفضـل مـن المنـازل المرتبـة في شـوارع مسـتقيمة.



لم توافق دورثي على هذا الكلام، لكنها لم تجادله. ثم رأت لافتة معلقة على أحد المنازل، مكتوبًا عليها (مدام كذوبة، الحافورة)[1] فسألت:

- ماذا تعني الحافورة؟

فأوضح الرمادي:

- إنها تقرأ الطالع من خلال الحوافر.

قالت الفتاة بسخرية:

- مممم، أنتم قوم متحضرون حقًّا!

(1) على اللافتة Madam de Fayke, Hoofist وكلمة Fayke هي تحوير لكلمة Fake وتعني "مزيف" أي مدام كذوبة، وكلمة Hoofist تحوير لكلمة Hoof وتعني الحافر، والمقطع كله على وزن فرنسي. والمقصود أن البلدة تصدق في الخرافات وقراءة الطالع، ولهذا تسخر دورثي بعد ذلك وتقول "أنتم قوم متحضرون" وهي تقصد أن المتحضرين لا يصدقون في الخرافات، ولكن الحمار الرمادي لا يفهم السخرية.

رد الرمادي بفخر:

- بلدة الحمير هي قلب العالم المتحضر!

وفي طريقهم قابلوا منزلاً يطليه حماران شابان بالأبيض، فوقفت دورثي تراقبهما لدقائق، لأنهما كانا يستخدمان ذيليهما مثل الفرشة؛ يغمسانهما في دلو الدهان، ويهزانهما يمينًا ويسارًا على الحائط لطلائه.

قال برعم باهر:

- هذه لعبة ممتعة!

فرد الرمادي:

- لا، إنه عمل وليس لعبًا، نحن نوظف الشباب لنبعدهم عن عن عمل المقالب وتهور الشباب

سألته دورثي:

- ألا يذهبون إلى المدرسة؟

فأجاب الحمار الرمادي:

- الحمير تولد حكيمة بالفطرة، لذا لا نحتاج مدرسة إلا مدرسة الحياة. أما الكتب فللناس الذين لا يعرفون شيئًا وينبغي لهم للتعلم قراءة كتب والذهاب للمدارس، أما نحن فمتعلمون منذ الولادة.قال له المتشرد:

- بمعنى آخر، الأكثر غباء هم الذين يعتقدون أنهم يعرفون كل شيء!

لكن الرمادي لم يفهم مغزى مقولة المتشرد.

وصلوا إلى منزل كبير مطلي بالأبيض، وبوابته على شكل زوجين من الحوافر، ويتدلى بينهما ذيل حمار، وأعلاه تاج خشن وصولجان رديء.

فقال الحمار الرمادي:

- انتظروا لأرى إذا كان جلالة الملك رفس-نهق في المنزل.



مـد الحمـار رأسـه إلى الأمـام وصـاح بصـوت صاخـب: "حـاااء.. حـاااء.. حـاااء" ثـلاث مـرات، ورفـس بحافـره عتبـة البـاب. لـم يـرد أحـد في البدايـة، ثـم انفتـح البـاب كفايـة ليخـرج منـه رأس ضخـم لحمـار أبيـض، لـه أذن طويلـة وقبيحـة، وحـدق إليهـم وسـألهم بصـوت مرتجـف:

- هل ذهبت الثعالب؟

رد الرمادي:

- لـم يأتـوا يـا جلالـة الملـك.. المسـافرون أثبتـوا أنهـم مسـافرون مـن نوعيـة مختلفـة.

فقال الملك بارتياح:

- أدخِلهم إذًا!

وفتـح الملـك البـاب عـلى مصراعيـه، فدخـل الأصحـاب. وكمـا توقعـت دورثي، لـم يكـن المـكان يشـبه قصـور الملـوك. كانـت عـلى الأرضيـة

سـجاجيد منسـوجة مـن العشـب، ولكنـه نظيـف وأنيـق ومرتـب، لكـن العجيـب أن المـنزل لـم يكـن بـه أي أثـاث، ربمـا لأن الملـك لا يحتـاج إلى عـرش، فقـد جلـس القرفصـاء في منتصـف الغرفـة، وأسرعـت حمـير بنيّـة صغـيرة وأحـضرت تاجًـا ذهبيًّـا كبـيرًا لوضعـه فـوق رأس فخامتـه، وصولجانًـا ذهبيًـا صغـيرًا تتـدلى منـه كـرة مـن المجوهـرات، وثبتوهـا في حافـره الأمامـي عندمـا جلـس مسـتقيمًا.

قال الملك:

- والآن أخبروني، لماذا حضرتم إلى بلدتنا، وماذا تريدون منا؟

ونظـر إلى برعـم باهـر بحـدة كأنـه خائـف منـه ومـن ورأسـه الغريـب، لكـن المتـشرد رد محـاولاً ألا يضحـك مـن منظـر الملـك:

- أيهـا الملـك النبيـل والحاكـم الأعـلى لبلـدة الحمـير، نحـن غربـاء مسـافرون عـبر منطقـة سـلطاتكم، وقـد دخلنـا مدينتكـم الرائعـة لأننـا لا نعـرف طريقًـا آخـر يلتـف حولهـا.. وكل مـا نريـده أن نقـدم الاحـترام لجلالتكـم، الحاكـم الأذكى في العالـم كلـه، وبعدهـا نسـتكمل طريقنـا.

فـرح الملـك بهـذا الخطـاب المنمـق والمهـذب، لدرجـة أنـه أحـب المتـشرد شـخصيًّا. وربمـا ألقـى مغناطيـس الحـب بتأثـيره عـلى الملـك أيضًـا. لكـن مهمـا كان، فالحمـار الأبيـض نظـر بـودّ إلى محدِّثـه وقـال:

- الحمـير فقـط لهـا القـدرة عـلى اسـتخدام تلـك الكلمـات الكبـيرة والمنمقـة.. أنـت أكـثر حكمـة وإثـارة للإعجـاب مـن أن تكـون بشريًّـا.. أشـعر أني أحبـك كمـا أُحـب المقربـين مـني، لـذا سـأعطيك أكـبر هديـة ممكنـة؛ رأس حمـار!

ولـوّح ملـك الحمـير بالصولجـان الذهـبي الصغـير في وجـه المتـشرد، فانتفـض محـاولاً الهـروب ولكـن بـلا فائـدة. وفجـأة اختفـى رأس المتـشرد، وحـل محلـه رأس حمـار بـني ذو شـعر أشـعث، فصـار منظـره مضحـكًا

لدرجة أن دورثي وبولي انفجرا بالضحك، وحتى برعم باهر ارتسمت على وجهه الثعلبي ابتسامة عريضة.

صرخ المتشرد:

- يا إلهي، يا إلهي!

وتحسس بيده رأسه الجديد وأذنيه الطويلتين، وأكمل بفزع:

- حاا حاي، يا له من مقلب مؤذٍ.. يا لها من مصيبة كبيرة.. أعد لي رأسي الأصلي أيها الملك الغبي، إن كنت تحبني حقًّا!

سأله الملك بدهشة:

- ألا يعجبك الرأس؟

قال المتشرد بغضب:

- حاا حاي، بالطبع لا يعجبني، انزعه عني بسرعة، هيا!

رد الملك:

- ولكني لا أستطيع.. سحري يعمل في اتجاه واحد، فأنا أستطيع فعل الأشياء، ولكن لا أستطيع إبطالها.. ابحث عن ينبوع الحقيقة واستحم فيه وستستعيد رأسك ثانية.. لكني أنصحك بألا تفعل؛ هذا الرأس أجمل بكثير من رأسك القديم.

قالت دورثي:

- هذه مسألة أذواق!

سأل المتشرد بجدية:

- حاا حاي، وأين ينبوع الحقيقة؟

أجابه ملك الحمير:

- في مكان ما في أرض أوز، ولكني لا أعرف مكانه بالضبط.



ابتسمت دورثي لأن المتشرد هز أذنه بطريقة مضحكة، وقالت:

- لا تقلـق يـا صديقـي المتـشرد، لـو أن ينبـوع الحقيقـة في أرض أوز، فسـنعثر عليـه.

سألها الملك رفس-نهق:

- هل ستذهبون إلى أرض أوز؟

ردت دورثي:

- لا أعـرف.. لقـد أخبرونـا أننـا قريبـون إلى أرض أوز أكـثر من كانسـاس.. وإذا كان هـذا صحيحًـا، فـأسرع طريقـة للعـودة إلى كانسـاس هـي العثـور عـلى الأمـيرة أوزمـا.

سألها الملك بلهفة ودهشة:

- هل تعرفين الأميرة العظيمة أوزما؟

قالت دورثي:

- بالطبع، إنها صديقتي.

أكمل الحمار الأبيض منفعلاً:

- إذًا لو تكرمتِ اصنعي لي معروفًا صغيرًا.

سألته:

- وما هو؟

أجاب:

- أريـد دعـوة لحضـور الاحتفـال بعيـد مـيلاد الأمـيرة أوزمـا، الـذي سـيكون أفخـم وأكـبر احتفـال ملـكي في كل الأراضي الخرافيـة.. سـتكون مكافـأة عـلى حكمـي الرشـيد.

قال المتشرد بحزن:

- حاا حاي.. أنت تستحق العقاب لا المكافأة، لأنك أعطيتني هذا الرأس الفظيع.

قالت بولي بتوسل:

- أرجوك أيها المتشرد، لا تطلق صوت "حاا حاي" كثيرًا؛ إنه يصيبني بالقشعريرة.

قال المتشرد:

- ما باليد حيلة يا عزيزتي، فرأس الحمار يريد أن ينهق باستمرار..

والتفت إلى برعم باهر وأكمل:

- ألا يريد رأس الثعلب أن يعوي كل دقيقة؟

قال الولد:

- معرفش.

لقد نسي الولد رأس الثعلب الذي يرتديه، وهو يحدق إلى رأس الحمار الذي يرتديه المتشرد.

سألت دورثي ابنة قوس قزح، التي ترفرف في الغرفة مثل شعاع الشمس لأنها لا تستطيع الوقوف ثابتة:

- ما رأيك يا عزيزتي بولي؟ هل أعد ملك الحمير بإرسال دعوة لاحتفال أوزما؟

أجابت بولي:

- افعلي ما تشائين يا عزيزتي، فقد يساعد على تسلية ضيوف الأميرة!



قالت دورثي للملك:

- إذًا، إن أعطيتنا عشاء ومكانًا لننام فيه حتى الصباح، لنستكمل رحلتنا غدًا، فسوف أطلب من الأميرة أوزما أن تدعوك إلى حفلها.. هذا إن وصلنا إلى أرض أوز.

صاح الملك رفس-نهق بفرح:

- جيد، حاا حاي، ممتاز.. ستحصلون على أفضل عشاء وأحسن مكان للنوم.. ما الطعام الذي تفضلونه؟ عصيدة الهريسة أم شوفان ناضج في وعاء؟

قالت دورثي بحسم:

- لا هذا ولا ذاك!

أكمل الملك رفس- نهق اقتراحاته:

- إذًا طبق تبن سادة، أو عصير الحشائش الحلوة.. هذا يناسبكم أكثر.

قالت دورثي مستغربة:

- هل هذا كل ما تقدمونه من طعام؟

سألها ملك الحمير:

- ماذا تريدين أكثر من هذا؟

قالت دورثي للملك:

- كما ترى، نحن لسنا حميرًا، لذا فنحن لسنا معتادين هذه النوعية من الطعام.. في بلدة الثعالب قدموا لنا عشاء لذيذًا!

قالت بولي:

- من فضلك، أريد حلوى الندى مع كعك الغيوم.

وقال المتشرد:

- أُريد تفاحة وشطيرة لحم.. فرغم حصولي على رأس حمار، لا تزال معدتي بشرية!

وقال برعم باهر:

- أنا أريد فطيرة.

وقالت دورثي:

- أعتقد أن شريحة لحم مشوية وكعكة شوكولاتة ستكونان عشاء رائعًا!

هتف الملك:

- حاا حاي، يجب أن أعترف أنكم مخلوقات غريبة؛ كل واحد منكم يطلب طعامًا مختلفًا.. كل الكائنات الحية غريبة ما عدا الحمير!

فضحكت بولي وقالت:

- والحمير مثلكم هي الأغرب على الإطلاق!

قال الملك:

- حسنًا، الصولجان الذهبي سيقدم لكم ما ترغبون.. ولكن إن لم تجدوا طعمها جيدًا، فلن يكون ذنبي.

ولوّح الملك بالصولجان، فظهرت أمامهم مائدة وعليها أطباق بالطعام الذي رغبوا فيه تمامًا، لكن الملك فاته أن يحضر لهم مقاعد، لذا تناولوا عشاءهم واقفين، فقد كان الطعام لذيذًا وكانوا جائعين.

وجدت ابنة قوس قزح أمامها طبقًا كريستاليًا عليه ثلاث قطرات من حلوى الندى، ووجد برعم باهر أمامه طبقًا عليه فطيرة تفاح، التهمها بشهية.

بعدها استدعى الملك حمارًا بنيًا، كان خادمه المفضل، وأمره بإرشاد الضيوف إلى الغرف الخالية في القصر، ليقضوا الليل حتى الصباح. لكن لم تكن هناك غير غرفة واحدة شاغرة، ومن دون أثاث إلا أسِرّة من القش النظيف، وتحتها سجاد منسوج من العشب. وقد رضي المسافرون بهذا، لأنه أفضل ما عند ملك الحمير.

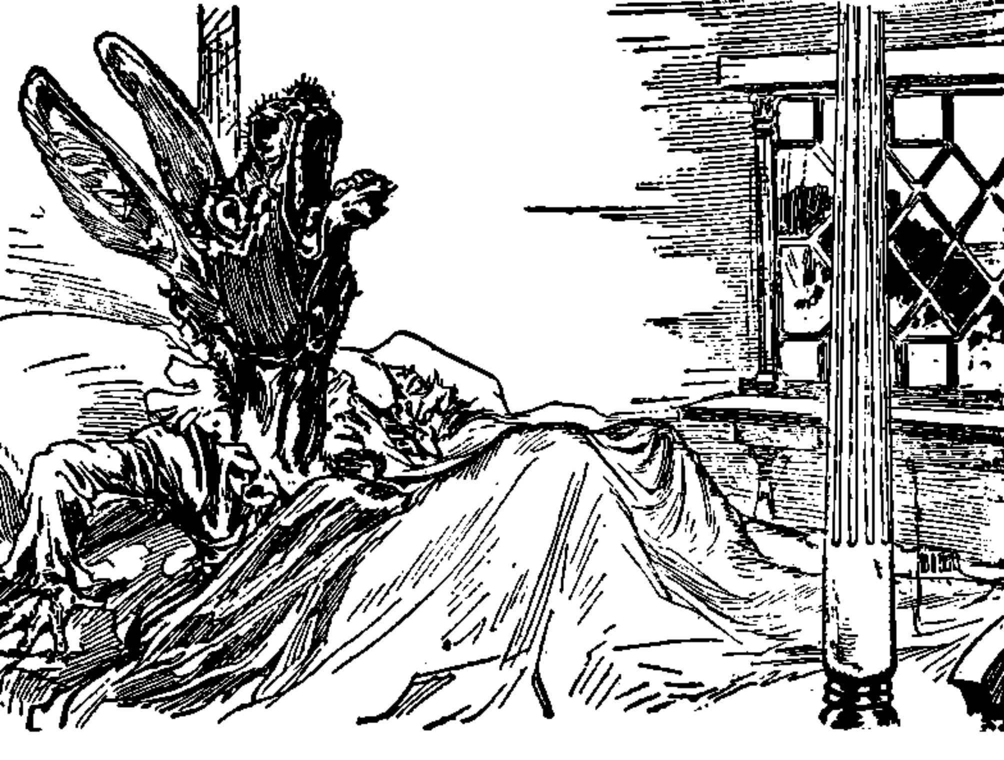
مع ضوء شمس الصباح، استيقظوا على ضوضاء مروعة، لأن الحمير كلها تنهق في الصباح. وللأسف، سمعوا المتشرد ينهق هو الآخر بأعلى صوته حين صحا من النوم. قاطع برعم باهر نهيقه وهتف:

- توقف!

ونظر إليه دورثي وبولي في عتاب، فقال وهو خجلان من صوت نهيقه:

- ما باليد حيلة يا أصدقائي.. لكن سأحاول ألا أفعلها مرة ثانية.

وقد سامحوه بالطبع، لأنه ما زال يملك مغناطيس الحب في جيب معطفه.



لـم يـروا ملـك الحمـير مـرة ثانيـة، ولكنـه لـم ينسـهم، فظهـرت مائـدة في غرفتهـم عليهـا نفـس الطعـام الـذي طلبـوه بالأمـس في العشـاء، ليكـون فطورهـم. فاحتـج برعـم باهـر وقـال:

- أنا لا أريد فطيرة تفاح على الإفطار.

فقالت له دورثي:

- لا تحـزن، سـأعطيك قطعـة مـن اللحـم المشـوي.. في طبقـي مـا يكفـي لكلينـا.

رضي الولـد الصغـير بهـذا الحـل، في حـين كان المتـشرد سـعيدًا بالتفـاح والشـطائر، وأنهـى وجبتـه بالتهـام فطـيرة برعـم باهـر. أمـا بـولي فقـد أعجبتهـا حلـوى النـدى وكعـك الغيـوم أكـثر مـن أي طعـام آخـر. وأكل دودو بقيـة اللحـم المشـوي بسـعادة. وهكـذا اسـتمتع الجميـع بالفطـور. وبعدمـا انتهـوا قادهـم الحمـار البـني عـبر متاهـة المنـازل المتنـاثرة بعشـوائية في

البلـدة، ووصّلهـم إلى الناحيـة الأخـرى المقابلـة للبوابـة الـتي دخلـوا منهـا أمـس. وأمامهـم رأوا طريقًـا يقـود إلى المجهـول ثانيـة.

وبينما يعبرون الفتحة ويغادرون البلدة، قال الحمار البني:

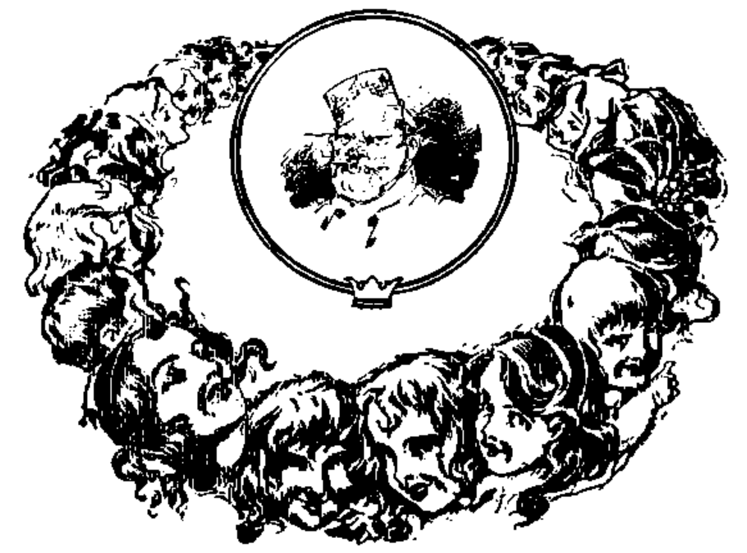
- الملك رفس-نهق يقول لكم لا تنسوا وعدكم له.

ردت دورثي:

- لن ننسى.



سـارت المجموعـة الغريبـة عـبر الحقـول الخـضراء الجميلـة، والبسـاتين المليئـة بأشـجار الصنوبـر الـتي تفـوح رائحتهـا عـلى الطريـق. طفـا ثـوب بولي الخفيـف الجميـل حولهـا كأنـه سـحابة قـوس قـزح، خصوصًـا حينمـا كانـت ترقـص هنـا وهنـاك، لتقطـف وردة بريـة أعجبتهـا أو لتراقـب خنفسـة تزحـف لتعـبر الطريـق. جـرى دودو خلفهـا لبعـض الوقـت وهـو ينبـح بمـرح، حـتى تعـب ومـشى برزانـة في أعقـاب دورثي. أمـا دورثي فأمسـكت يـد برعـم باهـر ومشـت عـلى الطريـق. وأمـا المتـشرد فقـد مـشى وراءهـم مهمومًـا واضعًـا يديـه في جيبيـه. ولكـن لـم يكـن أحـد في الصحبـة حزينًـا حقًـا، فكلهـم تائهـون في أرض مجهولـة، لكنهـم يواجهـون مغامـرة خرافيـة في بلـد خـرافي، ويرغبـون في معرفـة مـا سـيحدث بعـد ذلـك.



الفصل الثامن

الموسيقار

بعـد منتصـف الظهـيرة، مشـوا رويـدًا رويـدًا عـلى طريـق صاعـد إلى تـل، فوصلـوا إلى قريـة جميلـة، أدهشـهم أن بهـا مـنزلاً واحـدًا فقـط، فأسرعـوا باتجاهـه ليستكشـفوا مَـن يعيـش فيـه. لـم يظهر أي شـخص وهـم يقتربون، ولكنهـم سـمعوا أصواتًـا غريبـة تصـدر مـن المـنزل الوحيـد، وخمنـوا أنهـا أصـوات أكورديـون. كان صـوت الموسـيقى هكـذا:

ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!

أوم، بوم بوم! أوم، بوم بوم!

ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!

أوم، بوم بوم، بآه!

سألت دورثي:

- ما هذه الأصوات؟ هل هي فرقة موسيقية أم عازف واحد يعزف على الهارمونيكا؟

رفع المتشرد بيده أذنه الكبيرة، محاولاً أن يسمع بوضوح، ثم قال:

- تبدو لي كأنها تصدر من جرامافون.

صاحت دورثي:

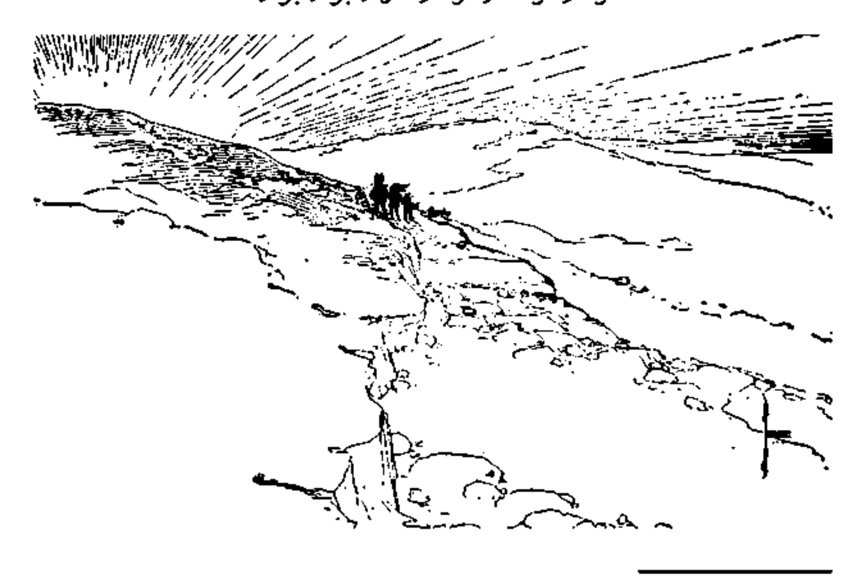
- أوه، لا يمكن أن يكون هناك جرامافون في الأراضي الخيالية.[1]

حاولت بولي أن ترقص على النغم، وقالت:

- أليس جميلاً؟

أوم، بوم بوم! أوم، بوم بوم!

ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!



(1) الجرامافون هو مشغل أسطوانات موسيقية مسجلة، وهو من اختراعات البلاد المتحضرة. ودورثي تعرف أن هذه الأشياء لا توجد في البلاد الخيالية.

اتضح الصوت أكثر كلما اقتربوا من المنزل، حتى رأوا رجلاً قصيرًا وبدينًا يقعد على أريكة خشبية أمام الباب. كان يرتدي جاكيت أحمر مضفرًا يصل إلى وسطه، وصدرية زرقاء، وبنطالاً أبيض بشرائط ذهبية على طول جانبيه، وعلى رأسه الأصلع استقرت قبعة حمراء صغيرة مدورة، مثبتة بشريط مطاطي يلتف أسفل ذقنه. وجهه مدور وعيناه زرقاوان باهتتان، ويلبس قفازًا أبيض قطنيًا.

استند الرجل إلى عكاز سميك ذي رأس ذهبي، منتظرًا اقتراب الزوار، الذين بدا لهم أن أصوات الموسيقى التي يسمعونها تصدر من الرجل السمين نفسه، فهو لم يكن يلعب على أي آلة موسيقية، ولم يروا واحدة بجواره حتى.

قال برعم باهر:

- إنه موسيقار عادي.

سألته دورثي:

- مَن هو الموسيقار؟

قال الولد:

- هذا الرجل القاعد أمامك.

ثم ارتسمت ابتسامة على وجهه كأنه تلقى مجاملة، في حين استمرت الأصوات الصادرة من الرجل البدين:

ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!

أوم، بوم بوم! أوم، بوم بوم!

ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!

أوم، بوم بوم، بآه!

صاح فيه المتشرد بجدية:

- توقف، أوقف هذه الأصوات المروعة.

نظر إليه الرجل البدين بحزن ورد عليه بكلام صدر من داخله مُنغَّمًا كأنه مكتوب على نوتة موسيقية. وقال، أو بالأدق غنى:

هذه ليست ضجة التي تسمعها

بل نغمات تتصاعد متناسقة وواضحة

أنفاسي مثل الأرغن تعزف طوال اليوم

والإيقاع يتردد في أذنيّ

قالت دورثي:

- كم هذا ظريف! إنه يقول إنه يتنفس موسيقى!

فقال المتشرد:

- هراء! لا أصدق هذا.

لكن النغمات تصاعدت من الرجل مرة ثانية، فاستمعوا له بانتباه وهو يغني:



رئتاي مليئتان بالمزامير

مثل التي في الأرغن

فحينما أتنفس شهيقًا وزفيرًا

تعزف المزامير

وكما تعرفون.. أتنفس كي أحيا

فتعلو النغمات في كل مكان

آسف.. وسامحوني

اغفروا لي صفير مزماري

قالت بولي:

- يا له من مسكين، ما بيده حيلة، إنه في محنة كبيرة!

رد المتشرد:

- نعـم، فنحـن مجـرد عابريـن، نسـمعه فقـط بعـض الوقـت حـتى نغـادر ونبتعـد، ولكـن الرجـل المسـكين يسـمع صوتـه مـا دام حيًّـا ويتنفـس، وهـذا سـيقوده للجنـون بالتأكيـد.. ألا تظـن ذلـك؟

قال برعم باهر:

- معرفش.

انتبهت دورثي لأمر ما، وقالت:

- لعل هذا هو السبب انه يعيش بمفرده.

فأدرك المتشرد الأمر وقال:

- هـذا صحيـح بالتأكيـد.. لـو كان بجـواره جـيران، لأغضبهـم صوتـه المسـتمر، ولأصابهـم بانزعـاج لا نهـائي.

وبينمـا هـم يتكلمـون، اسـتمر الرجـل في إصـدار النغمـات: "ترالـم ترلملـم ترالـم! أوم بـوم بـوم!" وكان عليهـم رفـع أصواتهـم حـتى يسـمع بعضهـم بعضًـا وسـط الموسـيقى العاليـة.

سأله المتشرد:

- مَن أنت يا أستاذ؟

والرد جاء على هيئة نغم:

أنا الجيرو دي كابو، مشهور جدًّا

ابحث عن مثيلي ولن تجد، حتى لو استطعت

بعض الناس حاول تقليدي في العزف

ولكن عليهم التدرب يوميًّا

أما أنا، فموسيقار منذ مولدي!

تعجبت دورثي وقالت:

- أعتقـد أنـه فخـور بمـا يفعـل.. لقـد سـمعت أصواتًـا أسـوأ بكثـير ممـا تصـدر منـه.

فسألها برعم باهر:

- أين؟

أجابته الفتاة:

- لقـد نسـيت الآن..[1] عمومًـا، الأسـتاذ دي كابـو بالتأكيـد رجـل غريب، أليـس كذلـك؟ ربمـا هـو فريـد مـن نوعـه في العالـم كلـه.

(1) دورثي تشـير بحسـن نيـة إلى صـوت نهيـق الحـمار الـذي يصـدره رأس المتـشرد، الـذي لا يتحمـل النغـم لأن الموسـيقى تزعـج الحمـير بسـبب آذانهـم الطويلة الحساسـة.

فرح الرجل بمديح دورثي، فبلع ريقه ومد صدره ليبدوا مهمًّا، وغنى قائلاً:

ليس على رأسي رباط

ولكني فرقة موسيقية كاملة

ولا أبذل مجهودًا في شد أوتاري

كما أن بوقي خالٍ من العيوب

فكونك طبيعيًّا يقلل الأخطاء

قالت بولي متحيرة:

- لم أفهم كلامه.. ربما لأني اعتدت سماع الموسيقى في مدارات الفضاء.

سأل برعم باهر:

- ما هي مدارات الفضاء؟

ردت دورثي شارحة:

- بولي تقصد الغلاف الجوي الذي يحيط بالكرة الأرضية.



استمر الرجل في إصدار النغمات وهو يتنفس: "ترالم ترلملم ترالم! أوم بوم بوم!" وكان هذا الصوت يثير عصبية المتشرد، فصرخ:

- توقف عن هذه الأصوات، ألا تعرف كيف؟ تنفس في همس أو ضع قطنًا في أنفك ليكتم الصوت.. أفعل أي شيء، بأي طريقة، لكن توقف!

لكن الرجل البدين نظر إليه بحزن وردّ عليه مغنّيًا:

الموسيقى تثير الجمال

كما تهدئ الوحوش

فإن شعرت بالوحشة

اسمع مزماري

إنه الطريق الحقيقي

لهدوء النفس

أثارت هذه الإجابة المنغمة ضحك المتشرد، والضحكة جعلت فم الحمار في وجهه مفتوحًا على اتساعه.

قالت دورثي:

- لا أعرف مدى جودة هذا الشِّعر، ولكنه يتماشى مع الإيقاع.. لهذا يفي بالغرض تمامًا.

حدق برعم باهر بقوة إلى الموسيقار، وللمرة الأولى سأل سؤالاً طويلاً:

- لقد أعجبني.. فهل سأكون مثله لو بلعت هارمونيكا؟

رد عليه المتشرد:

- لا يا عزيزي، وأظن أن الأفضل لنا كلنا أن نستكمل رحلتنا قبل أن تبلع شيئًا ما.. يجب أن نعثر على أرض أوز.

حين سمع الموسيقار كلام المتشرد، غنى قائلاً:

إن كنتم ذاهبين إلى أوز

خذوني معكم

فأنا في شوق لعزف

أجمل الألحان

في عيد أوزما

ردت دورثي:

- لا، شكرًا، فنحن نُفضل أن نسافر وحدنا.. لكن لو قابلت أوزما سأخبرها أنك ترغب في حضور عيد ميلادها.

حثهم المتشرد بقلق على المغادرة وقال:

- هيا بنا!

كانت بولي على الطريق بالفعل، تتقدمهم وهي ترقص، وتبعها الباقون. دودو لم يكن معجبًا بالموسيقار البدين، وحاول عض رجليه السمينتين، لكن دورثي أمسكته وأسرعت لتلحق برفقائها، الذين هرولوا على الطريق، ليتجنبوا سماع المزيد من الأصوات، التي ظلت تصل إلى آذانهم عند أعلى التل:

أوم، بوم بوم! أوم، بوم بوم!

ترالم ترلملم ترالم!

أوم بوم بوم!

بلغوا الجانب الآخر من التل، وبدأت الأصوات تخفت حتى انتهت تمامًا عندما بلغوا سفح التل.

قالت دورثي:

- أنـا سـعيدة لأني لسـت ملزمـة بالعيـش مـع رجـل الأرغـن.. أليـس كذلـك يـا بـولي؟

أجابتها ابنة قوس قزح:

- بلى بالطبع!

لكن برعم باهر تدخل وقال:

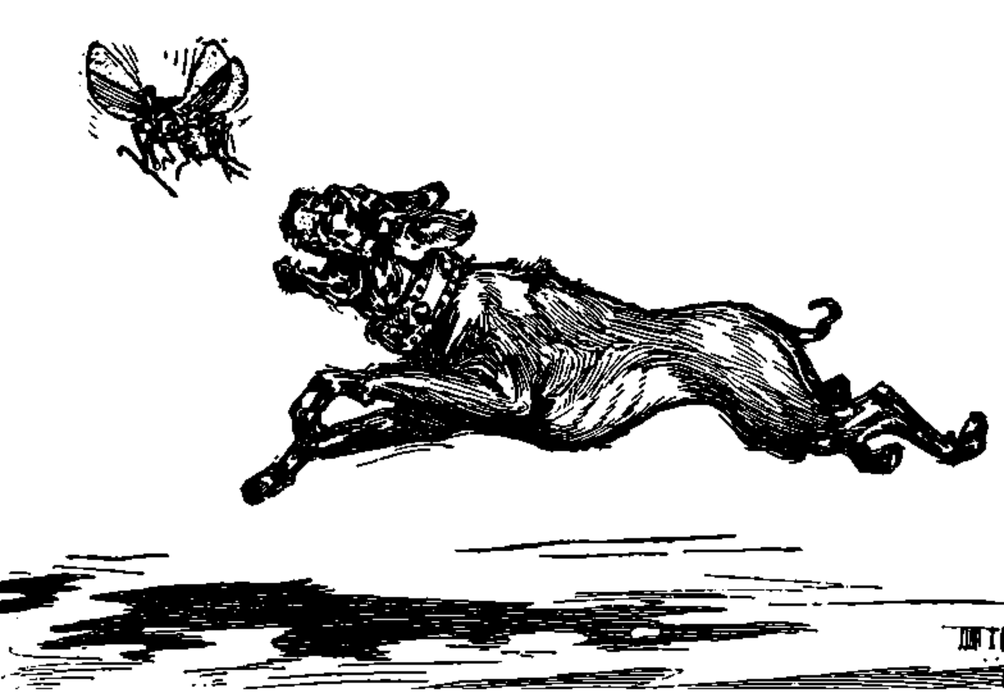
- إنه رجل لطيف!

قال المتشرد:

- أتمـنى ألا تدعـوه الأمـيرة أوزمـا إلى حفـل عيـد ميلاهـا، فموسـيقاه قـد تدفـع الضيـوف إلى الجنـون.

ووجه كلامه إلى برعم باهر مضيفًا:

- لقـد خطـرت لي فكـرة منـك يـا برعـم باهـر.. لقـد بـدأت أشـك أن الموسـيقار ابتلـع أكورديـون وهـو صغـير.



فسأله الولد:

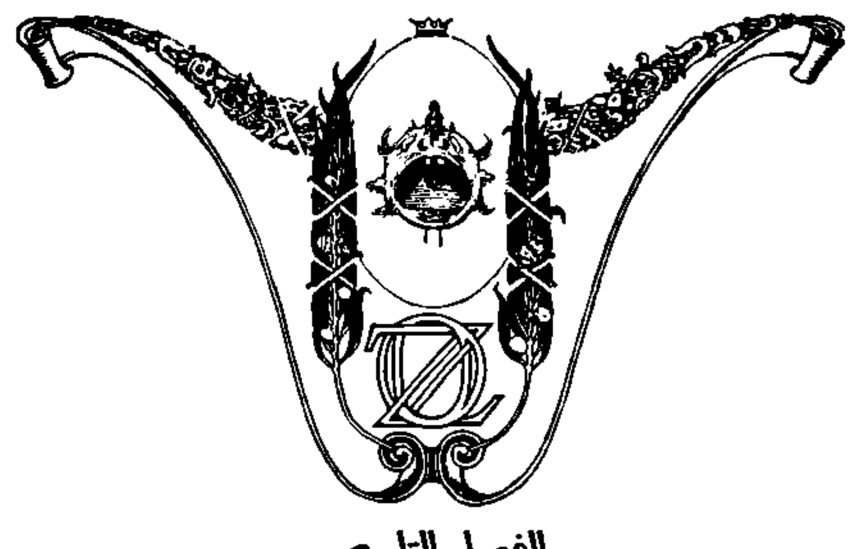
- ما هو الأكورديون؟

أجابته دورثي:

- إنه آلة موسيقية فيها طيات وثنيات [1].

ثـم وضعـت كلبهـا عـلى الأرض، فانطلـق يطـارد نحلـة طنانـة وهـو ينبـح: "هـوو هـوو".

(1) دورثي تختصر التعريف بآلة الأكورديون، ولكن التعريف أنها آلة موسيقية لا تعزف بالفم رغم أنها من آلات النفخ، لاعتمادها على منفاخ يدفعه العازف ويسحبه بيده. ولإنتاج الصوت، يمر فيها الهواء على ريش رقيقة معدنية مركبة في منفاخ ذي عدة طيات، فبسبب اهتزازها نغمات موسيقية. والأنواع الحديثة منها بها أزرار ومفاتيح بيانو. صنع أول أكورديون في فيينا عام 1829 ومخترعه هو النمساوي كيرل داميان.



الفصل التاسع

مواجهه السكولدرز

ظهرت أمام المسافرين أرض صخرية جرداء مليئة بالتلال، وصار الطريق خشنًا وقاسيًا، وتعثر برعم باهر أكثر من مرة، وقللت بولي من رقصها.

وعندما جاء وقت الظهيرة، لم يكن معهم في سلة الغذاء غير تفاحتين، احتفظ المتشرد بهما من فطوره في بلدة الحمير. قسمهما إلى أربع قطع، وأعطى كل واحد قطعة. أكلت دورثي وبرعم باهر نصيبهما راضيين، واكتفت بولي بقضمة صغيرة من نصيبها. أما دودو فلم يحب التفاح.

سألت ابنة قوس قزح:

- هل هذا هو الطريق الصحيح إلى مدينة الزمرد؟

ردت دورثي:

- لا أعرف، لكنه الطريق الوحيد هنا.

وقال المتشرد:

- يبدو أن نهاية الطريق قريبة، ولكن ماذا سنفعل بعدما ينتهي؟

قال برعم باهر:

- معرفش.

فكرت دورثي قليلاً، وقالت:

- لو كان معي الحزام السحري لفعلنا به الكثير في هذا الموقف.

- سألت بولي:

- وما هو الحزام السحري؟

أجابت دورثي:

- إنه حزام استوليت عليه من ملك النووم خلال مغامرة في أرض أوز، ولكني تركته عند أوزما لأن السحر لا يعمل في كانساس، فهو يعمل فقط في الأراضي الخيالية.

سألها برعم باهر:

- ألسنا في أرض خيالية؟

قالت دورثي بجدية:

- بلى بالطبع، وإلا لما كنت لتحصل على رأس ثعلب، ويحصل المتشرد على رأس حمار، ولصارت ابنة قوس قزح مخفية.

سأل الولد:

- ما معنى "مخفية"؟

ردت دورثي:

- يبدو أنك لا تعرف أي شيء يا برعم باهر.. "مخفية" تعني ألا نستطيع أن نراها.

قال الولد بتلقائية:

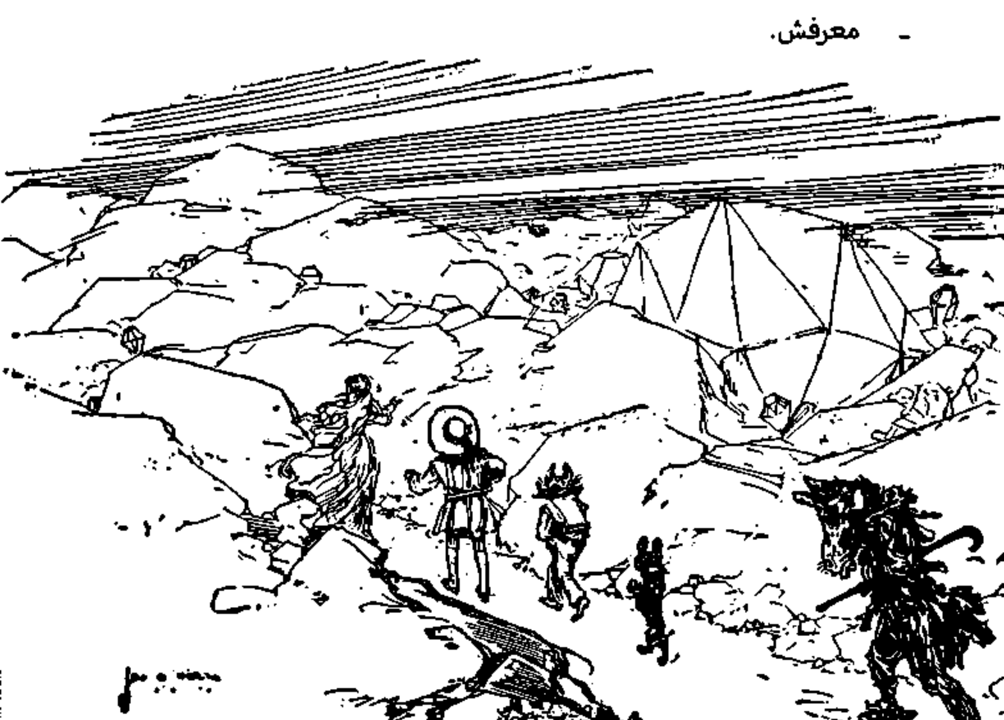
- إذًا دودو مخفي!

استغربت دورثي، فالكلب دودو كان مختفيًا عن الأنظار، ولكنهم كانوا يسمعونه ينبح بشراسة وبوضوح بين أكوام الصخور الرمادية حولهم. أسرعوا ناحية صوته، فرأوا مخلوقًا غريبًا فوق صخرة بجانب الطريق، له هيئة رجل، متوسط الحجم، ضئيل ونحيف، كان صامتًا وساكنًا، ووجهه أسود كالحبر، ويلبس ملابس سوداء ضيقة على جسده، مثل زي عمال النقابة. كانت يده سوداء أيضًا وأصابع يده معقوفة كمخالب الطيور. الغريب أن جسده أسود بالكامل ما عدا شعرة الناعم، فهو مصبوغ بالأصفر، ومصفف بالفرق على جبهته على الجانبين. ثبت المخلوق عينيه الصغيرتين اللامعتين كعيني ابن عرس على الكلب الذي ينبح بقوة. فهتفت دورثي بصوت محشرج:

- ما هذا؟

ووقفت مجموعة المسافرين تشاهد هذا المخلوق الغريب، فقال برعم باهر بتلقائية:

- معرفش.



قفـز المخلـوق واسـتدار بجسـمه، وقعـد في نفـس البقعـة ولكـن مواجهًا لهـم. وللغرابـة كان نصفـه الآخـر أبيـض اللـون بـدلاً مـن الأسـود، ولـه وجـه يشـبه وجـه المهـرج في السـيرك، وشـعره أرجـواني فاقـع، وكانـت أصابـع رجله البيضـاء معقوفـة بنفـس الشـكل لوجهـه الآخـر الأسـود.

تعجبت دورثي وقالت هامسة:

- إن لـه وجهـين في الجانـب الأمامـي والخلفـي مـن جسـمه، وليـس لـه ظهـر، بـل جانبـان أماميـان فقـط.

اسـتمر دودو ينبـح بصـوت أعـلى عـلى الوجـه الأبيـض، أكـثر ممـا كان ينبـح عـلى الوجـه الأسـود.

قال المتشرد:

- في يـوم مـن الأيـام كانـت معـي لعبـة جـاك النطـاط، وكان لهـا وجهـان مثلـه.

سأل برعم باهر:

- هل كان حيًّا مثله؟



رد المتشرد:

- لا، فهو يتحرك ويعمل بالخيوط، كما أنه مصنوع من الخشب.

صاحت دورثي:

- سيكون عجيبًا أن تكون هذه المخلوقات تتحرك بالخيوط!

لكن بولي صاحت:

- انظرا!

وأشارت إلى مخلوق آخر ظهر على صخرة أخرى، ووجهه الأسود باتجاههم، وأكملت:

- كم هذا مثير للفضول، هل ترين كيف تتحرك رؤوسهم بسهولة؟ هل تعتقدين أنهم سيكونون لطفاء معنا؟

ردت دورثي:

- لا أعرف يا بولي، فلنسألهم.

وظهر مخلوق آخر مثلهما على صخرة أخرى، وتقلبت المخلوقات حول نفسها، فمرة يُظهِرون الجانب الأبيض ومرة يُظهِرون الجانب الأسود. كان الأصدقاء يقفون في مكان منخفض محاط بقمم صخرية خشنة، ما عدا الطريق الذي يمشون فيه.

قال المتشرد:

- الآن صاروا أربعة!

قالت بولي:

- بل خمسة!

وقالت دورثي:

- بل ستة!

صاح برعم باهر:

- بل أكثر وأكثر!

فرويـدًا رويـدًا ازداد عددهـم، واصطفـوا عـلى جانـبي الطريـق؛ صفًّـا لمخلوقـات بجانبهـا الأبيـض، وصفًّـا لمخلوقـات بجانبهـا الأسـود عـلى الجانـب الآخـر مـن الطريـق. عندمـا رأى دودو هـذا المنظـر، كـف عـن النبـاح وجـرى خائفًـا إلى دورثي. لـم يسـتطع أحـد أن يحـدد إن كانـوا أصدقـاء أم أعـداء، فهمسـت دورثي للمتـشرد:

- اسألهم مَن هم وماذا يريدون!

فصاح المتشرد بأعلى صوت:

- مَن أنتم؟

ردوا جميعًا في صوت واحد حاد ومُفزع كأنهم كورال:

- السكولدرز[1].

فصاح المتشرد:

- وماذا تريدون؟

ردوا جميعهم بصوت واحد حادّ:

- أنتم.

سألهم المتشرد بقلق:

- وماذا تريدون منا؟

قالوا جميعًا:

- شوربة!

تلجلجت دورثي في الكلام وقالت:

- يا إلهي، يبدو أن هؤلاء السكولدرز من آكلي لحوم البشر!

(1) Scoodlers تعني المقلِّد أو المزيف.



بكى برعم باهر وقال:

- أنا لا أريد أن أكون شوربة!

حاولت الفتاة تهدئته وقالت له:

- هششش.. لا تقلق يا عزيزي، فالمتشرد سيتولى هذا الأمر ويحمينا.

والتصقت بولي خائفة في دورثي، وسألت المتشرد بقلق:

- هل تستطيع حمايتنا؟

وعدهم المتشرد قائلاً:

- سأحاول!

ولكنه بدا قلقًا، ثم تذكر مغناطيس الحب، فقال للمخلوقات الغريبة بثقة:

- هل تحبونني؟

أجابوا جميعًا بصوت واحد:

- نعم!

فقال لهم بحزم:

- إذًا عليكم ألا تؤذني أو تؤذوا أصدقائي!

صاحوا جميعًا:

- نحن نحبك أن تكون شوربة!

قالت دورثي:

- يا للفظاعة، يبدو أنهم أحبوا المتشرد أكثر من اللازم.

بكى برعم باهر ثانية وقال:

- لا أريد أن أكون شوربة!

وأصدر دودو أنينًا كأنه يقول "أنا أيضًا لا أريد أن أكون شوربة".

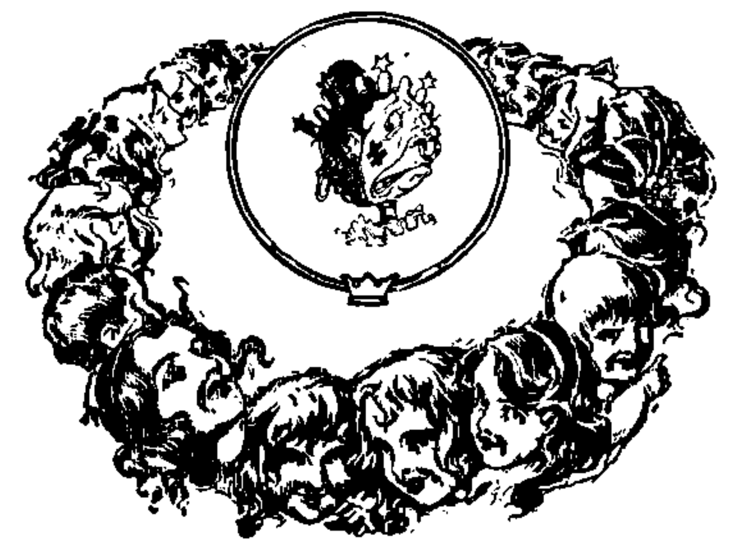
قال المتشرد لأصدقائه:

- ليس أمامنا إلا أن نتقدم في الطريق ونخرج من هذا المنخفض المليء بالصخور، ونترك هذه المخلوقات وراءنا، ونتجاهلها.. اتبعوني بهدوء ولا تلتفتوا إليهم على الإطلاق.

اقترب منه باقي الصحبة وساروا معه، لكن السكولدرز وقفوا أمامهم وسدّوا عليهم الطريق، فاضطر المتشرد إلى التوقف، والتقط حجرًا من الأرض ورماه على المخلوقات ليخيفها فتفسح له الطريق.

أطلق السكولدرز صيحة كالعواء، وخلع اثنان منهم رأسيهما من فوق أكتافهما، وقذفا بهما المتشرد بقوة وعنف، لدرجة أن المتشرد سقط أرضًا وهو في غاية الدهشة. والمدهش أكثر أن المخلوقين جريا بخفة وبقفزات سريعة وأمسك كل منهما برأسه وأعاد وضعه على كتفيه، وعادا إلى مكانهما مجددًا فوق الصخور.





الفصل العاشر

الفرار من إناء الشوربة

نهض المتشرد من الأرض، وتحسس نفسه ليرى إن كان أصابه أذى من ضربات السكولدرز الغريبة، لكن لحسن الحظ لم يجد نفسه مصابًا. واحد من الرأسين أصاب صدره، والآخر أصاب رجلة اليسرى، لكن الرأسين لم يكونا صلبين كفاية ليصاب المتشرد بجروح أو كدمات. قام من الأرض وقال بحسم:

- هيا، يكفي هذا.. يجب أن نخرج من هنا فورًا!

وتقدم ثانية على الطريق، فبدأ السكولدرز يصرخون ويقذفون رؤوسهم بأعداد كبيرة على الأصدقاء الخائفين، وسقط المتشرد مرة ثانية، وتلقى برعم باهر ضربات على ركبته، وسقط على الأرض يتألم رغم عدم إصابته بأذى. أحد الرؤوس المقذوفة أصاب دودو، ولكنه قفز في الهواء وأمسكه من الأذن بين أسنانه، وجرى به بعيدًا.

تزاحـم السـكولدرز حـول الأصدقـاء كي يلتقطـوا رؤوسـهم المقذوفـة، ثـم عـادوا إلى مكانهـم بسرعـة عجيبـة. لكـن المخلـوق الـذي سرق دودو رأسـه، وجـد صعوبـة في اسـترجاعه، فالـرأس لـم يسـتطع رؤيـة جسـم المخلـوق لأن دودو كان يحملـه مقلوبـًا، وبالتـالي تعـثر السـكولدر مـن دون الـرأس بـين الصخـور، وترنـح حـتى عـاد إلى مكانـه فـوق الصخـرة، في حـين ظـل دودو يحـاول الخـروج مـن بـين الصخـور وهـو يدحـرج الـرأس كالكـرة أمامـه. لكـن السـكولدرز أسرعـوا لإنقـاذ زميلهـم البائـس، ورشـقوا الكلـب برؤوسـهم حـتى أجـبروه عـلى إفـلات كرتـه، لـذا أسرع دودو عائـدًا إلى دورثي.

فـرّت دورثي مـع ابنـة قـوس قـزح مـن أمطـار الـرؤوس المقذوفـة، واختبأتـا خلـف الصخـور، ولكـن الأصدقـاء أدركـوا أنـه لا يوجـد سـبيل للهـرب مـن هـؤلاء السـكولدرز.



نهض المتشرد على قدميه مرة ثانية، وقال بأسف عميق:

- يجب أن نستسلم!

والتفت إلى الأعداء وقال بصوت عالٍ:

- ماذا تريدون منا؟

ردوا بصوت واحد:

- تعالوا!

وعلى الفور خرجوا من الصخور، وأحاطوا أسراهم من كل جانب.

الطريف في هذه المخلوقات، أنها تستطيع التحرك في أي تجاه، يمينًا أو يسارًا، من دون الاستدارة بالجسم. كما تستطيع التحرك للأمام والخلف، لأن لديها وجهين، كما قالت دورثي. وكانت أقدامهم على شكل حرف T مقلوب.

تحركوا بسرعة كبيرة، وكان هناك شيء ما في أعينهم اللامعة وألوانهم المتناقضة ورؤوسهم المتحركة، ألقى الرعب في قلوب الأسرى المساكين، وجعلهم يشعرون بأن الهرب مستحيل.

قادتهم المخلوقات بعيدًا إلى أسفل التلال، حتى وصلوا إلى هضبة من الصخر تبدو مثل وعاء كبير مقلوب. على حافة الهضبة يوجد جرف عميق جدًّا ومظلم. وفوق الجرف يوجد جسر عريض مبني من الحجر، وفي نهايته يقع مدخل مقوس إلى داخل الهضبة.

استمر السكولدرز يدفعون أسراهم عبر الجسر إلى داخل الهضبة. واندهش الأصدقاء عندما وجدوا الهضبة قبةً فارغة من الداخل، يدخلها الضوء من فتحات في السقف. وفي المساحة الدائرية داخل القبة تناثرت بيوت حجرية، كل منها له باب واحد أمامي فقط. عرض البيوت لم يكن أكثر من ستة أقدام، فالسكولدرز أشخاص نحيفون ولم يحتاجوا إلى مساحة أكبر من هذه، وعلى الرغم من ذلك كانت

القبة شاسعة من الداخل، ما ترك مساحة كبيرة في منتصف الكهف بين البيوت الحجرية، تتجمع فيها هذه المخلوقات كأنها في قاعة كبيرة.

سرت قشعريرة في جسد دورثي، عندما رأت إناء حديديًّا كبيرًا جدًّا، في منتصف المكان، معلقًا بسلاسل حديدية من السقف، وتحته كومة كبيرة من الخشب جاهزة للاشتعال.

تراجع المتشرد عندما اقترب من هذا المشهد، واضطر السكولدرز إلى إجباره على التقدم، فسأل مرعوبًا:

- ما هذا؟

صاح السكولدرز:

- إنه إناء الشوربة.

وهتفوا كلهم بصوت أرعب الصحبة:

- نحن جوعى.

أمسكت بولي يد دورثي، وقبض برعم باهر بقوة على يد دورثي الأخرى، وبدأ يصرخ مكررًا احتجاجه وهو يبكي:

- لا أريد أن أكون شوربة! لا أريد!

حاول المتشرد مواساة الولد الصغير فقال له:

- لا تخف، أنا كبير كفاية لأصنع شوربة تكفي كل هؤلاء المخلوقات.. سأطلب منهم أن يبدؤوا بي، لا تخف يا عزيزي!

هدأ برعم باهر قليلاً وقال:

- حسنًا.

ولكن السكولدرز لم يكونوا مستعدين لطبخ الشوربة، فأرسلوا الأسرى إلى أقصى جانب من الكهف، حيث يوجد بيت أوسع من البيوت الصخرية الأخرى. فاستغربت ابنة قوس قزح من هذا البيت، وقالت:

- مَن الذي يعيش هنا؟

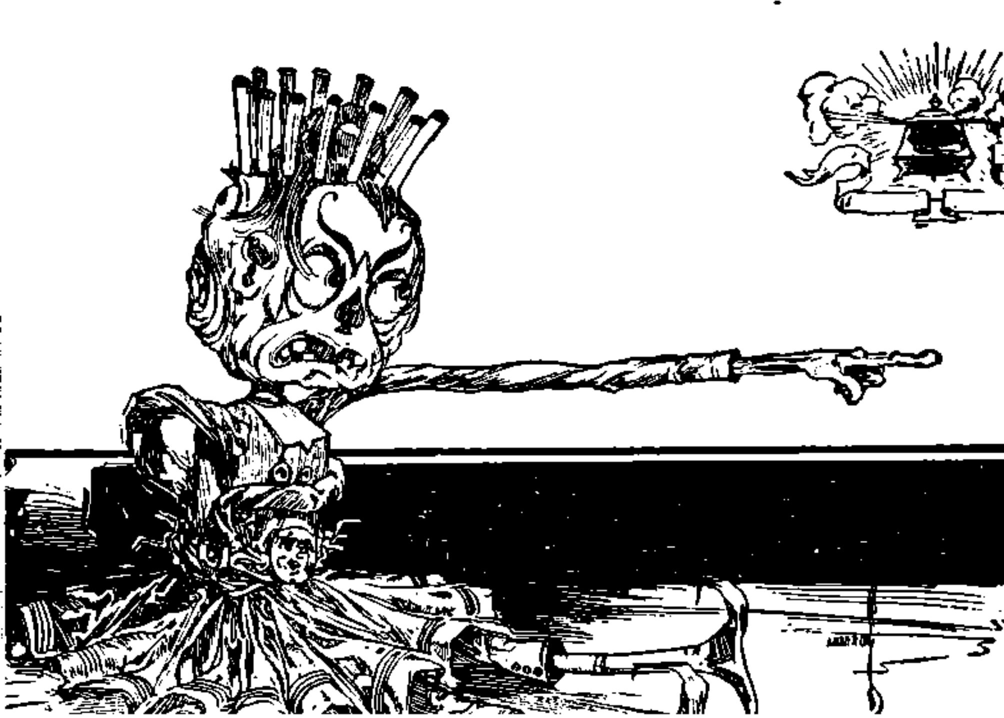
فرد عليها أقرب واحد منهم:

- الملكة!

تفاءلت دورثي عندما عرفت أن امرأة تحكم هذه المخلوقات البغيضة. لكن في اللحظة التالية مات هذا التفاؤل. فقد اصطحبهم اثنان منهم إليها داخل غرفة كئيبة خالية من الأثاث، وكانت ملكة السكولدرز أكثر شراسة وبغضًا من أتباعها. أحد جانبيها لونه أحمر ناري، ولها شعر أسود كالفحم وعينان خضراوان، والجانب الآخر لونه أصفر فاقع وله شعر قرمزي وعينان سوداوان. كانت تلبس تنورة قصيرة لها وجه أحمر والآخر أصفر، وبدلاً من أن يكون شعرها منسدلاً، كان مضفرًا ضفائر صغيرة، وعليها تاج دائري من الفضة. كانت الضفائر متشابكة وملفوفة بعضها على بعض، لأن الملكة تقذف رأسها كثيرًا على أشياء عديدة في معظم الأحيان. كان شكلها هزيلاً ونحيلاً، وعلى وجهها كثير من التجاعيد.

وعندما اصطف أصدقاؤنا أمامها قالت بحدة:

- ماذا لدينا هنا؟



فأجابها حراس السكولدرز الذي اقتادوا الأصدقاء إليها في صوت واحد:

- شوربة.

قالت دورثي بسخط:

- لا، لسنا شوربة، نحن لسنا طبيخًا!

ردت الملكة بحسم:

- أوه، لكنكم ستصبحون شوربة بعد قليل!

قال المتشرد وهو ينحني أمامها بأدب:

- أستسمحك يا جلالة الملكة الجميلة.. أنا ألتمس من فخامة سموك أن تدعينا نمر في طريقنا دون أن نصبح شوربة لكم، فأنا أملك مغناطيس الحب، وكل من يقابلني يجب أن يحبني ويحب كل أصدقائي.

ردت الملكة:

- نعم، بالطبع، نحن نحبك كثيرًا، لدرجة أننا سنشرب شوربتك بكل سرور.. ولكن قل لي، هل تظن أني جميلة حقًّا؟

رد المتشرد وهو يهز رأسه بأسف:

- لن تكوني جميلة إن أكلتِنا.. فالجمال جمال الأفعال كما تعرفين!

وجهت الملكة كلامها للولد الصغير سائلة:

- هل تعتقد أني جميلة؟

رد برعم باهر:

- لا، أنتِ قبيحة جدًّا.

وتضامنت دورثي مع برعم باهر قائلة:

- أعتقد أنكِ مخيفة!

وأضافت بولي:

- إذا استطعتِ رؤية نفسك، ستصابين بالذعر!

تجهمت الملكة، وبدلت جانبها الأحمر مكان جانبها الأصفر، وأمرت الحراس:

- خذوهم من هنا، وفي تمام الساعة السادسة أرسلوهم إلى الجزار، وأشعلوا النيران تحت الإناء، لتغلي المياه فيه استعدادًا للطبيخ.. ضعوا كثيرًا من الملح هذه المرة، وإلا سأعاقب الطباخ بشدة.

سألها واحد من الحراس:

- هل نضع قليلاً من البصل يا سمو الملكة؟

أجابت الملكة:

- نعم، ضعوا كثيرًا من البصل والثوم، وقليلاً من الفلفل الأحمر.. هيا، اذهب!

قاد الحراس أسراهم إلى أحد البيوت الصخرية، وحبسهم فيه، وترك واحدًا ليحرس السجن. وكان البيت كأنه مخزن، ففيه أجوِلَة من البطاطس، وسلال من الجزر والبصل والكرنب. أشار الحارس إلى هذه الخضراوات وقال:

- هذه الأشياء تضيف طعمًا إلى الشوربة.

أصيب السجناء بالإحباط، فهم لم يروا أي سبيل للهروب، ولم يعرفوا ماذا سيفعلون حين تأتي الساعة السادسة ويبدأ الجزار عمله. لكن المتشرد كان شجاعًا، ولم يكن ينوي الاستسلام لهذا المصير المرعب دون قتال. فهمس للأطفال:

- يجب أن نقاتل للحفاظ على حياتنا، فلن يصير الموقف أسوأ مما نحن فيه.. وإن جلسنا هنا منتظرين أن نصبح شوربة، فسنكون بالتأكيد أغبياء وجبناء.

كان حارس باب السجن ينظر إليهم بجانبه الأبيض، وبعدها ينظر إليهم بجانبه الأسود، كأنه يريد تفحص السجناء السمان بأعينه الأربع الجشعة. اجتمع السجناء حزانى في أقصى طرف من البيت، إلا ابنة قوس قزح التي ظلت ترقص في المساحة الصغيرة، لتُبقِي نفسها دافئة.

همس المتشرد في أذن ابنة قوس قزح بكلمات كلما اقتربت منه، وفي كل مرة تومئ بولي برأسها موافقة وتكمل رقصها. وبعدها طلب من دورثي وبرعم باهر الوقوف خلفه، ثم أفرغ أحد أجولة البطاطس بسرية وهدوء. بعدها اقتربت بولي بهدوء من الحارس وهي ترقص، وفجأة صفعته على وجهه، وفي الثانية التالية استدارت بسرعة لتنضم إلى الأصدقاء.



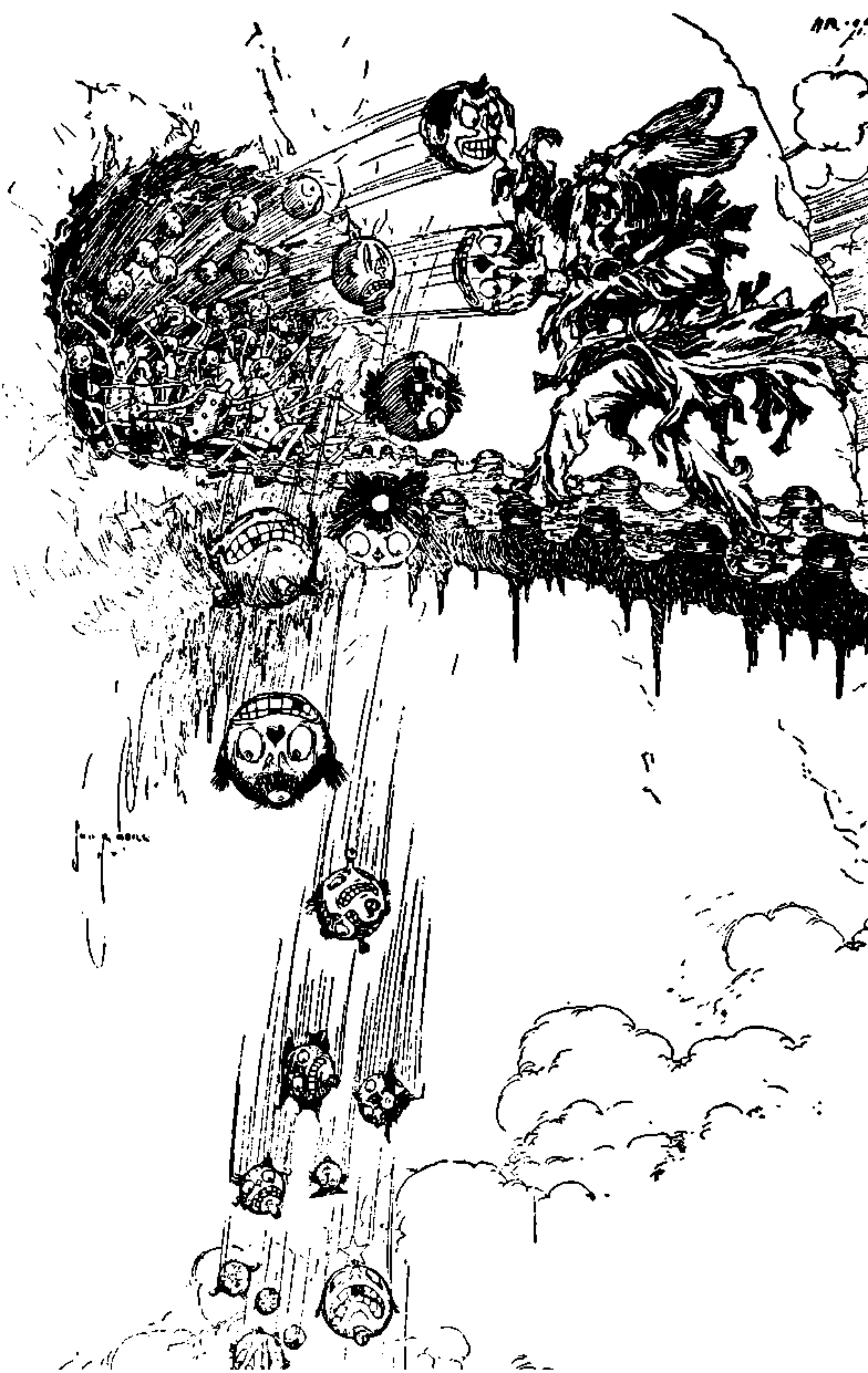
وعلى الفور قذف المخلوق الغاضب رأسه على ابنة قوس قزح، ولكن المتشرد توقع رد فعله، والتقط الرأس بمهارة كلاعبي كرة السلة، ووضعه داخل جِوال البطاطس الفارغ، وبسرعة ربط الجوال حتى لا يعثر الرأس على جسمه، فجسد الحارس لم تكن به أعين لترشده إلى مكان الرأس، كما أن رأسه لا يرى داخل الجوال المظلم. فتخبط وتعثر الحارس هنا وهناك دون هدى، وبكل سهولة تفادى المتشرد الجسد المتخبط وفتح باب السجن. لحسن الحظ لم يكن هناك أحد في الكهف، فحث دورثي وبولي على الإسراع إلى الخارج، وعبور الجسر الحجري العريض، وقال لهما:

- أما أنا فسأحمل برعم باهر.

فقد لاحظ المتشرد أن رِجلي الولد الصغير قصيرتان، ولن يتمكن من الجري بسرعة كافية.

حضنت دورثي كلبها دودو تحت ذراعها، وقبضت على يد بولي، وجرت بخفة تجاه المدخل. وحمل المتشرد برعم باهر على كتفيه وجرى وراءهما. لم يلتفت الأصدقاء وراءهم، فقد كان هروبهم سهلاً على نحو غير متوقع، وكادوا يبلغون الجسر الحجري، لكن رآهم أحد السكولدرز حين خرج من بيته.

صاح المخلوق صيحة تحذيرية لزملائه، فخرجوا من البيوت الحجرية فورًا، ودون أي تردد بدؤوا مطاردة الأصدقاء. وصلت دورثي وبولي إلى الجسر وبدأتا عبوره حين بدأ السكولدرز في قذف رؤوسهم عليهم، ولسوء الحظ أصابت إحدى القذائف ظهر المتشرد، فوقع على الأرض في لحظة وصوله إلى بداية الجسر، فحث برعم باهر على الجري واللحاق بدورثي وبولي، وعبور الجسر معهما.

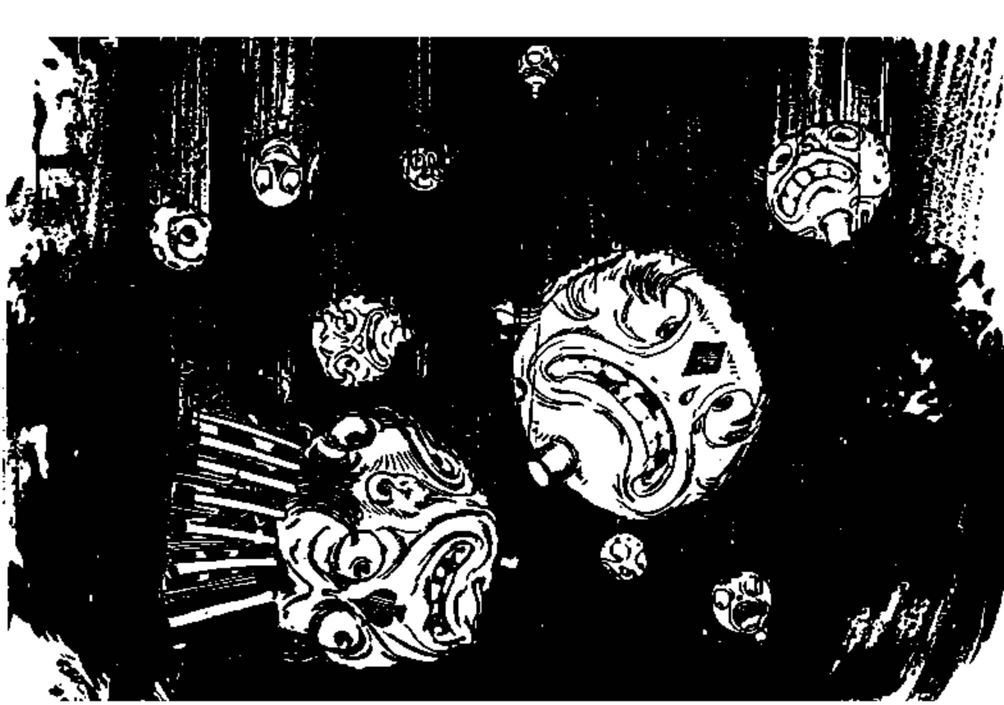


بشجاعة بالغة، وقف المتشرد يواجه الأعداء عند المدخل، وبمهارة فائقة ظل يلتقط الرؤوس المقذوفة بيديه، ويلقيها في الجرف الأسود الهائل أسفل الجسر. لم يستطع السكولدرز الذين فقدوا رؤوسهم من إكمال المطاردة، لكن الآخرين استمروا في قذف الرؤوس على الأصدقاء لعرقلة هروبهم. وبهمة ونشاط، استمر المتشرد في إرسال الرؤوس المقذوفة إلى داخل الجرف الأسود الهائل، ولكنه لاحظ أنه التقط رأس الملكة القرمزي والأصفر في يديه، ولكنه في ظل انشغاله بالتقاط الرؤوس رمى رأسها إلى الجرف دون أن ينتبه.

استمرت هذه اللعبة حتى فقد كل السكولدرز تقريبًا رؤوسهم، وضحك المتشرد كثيرًا على منظر أجسادهم التي تتخبط وهي تحاول أن تجمع نفسها داخل الكهف، للعثور على طريقة لاستعادة رؤوسها المفقودة.

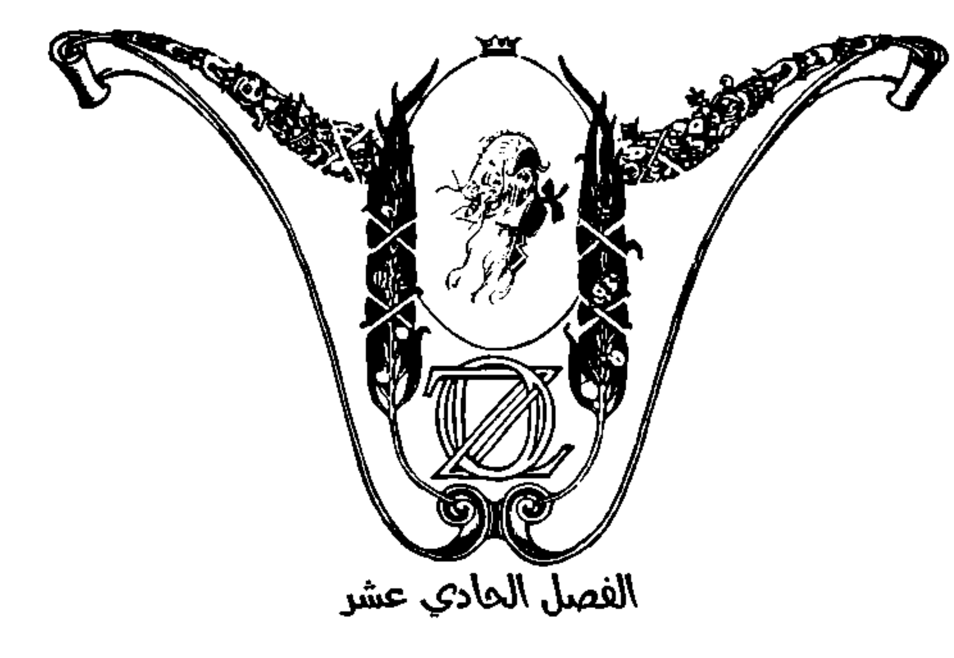
وحين هدأ الموقف، تبختر المتشرد على الجسر ضاحكًا لينضم إلى رفقائه، وقال عندما وصل إليهم:

- أنا محظوظ لأني كنت لاعب كرة ماهرًا في شبابي.. تعالوا في حضني يا أطفالي، فالسكولدرز لن يزعجوكم أو يزعجوا أي شخص آخر.



لكـن برعـم باهـر ظـل مرعوبًـا ويقـول: "أنـا لا أريـد أن أكـون شـوربة". فالنـصر الـذي حققـه المتـشرد كان سريعًـا، ولـم يسـتوعب الولـد الصغـير أنهـم هربـوا مـن المصـير المميـت، وصـاروا أحـرارًا وآمنـين. فطمأنـه المتـشرد بـأن كل الأخطـار انتهـت، بمـا فيهـا الطبـخ كشـوربة، فالسـكولدرز لـن يتمكنـوا مـن تنـاول شـوربة مـرة أخـرى.

الآن، صـار الأصدقـاء متلهفـين للابتعـاد عـن الكهـف الكئيـب بـكل مـا يسـتطيعون، وتمكنـوا مـن تسـلق تـلال الصخـور، والعـودة إلى الطريـق في المـكان الـذي التقـوا فيـه السـكولدرز أول مـرة. وهكـذا عـثرت أقدامهـم عـلى المسـار الصحيـح المألـوف مـرة أخـرى.



الفصل الحادي عشر

جوني دويت يفعلها أخيرًا

قالت دورثي وهي تمشي مجهدة:

- هذا الطريق أكثر صعوبة وخشونة.

رد عليها برعم باهر وهو متعب بأنه جائع. كانوا كلهم بالطبع جائعين وعطشى، فهم لم يتناولوا أي طعام منذ الإفطار، لذلك تباطأت خطواتهم وأصابهم الإرهاق. وأخيرًا تجاوزوا قمة أحد التلال القاحلة ببطء، ليروا من بعيد صفًّا من الأشجار الخضراء تفصلهم عنها مساحات من العشب، وتصل إليهم منها روائح زكية.

تحمس مسافرونا للمنظر المنعش، فقطعوا المسافة إلى هناك جريًا، حيث وجدوا بحيرة مياه صافية مليئة بالفقاعات ويحيطها العشب، وعلى ضفافها ينمو توت بري ناضج يغري بالأكل، إلى جانب أشجار برتقال أصفر وخوخ مخملي. وجد المغامرون الجائعون أنفسهم في واحة توفر لهم الشراب والطعام الوفير، ولم يضيعوا وقتًا في قطف

الثمـار الكبـيرة، فانهمكـوا في تنـاول كل التـوت والبرتقـال الناضـج، بقـدر مـا يشـبع بطونهـم.

ولكـن بعـد صـفّ الأشـجار، وجـدوا صحـراء مخيفـة كئيبـة، ورمـالاً رمادية في كل مـكان، وعـلى حافـة هـذه الصحـراء لافتـة بيضـاء كبـيرة عليهـا كلمـات باللـون الأسـود، قرأهـا المتـشرد قائـلاً:

تحذير لكل الناس.. لا تغامروا بدخول هذه الصحراء
فالرمال المميتة ستحول أي كائن حي إلى تراب في ثوانٍ.
أرض أوز موجودة خلف هذه الصحراء المميتة
لكن لا أحد استطاع الوصول إليها بسبب هذه الرمال المدمرة.

قالت دورثي:

- أوه، لقـد رأيـت هـذه الصحـراء مـن قبـل، وفعـلاً لا يسـتطيع أحـد أن يمـشي عـلى هـذه الرمـال!

رد المتشرد:

- إذًا لا يجـب أن نحـاول دخولهـا.. ولكـن بمـا أننـا لا نسـتطيع التقـدم، ولا فائـدة مـن العـودة، فماذا سـنفعل؟

أجاب برعم باهر:

- معرفش.

وقالت دورثي بيأس:

- معك حق يا برعم باهر.. فأنا أيضًا لا أعرف!

تنهدت بولي وقالت:

- أتمنى لو يأتي أبي ويأخذني من هنا. بإمكانكم أن ترافقوني فوق قوس قزح، حيث تستطيعون الرقص على أشعة الشمس من الصباح إلى الليل! لكن أعتقد أن أبي مشغول للغاية الآن ولن يبحث عني هنا!

قعد برعم باهر على العشب الطري وقال:

- لا أريد أن أرقص.

قالت دورثي:

- هذا شيء لطيف جدًّا لكِ أنتِ يا بولي، لكنّ عندي أشياء أخرى أفعلها أفضل من الرقص على قوس قزح، أخشى أنه سيكون هَشًّا ويتحطم تحت قدميّ.. على أي حال، سيكون ممتعًا أن أتأمل جمال ألوان الأقواس فقط.

لم يساعد اقتراح بولي في حل المشكلة بالطبع، وبالتالي صمتوا جميعًا وهم ينظر بعضهم إلى بعض بتساؤل. فقال المتشرد:

- أنا أيضًا لا أعرف ماذا نفعل.





وسرح بعينيه تجاه الكلب دودو، الذي هز ذيلة ونبح "هوو-هوو"، كأنه يقول إنه لا يعرف أيضًا ما العمل. أمسك برعم باهر عصا وبدأ يحفر في الأرض، والأصدقاء يشاهدونه باستسلام. وأخيرًا قال المتشرد:

- سوف يحل المساء قريبًا، الأفضل أن ننام في الواحة الخضراء كي نستريح قليلاً، وفي الصباح نقرر ماذا سنفعل.

لم تكن في هذه الواحة أسِرَّة للأطفال، واستخدم المتشرد أوراق الشجر العريضة والسميكة، ليحمي الأطفال من ندى الليل، كغطاء لهم في أثناء النوم. بعدها جمع كومة من الأعشاب الطرية ورقد عليها، وعندما جاء الليل استغرقت الصحبة كلها في النوم بسلام، حتى صباح اليوم التالي. لم يتمكن المتشرد من النوم سريعًا، وظل جالسًا يتأمل في ينبوع الماء.. وفجأة ابتسم وهزَّ رأسه كأنه عثر على فكرة عبقرية، ولكنه نظر إلى الأصدقاء المستغرقين في سبات عميق، وقرر أن يخلد معهم إلى النوم، والصباح رباح.

في الصباح المشرق، وبينما يأكلون التوت والخوخ الشهي، قالت دورثي:

- بولي، هل تصنعين أعمالاً سحرية؟

ردت ابنة قوس قزح:

- لا يا عزيزتي.

أكملت دورثي بجدية:

- ظننت أن ابنة قوس قزح ينبغي أن تعرف بعض الأعمال السحرية.

ردت بولي:

- الذين يعيشون على قوس قزح، بين السحب، لا يحتاجون إلى أي سحر!

قالت دورثي:

- أريد فقط طريقة لعبور الصحراء إلى أرض أوز ومدينة الزمرد، لقد عبرتها من قبل أكثر من مرة.. في المرة الأولى، حملني إعصار إلى هناك، وأعادني حذاء فضيٌّ في لمح البصر.. وفي المرة الثانية عبرت الصحراء بالبساط السحري الخاص بالأميرة أوزما، وعدت إلى البيت بواسطة الحزام السحري، الذي استوليت عليه من ملك النووم.. فكما ترين، السحر هو وسيلة عبور الصحراء، ما عدا المرة الأولى، وبالطبع لا أتوقع أن يحملني الآن إعصار إلى مدينة الزمرد.

هزت بولي كتفيها وقالت:

- بالطبع لا.. أنا لا أحب الأعاصير.

قالت فتاة كانساس:

- لهذا سألتك إن كنت تصنعين السحر كي نعبر الصحراء، فلا أنا أو برعم باهر نصنع سحرًا، والمتشرد لا يملك من السحر إلا مغناطيس الحب، وهذا لن يساعد في الموقف الحالي.

تكلم المتشرد أخيرًا، وارتسمت ابتسامة على وجه الحمار وقال:

- لا تكوني واثقة هكذا يا عزيزتي.. فأنا لا أصنع السحر بنفسي، ولكني أستطيع استدعاء صديق مخلص يحبني لأني أملك مغناطيس الحب.. وسيتمكن هذا الصديق من مساعدتنا.

سألته دورثي:

- مَن هذا الصديق؟

أجابها المتشرد:

- إنه جوني دويت.[1]

فتساءلت دورثي:

- ماذا يستطيع أن يفعل جوني؟

أجاب المتشرد بكل ثقة:

- أي شيء!

قالت دورثي بلهفة:

- إذًا، اطلب منه أن يحضر فورًا!

أخرج المتشرد مغناطيس الحب من جيب معطفه، ووضع المغناطيس السحري على كف يده، ونظر إليه وقال: "يا عزيزي جوني دويت، تعالَ.. أحتاج إليك بشدة!"

فجأة صدر صوت مرح يقول: "حسنًا، أنا هنا، ولكن ليس عليك أن تقول إنك تحتاج إليّ بشدة، فأنا دائمًا في حال جيدة".[2]

التفت الأصدقاء كلهم بسرعة إلى مصدر الصوت، فوجدوا رجلاً يجلس على صندوق نحاسي كبير، ينفث دخانًا من غليون طويل. شعره رمادي، وشاربه رمادي وطويل لدرجة أنه ربط طرفيه حول وسطه في عقدة قوية، تحت المريلة الجلدية التي يلبسها، والتي تصل من ذقنه إلى أطراف قدميه، كما أنها ملطخة ببقع ودهانات ومليئة بالخدوش

---

(1) منذ عام 1880 تقريبًا كان دويت Dooit اسم عائلة مشهورة بصناعة الأحذية في أميركا، كما أن الكلمة إدماج لمقطعين do وit ويصبح اسمه هو Johnny do it بمعنى جوني الذي يستطيع أن يفعل أي شيء. فعنوان الفصل Johnny Dooit Does It وفيه الفعل do في الحاضر present tense وفي المستقبل التام future perfect tense.

(2) يقول المتشرد I need you bad as bad can be وهو يستخدم تعبير bad as bad can be والذي يعني حرفيًا: أحتاج إليك على نحو سيئ (بشدة) بقدر سوء حالي. لذلك يرد عليه جوني: أنا حالي جيدة.

والخريشات كأنها مستعملة وبالية منذ وقت طويل. كان أنفه كبيرًا ويميل للأعلى قليلاً، لكن عينيه متلألئتان ومرحتان.. أما يداه وذراعاه فقد كانت في خشونة ومتانة جلد مريلته. يبدو أن جوني دويت يعمل طوال حياته في أعمال شاقة.

قال المتشرد:

- صباح الخير يا جوني.. شكرًا على حضورك السريع!

رد الوافد الجديد بحزم:

- أنت تعرف أنني لا أضيع وقتي.

ثم أكمل بدهشة:

- ولكن ماذا حدث لك؟ من أين حصلت على رأس الحمار هذا؟ لم أكن سأتعرف عليك إلا عندما نظرت إلى قدمك! فهي قدم مميزة!

تولّى المتشرد تقديم دورثي ودودو وبرعم باهر وابنة قوس قزح إلى جوني دويت، وحكى له عن مغامراتهم، وأخبره أنهم متلهفون للوصول إلى مدينة الزمرد في أرض أوز، لأن دورثي لديها أصدقاء هناك سيساعدونهم في العودة إلى الوطن سالمين. وأضاف:

- لكن هذه الصحراء تعيقنا عن العبور إلى أرض أوز، فهي تحول أي كائن حي يلمس رمالها إلى تراب في ثوانٍ.. لهذا استدعيتك.

نفث جوني دويت دخان غليونه، ونظر باهتمام إلى الصحراء المميتة أمامهم، وحاول مد بصره ليصل إلى جانبها الآخر، وقال بخفة:

- يجب أن تركبوا...

فسأله المتشرد:

- ماذا نركب؟

فأكمل جوني:

- في قارب رملي، به زحافات مثل التي يستخدمونها في التزلج، ويُبحر مثل المراكب البحرية.. ستحملكم الرياح بسرعة عبر الصحراء دون أن تلمسكم الرمال.

صفقت دورثي بفرحة وصاحت:

- براڤو، جيد، هذه هي الطريقة التي سافرنا بها عندما ركبنا البساط السحري، فلم نلمس الرمال المميتة.

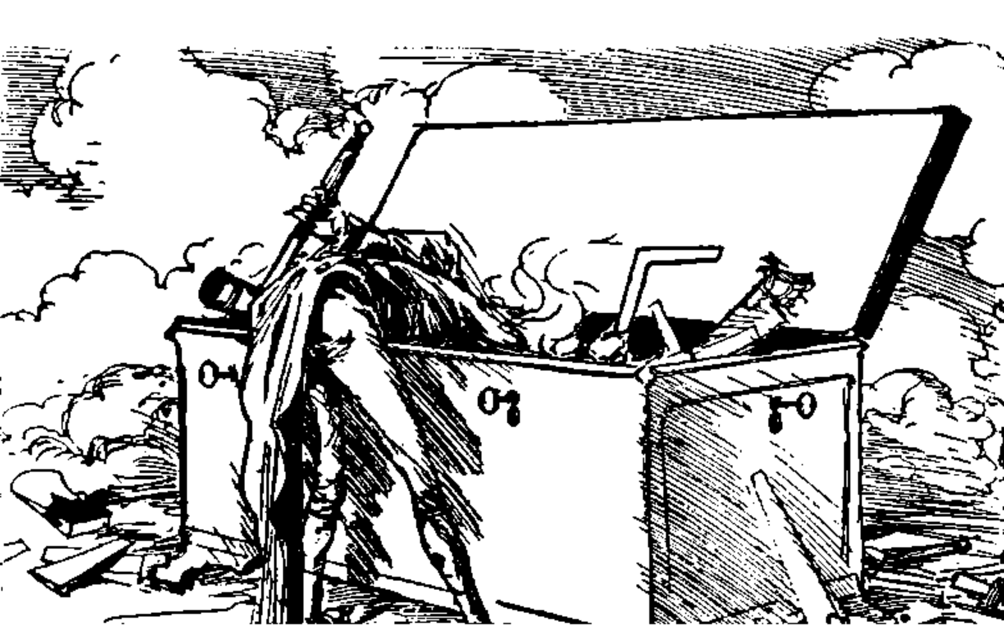
سأل المتشرد:

- لكن أين هو القارب الرملي؟

قال جوني دويت:

- سأصنع لكم واحدًا!

ونفض رماد غليونه، ونهض من فوق الصندوق النحاسي الكبير، وفتح القفل ورفع غطاء الصندوق، فرأت دورثي بداخله الكثير من الأدوات اللامعة من كل الأشكال والأحجام. كان جوني دويت يتحرك بسرعة أدهشتهم، وكل ما يحتاج إليه كان في هذا الصندوق، حتى ظنت دورثي أن هذه الأدوات سحرية، لأنها أنجزت العمل بجودة عالية.



دنـدن جـوني بأغنيـة وهـو يعمـل، فحاولـت دورثي أن تسـمع منهـا بعـض كلماتهـا الـتي تقول:

الطريقة المثلى لتنفيذ أمر ما

هي أن تفعله بنفسك

غنِّ وفكِّر وخطِّط واعمل بجهد

كانـت كلمـات غنـاء جـوني دويـت تسـاعده عـلى إنجـاز العمـل، ووقـف الأصدقـاء يراقبونـه بإعجـاب. تنـاول بلطـة وببضـع ضربـات اسـتطاع أن يوقع شـجرة. ثـم تنـاول منشـارًا، وفي بضـع دقائـق أنهـى تقطيـع جـذع الشـجرة إلى ألـواح طويلـة وعريضـة. وتنـاول مطرقـة ومسـامير، وركّـب الألـواح الخشـبية في شـكل مركـب، طولـه نحـو خمسـة أمتـار وعرضـه نحـو ثلاثـة أمتـار. ثـم قطـع الفـروع الصغـيرة الطويلـة والرفيعـة، وشـذبها بالبلطـة وثبتهـا بشـكل عمـودي في منتصـف القـارب، لتكـون صـاري القـارب. بعدهـا أخـرج لفة حبال وحزمـة مـن الأقمشـة المتينـة، وصنـع منهـا شراعًـا علّقـه عـلى الصـاري، بحيـث يمكـن رفعـه وإنزالـه. كل هـذا وجـوني يدنـدن بالأغنيـة.

انبهـرت دورثي وهـي تشـاهد المركـب يتكـون أمـام عينيهـا بسرعـة، ونظـر برعـم باهـر وبـولي بنفـس الدهشـة والاهتمـام. فقـال لهـم جـوني دويـت وهـو يعيـد الأدوات إلى صندوقـه النحـاسي:

- أعتقـد أنـه سـيبدو أجمـل عنـد طلائـه، لـن يسـتغرق مـني أكـثر مـن ثـلاث ثـوانٍ، لكـن يجـب الانتظـار سـاعة كاملـة عـلى الأقـل حـتى يجـف الطـلاء، وهـذا بالتأكيـد مضيعـة للوقـت.

قال المتشرد:

- لا نهتم الآن بشكله.. المهم أن يعبر بنا الصحراء.

رد جوني دويت:

- سيعبر بكم بكل تأكيد.. المقلق فقط أن ينقلب بك القارب، هل أبحرت بمركب من قبل؟

أجاب المتشرد:

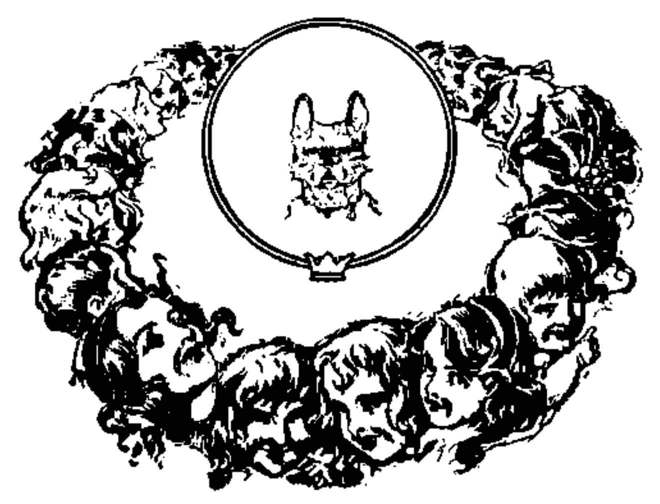
- لقد كنت في مركب مبحر من قبل.

فقال جوني:

- جيد، أبحر بهذا القارب بنفس الطريقة تمامًا، وستعبر الصحراء بسلام.

بعدها، أغلق غطاء الصندوق النحاسي، فأصدر فرقعة صغيرة، واختفى جوني ومعه صندوق الأدوات، كأنه لم يكن موجودًا.





الفصل الثاني عشر

عبور الصحراء المميتة

ما إن اختفى جوني دويت، صاحت دورثي:

- يا لسوء الحظ، لم أستطع أن أشكره على لطفه معنا!

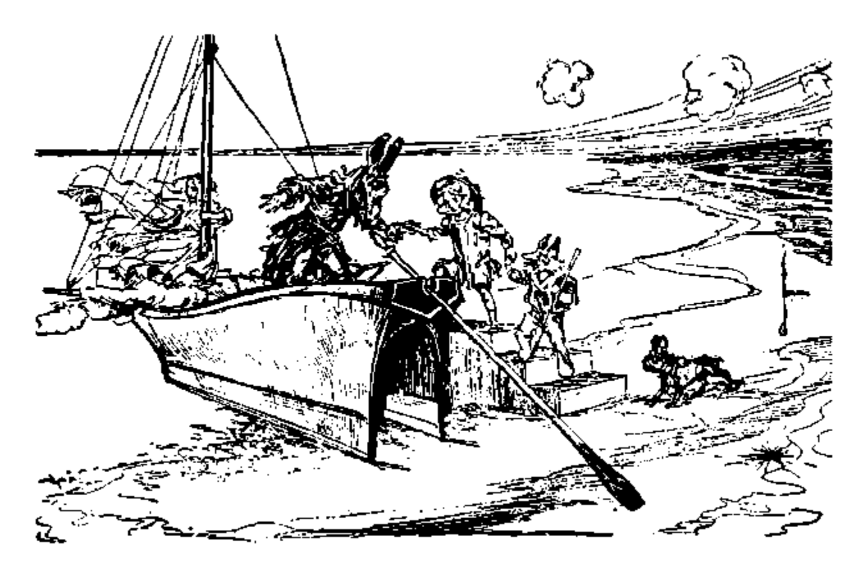
رد المتشرد بهدوء:

- جوني دويت ليس لديه وقت ليضيعه في الاستماع للشكر، أنا واثق بأنه يعرف أننا ممتنون له جدًّا.. أعتقد أنه الآن يعمل في منطقة أخرى من العالم.

تفحصوا بإعجاب القارب الذي صنعه جوني دويت، فلاحظا أنه ثبّت أسفله اثنتين من الزحّافات الحادة، لتسهل تزلج القارب على الرمال، كما أن مقدمته مدببة مثل مقدمات السفن، والمؤخرة بها دفة لتوجيه القارب. قال المتشرد:

- اصعدوا يا أصدقائي، سأقود هذا القارب كأي بحار متمرس.

صعـدت دورثي تحمـل الكلـب دودو تحـت ذراعيهـا، وقعـدت أمـام الصـاري، وبجانبها قعـد برعـم باهـر. وقعـدت بـولي في مقدمـة القـارب، في حـين قرفـص المتـشرد في مؤخـرة القـارب خلـف الصـارى، وأمسـك بالدَّفَّـة. وعندمـا اسـتعد الجميـع، رفـع الـشراع عـلى الصـاري حـتى منتصفـه، فدفعـت الريـاح الـشراع، وعندهـا تقـدم القـارب للأمـام، وأبحـر بنعومـة داخـل الصحـراء ببـطء في البدايـة، حـتى اشـتدت الريـاح فـازدادت سرعـة القـارب. سـحب المتـشرد كامـل الـشراع عـلى الصـاري، وتمكـن مـن توجيـه القـارب للأمـام بالدفـة.



امتـدت كثبـان الرمـال في الصحـراء، وفي كثـير مـن الأحيـان كانـت غـير مسـتوية، فـكان القـارب يهـتز بخطـورة، ولكـن لحسـن الحـظ لـم ينقلـب بهـم، لأن الزلاجـات حافظـت عـلى التـوازن.

خـاف المتـشرد مـن سرعـة القـارب العاليـة، وفكـر كيـف سـيقلل سرعـة القـارب. وفكـرت دورثي في نفسـها: "إن سـقطنا عـلى هـذه الرمـال، سـنكون ترابًـا في ثـوانٍ، وسـتكون هـذه نهايتنـا".

رويدًا رويدًا وقفت بولي على مقدمة القارب، ونظرت باستقامة إلى الأمام، فرأت خطًّا أسودَ على الجهة المقابلة، وتساءلت ماذا يكون! شيئًا فشيئًا اتضحت الرؤية أكثر، حتى اكتشفت أنه صف من الصخور المسننة في نهاية الصحراء، وأعلى تلك الصخور رأت مساحة شاسعة من العشب الأخضر. فصرخت في المتشرد:

- احترس، أبطئ قليلاً، وإلا سنصطدم بتلك الصخور!

أقرب فأقرب، ظهرت الصخور المسننة الهائلة، ويئس المتشرد من محاولة كبح الاندفاع الجنوني للقارب. وعندما وصلوا إلى حافة الصحراء، ارتطموا مباشرة بالصخور. الاصطدام كان عنيفًا لدرجة أن دورثي وبرعم باهر ودودو وبولي طاروا في الهواء إلى أعلى، ووقعوا وتدحرجوا على العشب بضع مرات، ولم تمكنهم قوة القفزة من وقف تدحرجهم.

طار المتشرد خلفهم، ووقع رأس الحمار الثقيل عن كتفيه على الأرض، مكومًا بجانب الكلب دودو، الذي كان يشعر بالإثارة لطيرانه فوق العشب، وتذكر رؤوس السكولدرز التي كان يطاردها، فعض أذن الحمار الطويلة كأنه يريد أن يخلعها، وهو يزمجر بغضب، ولكن المتشرد أمسك الكلب حتى هدأ، وأطلق سراح رأس الحمار من بين أسنانه، فجلس المتشرد على العشب متعجبًا لأنه عبر الصحراء المميتة بسلام.

شعرت دورثي أن واحدة من أسنانها الأمامية مخلخلة، لأنها خبطتها بركبتها عندما وقعت. ونظرت بولي بحزن إلى قَطْعٍ في فستانها الناعم الجميل. أما برعم باهر، فقد انحشر رأسه الثعلبي في جحر سنجاب، وظل يحاول أن يحرر نفسه بيديه الصغيرتين.

ما عدا ذلك، لم يصب أي منهم بأذية من هذه المغامرة. فوقف المتشرد، وشد رأس برعم باهر المحشور في الحفرة، وعاد إلى حافة الصحراء، ليرى ماذا حدث للقارب الرملي. كان مجرد كومة من الشظايا، سحقتها الصخور المسننة. والرياح قد مزقت الشراع وألقته أعلى شجرة طويلة، حيث رفرفت بقايا الشراع الممزق كأنها راية بيضاء.



قال المتشرد:

ـ حسنًا، لقد عبرنا أخيرًا، لكني لا أعرف أين نحن!

وقفت دورثي بجانبه وقالت:

ـ يجب أن نكون في أرض أوز!

كرر المتشرد متسائلاً:

ـ يجب؟

ردت دورثي:

ـ بالطبع يجب، لقد عبرنا الصحراء، أليس كذلك؟ وفي منطقة في منتصف أرض أوز تقع مدينة الزمرد!

أومأ المتشرد وقال:

ـ ما دمتِ متأكدة، فهيا نكمل رحلتنا.

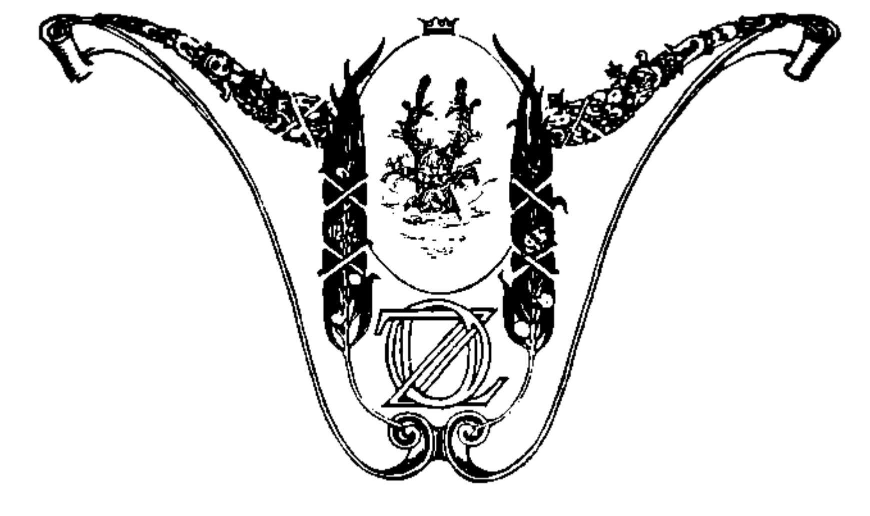
ولكنها أكملت:

ـ ولكني لا أرى أي ناس هنا ليدلونا على الطريق!

فقال المتشرد مقترحًا:

ـ إذًا فلنبحث عنهم، فلعلهم لا يتوقعون قدومنا ولذا لم يأتِ أحد لاستقبالنا.





الفصل الثالث عشر

ينبوع الحقيقة

تفحص الأصدقاء بعناية ما يحيط بهم في هذه البلاد. كل شيء منعش وجميل بعد الصحراء القاحلة. الشمس المشرقة والهواء النقي ممتع للمغامرين. ظهرت أشجار لونها أصفر مخضرّ على اليمين، وعلى اليسار تموجت مجموعة من الأشجار المورقة تحمل براعم صفراء. والأرض غطاها بساط من العشب، مزين بالنرجس وزهر الليمون وعصفور الجنة، ومختلف النباتات ذات اللون الأصفر.

بعدما تأملت دورثي المناظر حولها، قالت:

- أعتقد أننا في بلاد الوينكلز الصفراء، فكل ما يحيط بنا لونه أصفر.

رد المتشرد كأنه أصيب بالإحباط:

- كنت أظن أننا في أرض أوز!

أشارت دورثي بيديها للاتجاهات الأربعة وقالت:

- نعـم نحـن في أرض أوز، لكـن في أرض أوز أربـع مناطـق؛ البـلاد الشـمالية وهـي بـلاد الجليجـان ويسـود فيهـا اللـون البنفسـجي.. والبـلاد الشرقيـة زرقـاء وهـي بـلاد الموشـكين.. والبـلاد الجنوبيـة حمـراء وهـي الجودلينـج.. والبـلاد الغربيـة صفـراء وهـي بـلاد الوينكلـز.. وهـذه المنطقـة يحكمهـا الحطـاب الصفيـح.

سألها برعم باهر:

- ومَن هو؟

أجابته دورثي:

- إنـه رجـل الصفيـح الـذي أخبرتـك عنـه مـن قبـل، اسـمه الحقيقـي نيـك السـاطور، وهـو يمتلـك أطيـب قلـب.. حصـل عـلى ذلـك القلـب مـن سـاحر أوز العجيـب.

سأل الولد الصغير:

- وأين يعيش؟

ردت دورثي:

- هـل تقصـد السـاحر؟ آه، يعيـش في مدينـة الزمـرد، الـتي تقـع في منتصـف أرض أوز، حيـث تلتقـي أركان البـلاد الأربعـة.

ارتبك برعم باهر من هذا الشرح، فقال المتشرد:

- إذًا فنحن ما زلنا بعيدين عن مدينة الزمرد!

ردت دورثي:

- هـذا صحيـح.. الأفضـل أن نبـدأ رحلتنـا حـالاً، ونعـثر عـلى أحـد مـن أهـالي الوينكلـز.. إنهـم شـعب لطيـف للغايـة.



وبينما بدأت الصحبة الصغيرة في السير تجاه الأشجار، أكلمت دورثي:

- لقد زرت تلك البلاد من قبل مع خيال المآتة والحطاب الصفيح والأسد الخواف، لقتال الساحرة الشريرة التي استعبدت كل شعب الوينكلز.

سألتها بولي:

- وهل هزمتِها؟

ردت دورثي:

- نعم هزمتها.. لقد سكبت عليها دلو ماء فأذابها، وكانت تلك هي نهايتها.. وبعد أن تحرر شعب الوينكلز، نصَّبوا الحطاب الصفيح إمبراطورًا عليهم.

سأل برعم باهر:

- ما هذا؟

ردت دورثي:

- هل تقصد الإمبراطور؟ أعتقد أنه منصب يشبه العمدة.

قال المتشرد:

- كنت أعتقد أن الأميرة أوزما هي حاكمة أرض أوز!

قالت له دورثي موضحة:

- وهي كذلك، إنها تحكم مدينة الزمرد وكل البلدان الأربعة في أوز، لكنّ لكل بلد حاكمه الخاص، ليس لديه سلطات كبيرة مثل أوزما ويخضع لها، مثل الرتب العسكرية في الجيش.. هؤلاء الحكام مثل الضباط، وأوزما أعلى منهم رتبة مثل الجنرال.

بمرور الوقت، وصلوا إلى صف الأشجار، فلاحظت دورثي أن الأشجار مصفوفة على هيئة دائرة مكتملة. وتحت ظلال الأشجار ظهر ينبوع ماء صافٍ كريستاليّ في منتصف دائرة الأشجار تمامًا، الماء فيه رائق كأنه زجاج شفاف. وبدا أيضًا أن المياه عميقة، فعندما انحنت بولي لتنظر فيها، أطلقت تنهيدة فرح وقالت: "إنها مرآة!" لأنها رأت وجهها الجميل بألوان قوس قزح معكوسًا على صفحة المياه، كأنها حية وحقيقية، لدرجة أنها اعتقدت أن بولي أخرى تنظر إليها من الجانب الثاني من سطح مياه الينبوع.

انحنت دورثي أيضًا ونظرت في صفحة المياه كأنها تنظر في المرآة، ورتبت خصلات شعرها المتناثر من مغامرتهم في الصحراء. أما برعم باهر، فحين نظر في صفحة مياه الينبوع، بدأ يبكي لأنه رأى للمرة الأولى رأس الثعلب الذي يحمله فوق كتفيه، ما أثار خوفه وفزعه.

قال المتشرد بحزن:

- أعتقد أني لن أجرؤ على النظر في المرآة.

فهـو لـم يحـب رأس الحمـار الـذي يحملـه عـلى كتفيـه. وبينمـا حاولـت كل مــن بــولي ودورثي تهدئــة الولــد الصغــير، قعــد المتــشرد عــلى حافــة الينبــوع، بحيــث لا يــرى وجهــه المنعكــس عــلى الميــاه، وحــدق في الميــاه بتأمـل عميـق. في أثنـاء هـذا، لاحـظ لوحـة فضيـة مثبتـة عـلى حجـر تحـت سـطح المـاء مبـاشرة، محفـورًا عليهـا:

ينبوع الحقيقة

وعلى الفور، قفز ودار على عقبيه فرحًا وصاح:

- هاء لقد وجدتها.

فأسرعت إليه دورثي وسألته بلهفة:

- ماذا وجدت؟

أجابها المتشرد:

- ينبــوع الحقيقــة، هنــا وأخــيرًا، الآن يمكنــي التخلــص مــن هــذا الرأس الكريــه.. أتذكــر أنهــم أخــبروني أن بإمــكاني اســتعادة رأسي الأصــلي في ينبــوع الحقيقة.



أسرع برعم باهر إليهما وصاح بفرح:

- وأنا أيضًا!

قالت دورثي:

- بالطبع، أعتقد أنكما محظوظان بالعثور عليه.

رد المتشرد بسعادة:

- إنـه حـظ حسـن بالفعـل، فأنـا أكـره أن أحـضر عيـد ميـلاد الأمـيرة أوزمـا بهـذا الـرأس.

وفجـأة سـمعوا صـوت طرطشـة مـن المـاء، وكان السـبب أن برعـم باهـر سـقط في الينبـوع، لأنـه كان متلهفًا لرؤيـة كيـف يشـفي.. وغمرتـه الميـاه حـتى اختفـى عـن الأنظـار، ولـم يبـق غـير قبعـة البحّـار تطفـو عـلى سـطح المـاء.

وعـلى الفـور أمسـك بـه المتـشرد مـن ياقـة زي البحـار الـذي يلبسـه، وسـحبه إلى الخـارج وهـو يقطـر مـاء ويلهـث. وعندهـا نظـر إلى الولـد بتعجـب، فـرأس الثعلـب اختفـى، وحـل محلـه رأس برعـم باهـر الأصـلي المـدور السـمين ذو العينـين الزرقاويـن وخصـلات الشـعر الجميلـة المتجعـدة. فصاحـت بـولي فَرِحَـة:

- أوه، يا حبيبي!

وأسرعـت لتحضـن الولـد الصغـير وهـو مـا زال مبتـلاً. فرحتهـم بنجـاة برعـم باهـر جعلتـه يفـرك عينيـه مـن الميـاه وينظـر إليهـم بتسـاؤل. فقالـت لـه دورثي:

- أنت الآن على ما يرام يا عزيزي، تعال وانظر بنفسك.

وجذبته برفق إلى الينبوع، فرأى وجهه بوضوح، فقال الولد مسرورًا:

- إنه أنا!


ينبوع الحقيقة

ردت الفتاة:

- بالطبع، إنه أنت.. وكلنا سعداء بعودتك لهيئتك الأصلية.

تنحنح المتشرد وقال:

- حسنًا، إنه دوري!

ثم خلع معطفه البالي ووضعه على العشب، وغطّس رأسه في ينبوع الماء، وحين أخرجه كان رأس الحمار قد اختفى وعاد رأس المتشرد الأصلي فوق كتفيه، والماء يسيل على شاربه. فتراجع إلى الشاطئ، وهز رأسه عدة مرات لينفض قطرات الماء العالقة بشعره وشاربه، وبعدها عاد ليرى انعكاس وجهه على صفحة الماء، ويتأكد من أن مفعول السحر انتهى.

قال لأصحابه الذين نظروا إليه مبتسمين:

- قد لا أكون جميلاً في الوضع الحالي، ولكني وسيم وأجمل من أي حمار بالطبع، حتى إني أشعر بالفخر بهيئتي الأصلية.



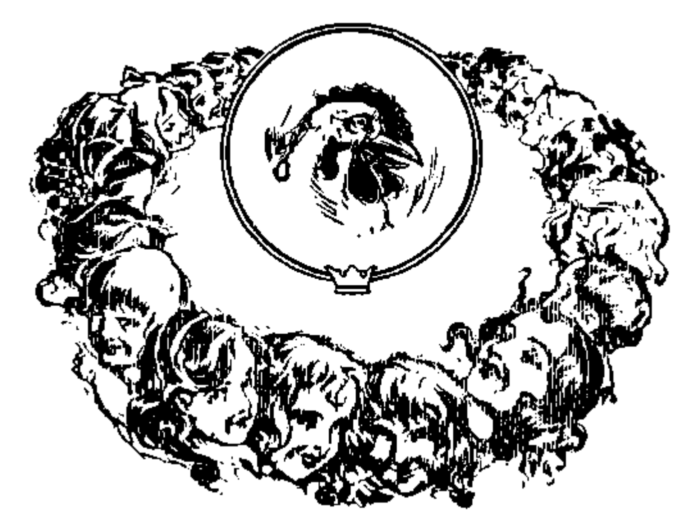
قالت دورثي:

- صحيح أيها المتشرد، وبرعم باهر أيضًا على ما يرام.. والآن، يجب أن نشكر ينبوع الحقيقة على لطفه معنا، ثم نستأنف رحلتنا إلى مدينة الزمرد.

تنهد المتشرد وغمغم:

- لا أحب أن أترك هذا المكان، فأنا أريد أن أحمل ينبوع الحقيقة معي.

ولكنه وضع يديه في جيبي معطفه، وانضم إلى الآخرين بحثًا عن اتجاه يسيرون فيه إلى مدينة الزمرد.



الفصل الرابع عشر

تيكتوك وبلينا

داخل مرج الزهور الصفراء، عثر الأصدقاء على طريق ممهد يؤدي لناحية الشمال الغربي، فقالت دورثي:

- هذا هو اتجاه مدينة الزمرد، الأفضل أن نمشي على هذا الطريق حتى نقابل بيتًا أو شخصًا لنسترشد منه.

سرعان ما جففت الشمس زي البحار الذي يرتديه برعم باهر، وجففت أيضًا ملابس المتشرد البالية. وقال المتشرد:

- أخيرًا يمكنني أن أصفِّر مرة ثانية، فشفتا رأس الحمار سميكتان ولا تساعداني على الصفير بأي نغمة أريدها.

وغرد المتشرد بنغمات وألحان كأنه طائر سعيد، ففرحت دورثي حين رأت صديقها فَرِحًا وأضافت:

- وستكون في مظهر لائق في حفل عيد الميلاد أيضًا.

رقصت بولي أمامهم على الطريق، كعادتها منذ بداية رحلتها معهم، وظلت تدور حول نفسها حتى اختفت عن أنظارهم في أحد انحناءات الطريق. وفجأة سمعوها تهتف: "أوه"، وعلى الفور ظهرت لهم ثانية عائدة لهم بأقصى سرعة. فتساءلت دورثي مرتبكة:

- ماذا حدث يا بولي؟

ولم يكن ضروريًّا أن تجيب بولي، فعلى طرف منحنى الطريق تقدم نحوهم بتمهل رجل ميكانيكي، مصنوع من النحاس المصقول، يلمع تحت أشعة الشمس، واستقرت على كتفه دجاجة صفراء وعقد من اللؤلؤ يتألق حول عنقها.

صاحت دورثي سعيدة برؤية صديقها القديم:

- أوه، تيكتوك!

وجرت ناحيته، وعندما وصلت إليه حملها تيكتوك بذراعيه النحاسيتين، وقبلها على خدها. والتفتت دورثي إلى الدجاجة الصفراء وصاحت بفرح:

- أوه، بيلينا!

فطارت الدجاجة إلى ذراعي الفتاة الصغيرة التي حضنتها وربتت عليها بحب.

تعجب الأصدقاء وانتابهم الفضول لهذا اللقاء الحميم. فالفتاة الصغيرة تحمست لأصدقائها القدامى وقالت:

- تيكتوك وبيلينا! أوه، ما أجمل هذا اللقاء! أنا سعيدة جدًّا برؤيتكم ثانية!

عندها تذكرت دورثي أنها يجب أن تُعرف أصدقاءها الجدد بأصدقائها القدامى. فقعدت دورثي بجانب الطريق، وسمعوا كلهم الصوت الآلي

للرجـل النحـاسي يقـول: "مرحبًا-بكـم-في-أوز" وقالـت الدجاجـة الصفـراء مـن بـين ذراعـي دورثي:

- يا عزيزتي، عندي لكِ أخبار مدهشة!

فردت دورثي:

- أخبريني بها بسرعة.



وقبـل أن تتكلـم بيلينـا، اندفـع دودو نحوهـا وهـو ينبـح نباحًـا حـادًّا، فنفشـت بيلينـا ريشـها وأصـدرت نقيقًـا غاضبًـا أفـزع دورثي، فأمـرت كلبهـا بصرامـة:

- توقف يا دودو، توقف فورًا، ألا ترى أن بيلينا صديقتي؟

لكـن دودو لـم يتوقـف، وكافـح بجنـون ليتخلـص مـن قبضـة دورثي، ولـم يهـدأ إلا عندمـا قرصـت أذنـه مرتـين كي يحسـن التـصرف. أمـا بيلينـا، فطـارت إلى كتـف تيكتـوك ثانيـة لتأمـن عـلى نفسـها مـن الكلـب، ونظـرت بسـخط إلى الكلـب وقالـت متذمـرة:

- يا له من غشيم!

ردت دورثي مدافعة عن كلبها:

- إنـه ليـس غشـيمًا.. كل مـا في الأمـر أنـه في مزرعتنـا يسـمح لـه عمـي هـنري أحيانًـا بمطـاردة الدجـاج.

والتفتت إلى الكلب ورفعت إصبعها وأكملت محذرة:

- اسـمع يـا دودو.. يجـب أن تفهـم أن بيلينـا مـن أعـز صديقـاتي، ويجـب ألا تؤذيهـا أبـدًا.. هـل فهمـت؟

هز الكلب ذيله كأنه فهم كلامها، فقالت بيلينا بنبرة فيها سخرية واحتقار:

- هذا المخلوق البائس لا يتكلم!

ردت دورثي:

- بـل يتكلـم، لكـن بواسـطة ذيلـه، وأسـتطيع فهـم كل مـا يقـول.. إن تمكنـتِ مـن هـز ذيلـك مثلـه يـا بيلينـا، لـن تحتاجـي إلى كلمـات لتقوليهـا.

قالت بيلينا باستهزاء:

- أي كلام!

ردت دورثي:

- لا، هـذا ليـس أي كلام، فقـد قـال للتـو إنـه آسـف، وإنـه سـيحاول أن يحبـك ويكـون ودودًا معـك مـن أجـلي.. أليـس كذلـك يـا دودو؟

قال دودو: "هوو- هوو"، وهز ذيله ثانية.

قالت الدجاجة:

- ولكني أحمل لكِ أخبارًا مدهشة يا دورثي، أنا...

قاطعتها الفتاة وقالت:

- انتظري لحظة يا بيلينا.. يجب أن أقدمكم بعضكم إلى بعض، فالتعريف بالأصدقاء من حسن الأدب.

والتفتت إلى رفقاء رحلتها:

- هذا هو الأستاذ تيكتوك، هو يعمل كماكينة، لأن عملية التفكير يجب شحنها بمفتاح ميكانيكي، والكلام والحركة أيضًا، مثل الساعة بالضبط.

سأل المتشرد:

- هل يشحنها كلها في نفس الوقت؟

أجابته دورثي:

- لا، كل مفتاح يُشحن على حدة، لكنه يعمل بكفاءة عالية.. تيكتوك صديق مخلص وأنقذ حياتي ذات يوم، وأنقذ حياة بيلينا أيضًا.

حدق برعم باهر في الرجل الميكانيكي، وسأل:

- هل هو حي؟

قالت دورثي:

- لا، ولكن الماكينة تجعله يعمل كأنه حي تمامًا.

والتفتت إلى الرجل الميكانيكي وأكملت:

- يا أستاذ تيكتوك، هؤلاء هم أصدقائي الجدد؛ المتشرد وبولي ابنة قوس قزح وبرعم باهر، ودودو.. دودو ليس صديقًا جديدًا، فقد حضر إلى أرض أوز من قبل.

انحنى الرجل النحاسي بأدب، وخلع قبعته النحاسية كتحية لهم وقال: "أنا-سعيد-بمقابلة-أ..صد..قاء-دور..ث.."

قالت دورثي:

- أوه، أعتقد أن ماكينة الكلام تحتاج إلى الشحن.

وأسرعت خلف الرجل النحاسي لتتناول المفتاح المعلق في ظهره، لتستخدمه في شحن ماكينة الكلام تحت ذراعه اليمنى، فأكمل كلامه:

- اعذروني-لتوقفي-عن-الكلام، فشحن-ماكينة-الحديث-انتهى. كنت-أقول-إني-سعيد-بمقابلة-أصدقاء-دورثي، الذين-أعتبرهم-أصدقائي.

وأكملت دورثي التعريف بالدجاجة الصفراء قائلة:

- وهذه هي بيلينا.

انحنى الجميع لها كتحية، فقالت الدجاجة أخيرًا:

- لدي أخبار مدهشة!

سألتها دورثي:

- ما هي يا عزيزتي؟

أجابتها الدجاجة:

- لقد فقس بيضي عشرة فراخ صغيرة من أجمل ما يمكن أن تري.

قالت دورثي:

- أوه، هذا شيء لطيف جدًّا! وأين هم يا بيلينا؟

ردت بيلينا:

- لقد تركتهم في المنزل، لكنهم في غاية الجمال، أؤكد لكِ.. وهم أيضًا في غاية الذكاء.. وقد أسميتهم دورثي.

سألتها دورثي متعجبة:

- أيهم؟

ردت بيلينا:

- كلهم.

قالت دورثي:

- هذا مضحك، لماذا أسميتهم كلهم بنفس الاسم؟

قالت الدجاجة مفسرة:

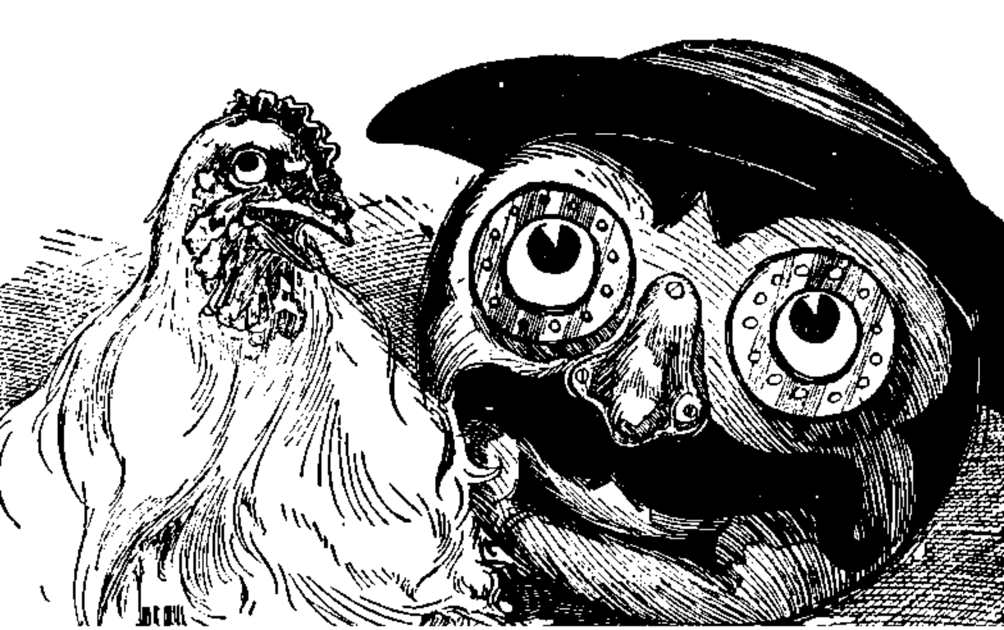
- إن من الصعب التفريق بينهم.. ولكن الآن، حينما أنادي "دورثي" يأتون كلهم في مجموعة واحدة.. هذا أسهل من أن يكون لكل منهم اسم منفصل!

قالت دورثي بلهفة:

- أنا مشتاقة لرؤيتهم يا بيلينا.. لكن أخبراني كيف عرفتما أننا هنا؟

أجاب تيكتوك بصوته الآلي، المضبوط على نبرة واحدة:

- سأخبرك، الأميرة-أوزما-رأتك-في-اللوحة-السحرية، وعرفت-أنك-هنا-في-أرض-أوز، لذا-أرسلتني-مع-بيلينا-للترحيب-بك-واستقبالك. ف-نني-نخهااخ-تلاختلاخع-تتلاتتلاهـلا- هعلغعبع.



عندما لم تفهم دورثي شيئًا من هذه اللعثمة صاحت:

- يا إلهي، ماذا حدث لك؟

وشعر برعم باهر بالذعر وقال:

- معرفش.

وتراجعت بولي قليلاً للوراء ونظرت إلى الرجل النحاسي مفزوعة.

علقت بيلينا على هذا الحادث المؤسف قائلة:

- هذه المرة، شحن عملية التفكير هو الذي انتهى.

وجلست على كتف تيكتوك تمشط ريشها المنفوش بمنقارها، وأكملت:

- حينما يتوقف عن التفكير، لا يستطيع الكلام بنطق مفهوم، لذا عليكِ شحن ماكينة التفكير بالمفتاح يا دورثي، وإلا أكملت لكم الحكاية بنفسي.

أسرعت دورثي لشحن ماكينة التفكير بالمفتاح المعلق على ظهر تيكتوك، فاستطاع تيكتوك الكلام بوضوح ثانية، وقال:

- اعذروني-لكن-عندما-ينتهي-شحن-ماكينة-التفكير، يصير-الكلام-بلا- معنى، فالكلمات-والجمل-تتكون من-التفكير. كنت-أقول-إن-أوزما-أرسلتنا-للترحيب-بكم-واستقبالكم-ودعوتكِ-للتوجه-مباشرة-إلى-مدينة-الزمرد. أوزما-تعتذر-عن-عدم-تمكنها-من-استقبالكم-بنفسها، فهي-مشغولة-بترتيب-التحضيرات-للاحتفال-الكبير-بعيد-ميلادها.

قالت دورثي:

- نعم، لقد سمعت بذلك الاحتفال، ويسعدني الحضور في الموعد.. أليس الطريق طويلاً من هنا إلى مدينة الزمرد؟

أجاب تيكتوك:

- ليس بعيدًا، ما زال-لدينا-وقت-متاح-لحضور-الحفل، الليلة-ستوقف-عند-قصر-الحطاب الصفيح، ومساء-غد-سنصل-إلى-مدينة-الزمرد.

صاحت دورثي:

- ما أجمل ذلك، فأنا في شوق لرؤية العزيز نيك الساطور ثانية، كيف حال قلبه؟

قالت بيلينا:

- على ما يرام.. فالحطاب الصفيح يقول دائمًا إنه يزداد لطفًا كل يوم.. إنه ينتظرنا في القصر للترحيب بنا، ولكنه لم يتمكن من الحضور معنا، لأنه يطلي جسمه بالورنيش ليزداد لمعانًا قبل حضور حفل أوزما.

قالت دورثي:

- حسنًا، فلنكمل كلامنا ونحن نستكمل رحلتنا.

بدأت الصحبة الجديدة في استكمال رحلتها، واكتشفت ابنة قوس قزح أن الرجل النحاسي ليس مؤذيًا فلم تعد تشعر بالرهبة منه، كما اطمأن برعم باهر أيضًا، وانبهر بالرجل الميكانيكي لدرجة أنه طلب منه أن يفتح الماكينات بداخله ليتفحص التروس وهي تلف بدقة وانضباط، ولكن هذا بالطبع لا يتمكن تيكتوك من فعله. وفي مرة ثانية أراد برعم باهر أن يشحن ماكينة الرجل الميكانيكي، ووعدته دورثي أنها ستسمح له بهذا وقتما ينتهي الشحن في أي وقت. انتابت برعم باهر سعادة غامرة عندما تشبث بالذراع النحاسية للرجل الميكانيكي تيكتوك، ومشى بجانبه كأنهما صديقان قديمان. وسارت دورثي على الناحية الأخرى بجانب تيكتوك، وارتاحت بيلينا في مكانها على كتفه. وعادت بولي للرقص أمامهم في الطريق، ودودو يدور ويلف حولها، ينبح في سعادة. أما المتشرد فسار خلفهم يصفر بنعومة ويتأمل بفضول المناظر الطيبة حولهم.

وأخـيرًا وصلـوا إلى قمـة تـل، واسـتطاعوا رؤيـة قـصر الحطـاب الصفيـح بوضـوح؛ كانـت أبراجـه تتـلألأ بشـكل رائع تحـت أشـعة الشـمس الغاربـة.

هتفت دورثي:

- ما أجمله! لم أرَ قصر الإمبراطور الجديد من قبل.

قالت بيلينا:

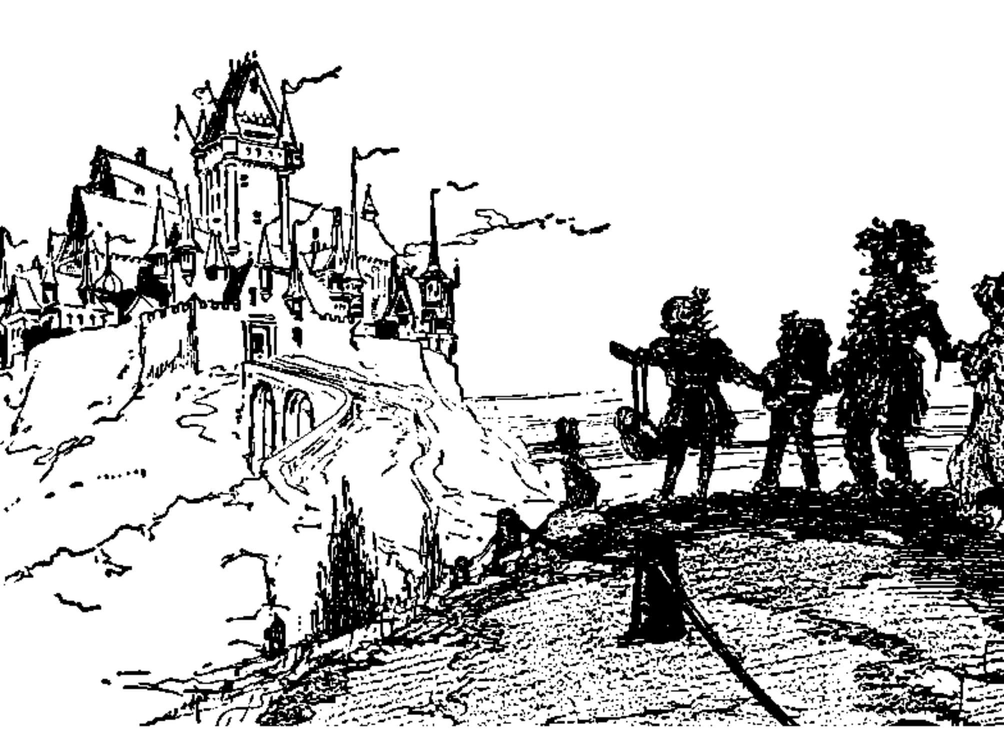
- لقـد بنـاه لأن القـصر القديـم كان مليئًـا بالرطوبـة، وقـد خـاف عـلى جسـمه الصفيـح مـن الإصابـة بالصـدأ.. أمـا تلـك الأبـراج والقبـاب والأسـوار والبوابـات فمصنوعـة كلهـا مـن القصديـر كمـا تـرون.

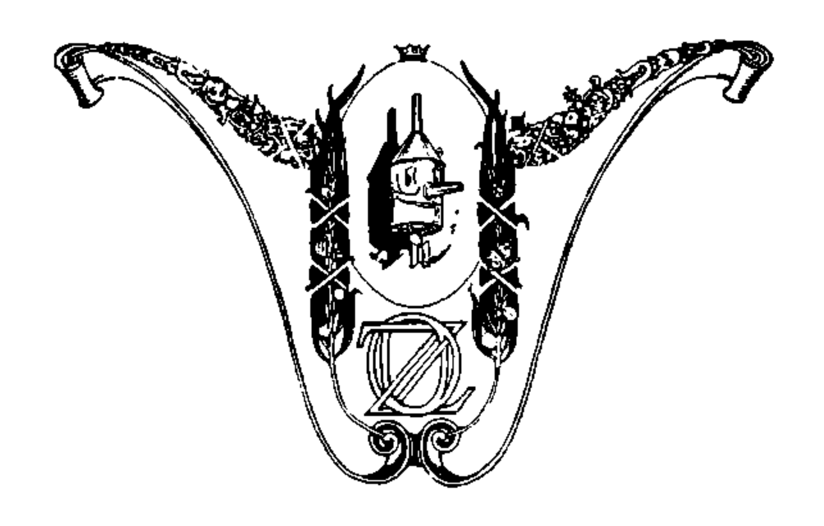
سأل برعم باهر:

- هل هذا القصر لعبة؟

أجابت دورثي مبهورة بجمال القصر:

- لا يـا عزيـزي، إنـه أفضـل مـن مجـرد لعبـة.. إنـه قـصر خـرافي لأمـير خيـاليّ!





الفصل الخامس عشر

قصر الإمبراطور الصفيح

كانـت الأراضي حـول قـصر الحطـاب الصفيـح الجديـد مفروشـة بالـورد، ومليئـة بنوافـير المـاء، وتماثيـل مـن الصفيـح تمثـل أصدقـاء الإمبراطـور المقربـين. وفرحـت دورثي وغمرتهـا الدهشـة عندمـا وجـدت تمثـالاً لهـا ينتصـب عـلى قاعـدة مـن الصفيـح في الطريـق المـؤدي إلى المدخـل. كان التمثـال بالحجـم الطبيعـي في شـكلها عندمـا حـضرت إلى أرض أوز أول مـرة، وعـلى رأسـها قبعـة شمسـية وفي يدهـا سـلة الطعـام.

صاحت دورثي:

- أوه يا دودو.. ها أنت أيضًا!

وبالفعـل كان هنـاك تمثـال صغـير عـلى هيئـة الكلـب عنـد قدمـي تمثـال دورثي. كمـا رأت تماثيـل بهيئـة خيـال المآتـة والسـاحر وأوزمـا عـلى طـول الممـر حـتى البوابـة الكبـيرة للقـصر.

وقف الحطاب الصفيح بنفسه على مدخل القصر، ليستقبل الفتاة الصغيرة دورثي. كما رحب ببقية أصدقائها بحرارة، وأعلن بكل صراحة أن عيني ابنة قوس قزح هما أجمل عينين رآهما على الإطلاق. وربت على رأس برعم باهر بمودة، فقد كان يحب الأطفال الصغار. كما صافح المتشرد بقوة بكلتا يديه.



كان نيك الساطور، إمبراطور الوينكلز، المعروف والمشهور في كل أنحاء أرض أوز بالحطاب الصفيح، شخصًا رائعًا ومشهودًا له بالكفاءة، فهو مصنوع بالكامل من الصفيح، وملحوم بدقة عند المفاصل، وأطرافه موصولة بحرفية عالية إلى جسمه، لذا كان يستطيع تحريكها كما لو كان له جسم من لحم ودم. فقال للمتشرد إنه بالفعل كان رجلاً من لحم ودم وعظام، مثل بقية الناس، ويكسب رزقه من تقطيع الأخشاب في الغابات. ولكن حدثت له حادثة مؤسفة في يوم من الأيام، فانزلقت البلطة وقطعت أجزاء من جسده، فاستبدل بها قطعًا من الصفيح، حتى لم يتبق أي لحم أو عظام في جسمه، وأصبح كله من الصفيح، ولكن ساحر أوز العجيب أعطاه قلبًا ممتازًا مكان قلبه

القديم، لذا لم يمانع أن يعيش حياته بجسم من الصفيح ما دام له قلب ينبض ويحب. فكل الناس يحبونه وهو يحبهم بنفس القدر، ما يجعله سعيدًا طوال اليوم.

كان الإمبراطور فخورًا بقصره الجديد، فاصطحب الزوار لجولة في أنحاء القصر. كل قطعة أثاث مصنوعة من الصفيح اللامع البراق؛ الموائد والكراسي والأسِرّة وكل شيء، حتى الأرضيات والجدران من الصفيح.

قال الحطاب الصفيح:

- أعتقد أن عندنا هنا في أرض الوينكلز أمهر السمكرية في العالم، فبالتأكيد سيكون من الصعب إقامة مثل هذا القصر في كانساس.. أليس كذلك يا دورثي؟

ردت الفتاة:

- بكل تأكيد.

قال المتشرد للحطاب الصفيح:

- يبدو أن هذا القصر كلفك الكثير من المال!

رد الحطاب الصفيح:

- مال! مال في أوز؟ يا لها من فكرة شاذة! هل تعتقد أننا مبتذلون كي نستخدم الأموال؟

سأله المتشرد:

- لماذا؟

أجابه الإمبراطور:

- لأننا لو استخدمنا الأموال، بدلاً من الحب واللطف والرغبة في العمل طواعية، لما كنا مختلفين عن بقية العالم.. من حسن الحظ أن المال غير معروف في أرض أوز كلها، ليس عندنا غني أو

فقير، فما نريده ونتمناه يحاول الآخرون تحقيقه لنا، في سبيل أن نكون كلنا سعداء.. كما لا يوجد شخص في أوز كلها يمتلك أكثر مما يحتاج إليه.

صاح المتشرد سعيدًا بما سمعه:

- هذا أمر جيدا جدًّا، أنا أيضًا أحتقر الأموال.. هناك رجل من بلدة بيترفيلد مدين لي بخمسين قرشًا، ولم أسمح له بردِّها.. أرض أوز هي بالتأكيد أفضل مكان في العالم بأهلها السعداء.. أود أن أعيش هنا للأبد!

استمع إليه الحطاب الصفيح بانتباه واحترام، وقد وقع في غرام المتشرد دون أن يعرف بأمر مغناطيس الحب، وقال:

- إن أثبت للأميرة أوزما أنك شخص أمين وصادق وتستحق صداقتنا، فستسمح لك بالطبع بالعيش هنا لبقية عمرك، لتنعم بالسعادة مثلنا تمامًا.

قال المتشرد بصدق:

- سأحاول أن أثبت ذلك!

فأكمل الحطاب الصفيح:

- الآن، يجب أن ترتاحوا في غرفكم، استعدادًا للعشاء في القاعة الصفيح الضخمة.. أخشى يا صديقي المتشرد أني لا أستطيع تقديم ملابس جديدة لك، فكل ملابسي كما ترى من الصفيح، ولا أعتقد أنها تناسبك.

قال المتشرد بلا مبالاة:

- لا يهم، أنا لا أهتم كثيرًا بملبسي.

رد الإمبراطور بأدب بالغ:

- أستطيع تخمين ذلك!

رافق الخدم الزوار إلى غرفهم، حيث نفضوا عنهم غبار السفر، واستعادوا هندامهم مرة أخرى. وسرعان ما تجمعوا في القاعة الكبيرة. حتى دودو حضر مائدة العشاء، فالإمبراطور مغرم بكلب دورثي الصغير منذ المغامرة الأولى. وشرحت الفتاة لأصدقائها أن كل الحيوانات في أوز تُعامَل باحترام مثل البشر تمامًا، وأضافت: "ما دامت تحسن التصرف!"

أحسن دودو التصرف، وجلس على كرسي عالٍ من الصفيح بجانب دورثي، وتناول عشاءه من طبق مصنوع من الصفيح. بالطبع كلهم تناولوا الطعام من أطباق صفيح. أشكالها جميلة، ملمعة وزاهية، حتى إن دورثي ظنتها مصنوعة من الفضة.

نظر برعم باهر بفضول إلى الحطاب الصفيح، الذي قالت دورثي عنه من قبل إنه "لا يمتلك شهية للطعام"، فرغم أنه أعدّ وليمة عشاء فاخرة للضيوف، لم يتناول منها شيئًا، وظل على رأس المائدة صامتًا يشرف على راحة وخدمة الضيوف.

أكثر ما أمتع برعم باهر هي الموسيقى الجميلة التي تعزفها أوركسترا الصفيح وهم يتناولون العشاء. كان العازفون من مواطني الوينكلز، ولكن الآلات الموسيقية التي يعزفون عليها كلها من الصفيح.. أبواق من الصفيح وكمانجات من الصفيح وطبول من الصفيح ومزامير من الصفيح. عزفت الأوركسترا أغنية "فالس الإمبراطور اللامع" التي كتب كلماتها ولحنها الأستاذ م. ج. ووجي بق ت. ع. خصوصًا وحصريا للحطاب الصفيح. كانت المعزوفة عذبة جدًّا لدرجة أن بولي لم تستطع مقاومة إغراء الرقص عليها، بعدما تذوقت قطرات قليلة من حلوى الندى الطازجة. استمرت في الرقص في حين أكمل الآخرون طعامهم. لفت ودارت حول نفسها، فصنع رداؤها الرقيق مسحة من ألوان قوس قزح كأنها سحابة ملونة. صفق الحطاب الصفيح فرحًا لدرجة أن صوت التصفيق بيديه الصفيح غطى على صوت الموسيقى.

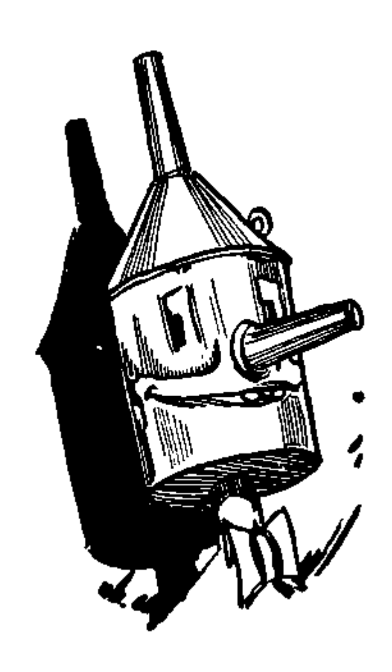

TWO

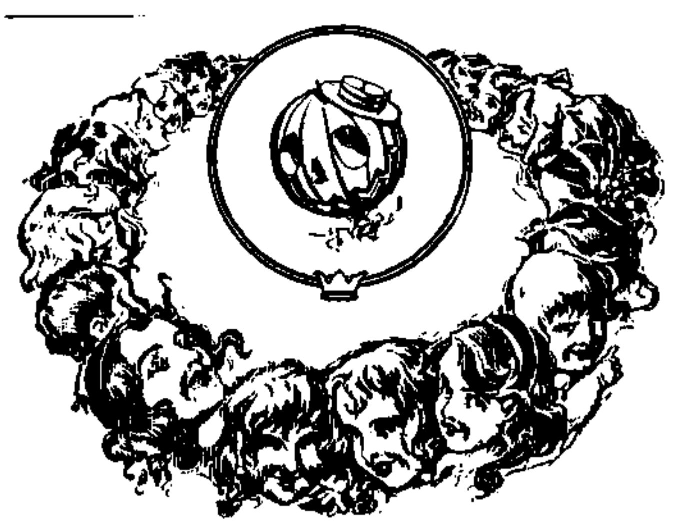
قال الحطاب الصفيح لدورثي:

- أنا آسف لأني لم أقدم كعك الغيوم لابنة قوس قزح كما طلبت، وسأحاول أن أقدمه لها في الإفطار.

وقضى الأصدقاء المساء في تبادل الحكايات، وفي الصباح الباكر غادروا القصر الصفيح إلى مدينة الزمرد. بالطبع رافقهم الحطاب الصفيح، الذي كان في كامل لمعانه مثل الفضة. كان نصل البلطة الصلب التي يحملها الحطاب الصفيح دائمًا حادًّا ومشذبًا ويبرق تحت الشمس، ويد البلطة مغطاة بطبقة من الصفيح، محفورة عليها أشكال جميلة، ومزينة بالماس.

تجمع الوينكلز أمام بوابة القصر لتحية إمبراطورهم وتشييعه إلى أول الطريق المرصوف بالطوب الأصفر لمدينة الزمرد، وظهر للأصدقاء بوضوح كيف أنهم يحبونه بصدق.

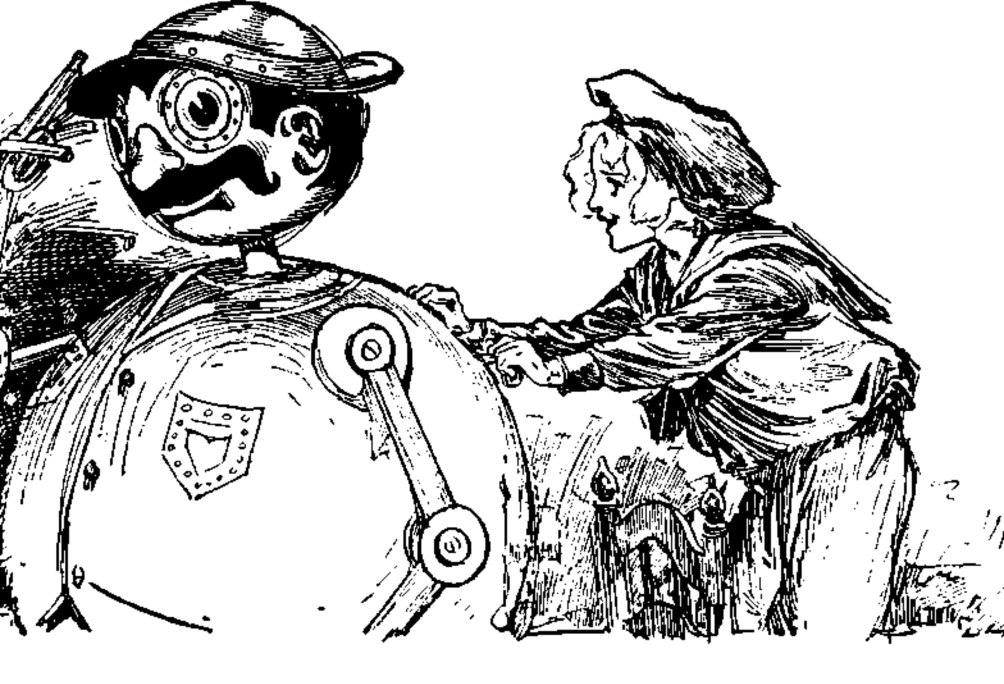




الفصل السادس عشر

زيارة حقل القرع العسلي

في الصباح، سمحت دورثي للولد الصغير برعم باهر بشحن ماكينات تيكتوك؛ ماكينة التفكير وماكينة الكلام وماكينة الحركة، لتضمن أنه سيعمل بكفاءة حتى وصولهم إلى مدينة الزمرد. الرجل النحاسي والرجل الصفيح صديقان منذ فترة طويلة، لكنهما ليسا متشابهين، بالعكس، فأحدهما حي والآخر يعمل بالماكينات المعقدة، أحدهما طويل ونحيل والآخر قصير ومدور. قد تحب الحطاب الصفيح لطبيعته المرحة الودودة البسيطة، ولكنك تقع في غرام تيكتوك من دون سبب واضح، فمستحيل أن تقارن حبك للرجل الميكانيكي بإعجابك بماكينة خياطة أو سيارة. لا يزال تيكتوك له شعبية ومشهور بين شعب أوز، فهو جدير بالثقة ويُعتمد عليه ومخلص. باختصار هو يقوم بالضبط بما هو مصنوع من أجله، في أي وقت وتحت أي ظروف. ربما تكون ماكينة تقوم بمهامها، أفضل من إنسان من لحم ودم لكنه عاطل. فأن تكون كائنًا بلا روح أفضل من العيش بلا فائدة.



عنـد منتصـف النهـار، وصـل المسـافرون إلى حقـل قـرع عسـلي، وهـي فاكهـة تنتمـي إلى البلـد الوينكلـز الأصفـر، فبعـض ثمـار القـرع العسـلي الـتي تنمـو في هـذه الأرض، لـه أحجـام كبـيرة بشـكل هائـل.

قبـل دخولهـم الحقـل، رأوا ثلاثـة أكـوام مـن الـتراب تبـدو كأنهـا قبـور، وعـلى كل واحـد منهـا حجـر مسـطح كشـاهد قـبر.

تساءلت دورثي في تعجب:

- ما هذا؟

رد الحطاب الصفيح:

- إنها مقبرة خاصة لجاك رأس القرع.

قالت:

- كنت أظن أن لا أحد يموت في أوز!

أجاب الحطاب الصفيح:

- صحيح، إلا إذا كان شخصًا فاسدًا ومجرمًا، عندها يُدان ويُقتل!

جـرت دورثي إلى القبـور الصغـيرة وقـرأت المكتـوب عـلى شـواهدها الحجريـة. الشـاهد الأول محفـور عليـه هـذه الكلمـات:

هنا يرقد الجزء الهالك
من جاك رأس القرع
الذي فسد في 9 أبريل.

وذهبت إلى القبر الثاني وقرأت على الشاهد:

هنا يرقد الجزء الهالك
من جاك رأس القرع
الذي فسد في 2 أكتوبر.

وذهبت إلى القبر الثالث وقرأت على الشاهد:

هنا يرقد الجزء الهالك
من جاك رأس القرع
الذي فسد في 24 يناير.

تنهدت دورثي بأسف وقالت:

- جـاك المسـكين! أنـا حزينـة لأنـك توفيـت عـلى ثـلاث مـرات.. كنـت أتمـنى أن أراك مـرة ثانيـة.

قال الحطاب الصفيح:

- سـوف ترينـه، فهـو مـا زال حيًّـا.. تعـالي معـي إلى منزلـه.. جـاك يعمـل الآن مزارعًـا ويعيـش في هـذا الحقـل.

قادها الحطاب الصفيح إلى ثمرة قرع عسلي ضخمة بحجم منزل كبير، ومجوفة ولها باب ونوافذ، وبها مدخنة يتصاعد منها دخان، وست درجات مبنية على عتبة باب المنزل الأمامي.

نظرا من الباب المفتوح، فوجدا رجلاً على مقعد ويلبس قميصًا مخططًا، وعليه صديرية حمراء وبنطال أزرق باهت، وجسده مجرد مجموعة عِصِيّ من الخشب، موصولة ومثبتة بعضها إلى بعض بشكل أخرق. واستقرت على عنقه ثمرة قرع عسلي صفراء مدورة، محفور عليها وجه إنسان، مثل ما قد يفعله صبي عندما يصنع "فانوس جاك"[1].

انهمك جاك رأس القرع في نزع البذور الزلقة من ثمرة رأس قرع أمامه، بأصابعه الخشبية، ويستخدمها كطلقات يرميها على هدف في الجانب الآخر من الغرفة، ولم ينتبه إلى أن لديه زوارًا إلا عندما صاحت دورثي:

- يااه، ها هو جاك رأس القرع!

وعلى الفور قام من مقعده ليرحب بدورثي والحطاب الصفيح.

كان برعم باهر خَجِلاً بعض الشيء من جاك، ولكنه استلطفه عندما شاهد الابتسامة المحفورة دائمًا على وجهه.

قالت دورثي:

- لقد قلقت عليك، واعتقدت منذ دقائق أنك مدفون على ثلاثة أجزاء، لكن الآن.. أنت سليم معافى كما كنت دومًا!

رد جاك رأس القرع:

- لست كما كنت دومًا بالضبط يا عزيزتي، ففمي معوجّ قليلاً عن مكانه السابق، لكنه ما زال على شكله المبتسم دومًا.. كما أني حصلت على رأس جديد، إنه الرأس الرابع الذي أمتلكه منذ

---

(1) فانوس جاك jack-lantern هو لعبة يلعبها الأطفال في عيد الهالوين، وفيها يفرغون ثمرة قرع عسلي ويضعون بداخلها شمعة لتنير في الليل، وهم يقلدون أسطورة قديمة حول جاك البخيل الذي خدع الشيطان ثلاث مرات.

صنعتني أوزما أول مرة، ودبت فيّ الحياة عندما نثرت المسحوق السحري على جسمي.

سألته دورثي:

- وماذا حدث للرؤوس الثلاثة السابقة؟

أجاب جاك:

- فسدت ودفنتها.. لم تكن تصلح حتى لصنع فطيرة.. في كل مرة تحفر أوزما على ثمرة رأس قرع وجهًا جديدًا لي، فما دام جسمي أكبر بكثير من رأسي، سأظل جاك رأس القرع مهما غيرتُ في الجزء العلويّ منه.. ذات وقت عصيب، لم أجد ثمرة رأس قرع لأستبدلها برأسي الذي كان على وشك الفساد، لأنه لم يكن موسم زراعة القرع العسلي.. لذلك، كان لزامًا عليّ أن أتحمل رأسي القديم فترة أطول، قبل أن أستبدل به رأسًا سليمًا وناضجًا.. وبعد تلك التجربة الفظيعة، قررت أن أزرع القرع العسلي بنفسي، وأضمن توافر ثمار القرع العسلي لي.. والآن أمتلك هذا الحقل الذي ترينه أمامك.. بعض الزرع ينمو بأحجام كبيرة لدرجة أنه لا يصلح ليكون رأسًا.. واستطعت زراعة هذه الثمرة الكبيرة، فصنعت منها منزلي كما ترين.

تساءلت دورثي:

- أليست رطبة؟

أجابها رأس القرع:

- ليس كثيرًا يا دورثي، فلم يتبق منها غير الغلاف الخارجي فقط، وأعتقد أنه سيظل محتفظًا بتماسكه لفترة طويلة.

قال الحطاب الصفيح:

- أعتقد أنك أصبحت أكثر ذكاء.. فرأسك الأخير كان غبيًّا جدًّا!

رد جاك:

- البذور التي زرعتها لهذا المحصول أفضل بكثير.

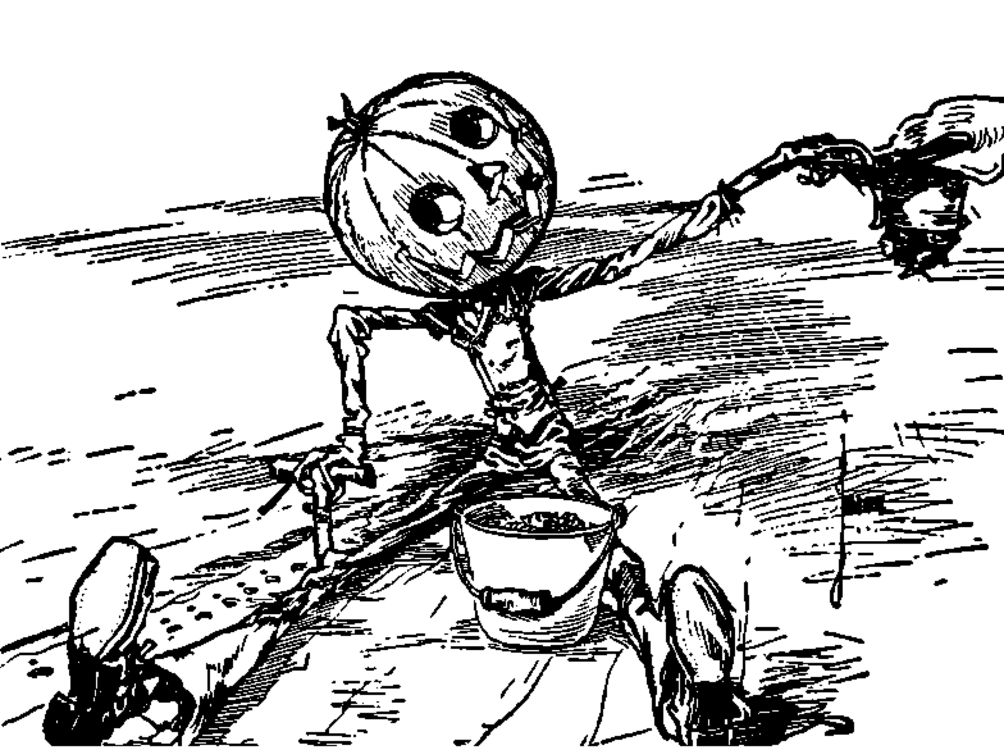
سألته دورثي:

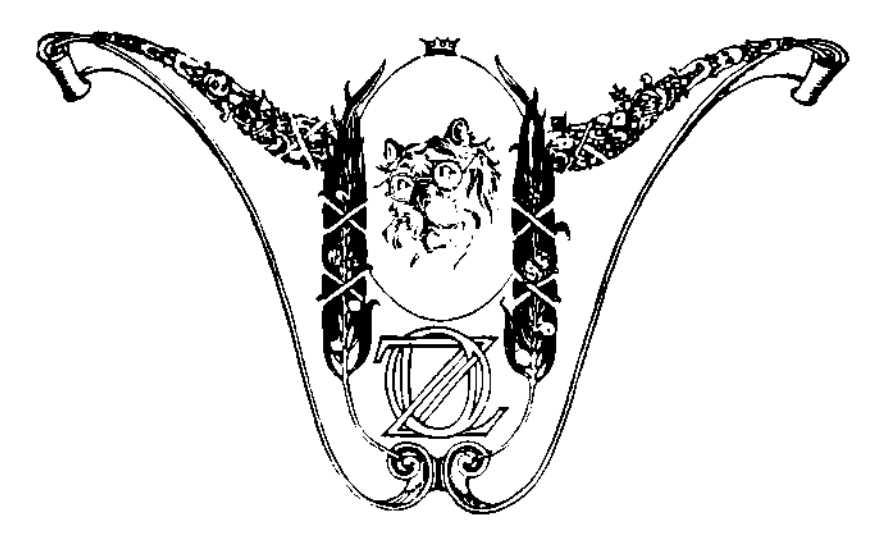
- هل ستحضر حفل عيد ميلاد أوزما؟

فقال جاك:

- بالطبع، لم أكن لأفوت مثل هذه المناسبة أبدًا.. أوزما هي والدتي، كما تعرفين، لأنها هي التي بنّت جسمي، وترسم وتحفر وجهي على ثمرة رأس القرع.. ولكني سأسافر غدًا إلى مدينة الزمرد، ولن أستطيع مرافقتكم اليوم، لأن عليّ زراعة بعض البذور الطازجة وريّ الكرم بالماء.. أرجوكم ابعثوا بحبي وقبلاتي إلى الأميرة أوزما، حتى أراها للاحتفال معها.

وعدته دورثي أنها ستوصل تحياته للأميرة، وتركوه ليستكملوا رحلتهم.





الفصل السابع عشر

وصول الكارتة الملكية

تحرك الأصدقاء باتجاه مدينة الزمرد. وعلى جانبي الطريق رأوا كيف أن البيوت الصفراء الأنيقة لشعب الوينكلز تعطي مظهرًا متحضرًا للريف. وكان سياج من الشجيرات المخضرة أو الورد الأصفر يحيط الطريق العريض من كلا الجانبين، ومنظر المزارع النضرة أظهر اهتمام ورعاية المزارعين المجتهدين بها. وكلما اقتربوا من المدينة الكبيرة ازدهر الريف وردًا أكثر بهاء.

عبر الأصدقاء جسورًا كثيرة على الجداول المائية التي تروي الأراضي. وبينما هم يمشون على مهل، سأل المتشرد الحطاب الصفيح:

- ما نوع المسحوق السحري الذي أعطى الحياة لصديقكم جاك رأس القرع؟

أجاب الحطاب الصفيح:

- إنه يسمى مسحوق الحياة.. اخترعه مشعوذ أحدب يعيش في جبال البلاد الشمالية.. أخذت ساحرة تسمى مومبي بعضًا منه، وعادت به إلى منزلها.. كانت أوزما تعيش مع الساحرة الشريرة في ذلك الوقت، قبل أن تصبح أميرتنا.. وقتها، غيرت الساحرة الشريرة شكل الفتاة أوزما إلى صبي اسمه تيب.. في أثناء سفر مومبي إلى المشعوذ الأحدب، صنع الصبي تيب رجلاً برأس قرع عسلي ليسلي نفسه، وأيضًا ليخيف العجوز مومبي عندما تعود.. لكن للأسف مومبي لم تخف منه، ونثرت عليه مسحوق الحياة السحري الذي أخذته من المشعوذ كي تختبر فاعليته.. كان تيب يشاهد هذا الطقس السحري وكيف دبت الحياة في الدمية التي صنعها، وفي الليل أخذ علبة فلفل تحتوي على مسحوق الحياة السحري، وهرب مع جاك رأس القرع بحثًا عن مغامرة جديدة.. في اليوم التالي، عثروا في الطريق على أداة لنشر وتقطيع الأخشاب على شكل حصان خشبي، فنثر عليه تيب من المسحوق السحري، فدبت فيه الحياة.. وركبه جاك رأس القرع إلى مدينة الزمرد.



أثارت القصة اهتمام المتشرد، فسأل:

- وماذا حدث للحصان الخشبي بعد ذلك؟

أجاب الحطاب:

- إنـه يعيـش في مدينـة الزمـرد، عـلى الأرجـح سـوف تقابلـه عندمـا نصـل.. بعـد ذلـك، اسـتخدمت أوزمـا آخـر بقايـا مسـحوق الحيـاة عـلى جامـب طائـر، فدبـت فيـه الحيـاة وطـار بنـا في مغامـرة مدهشـة، ولكـن عندمـا عدنـا طلـب جامـب تفكيكـه، لذلـك هـو غـير موجـود الآن.

قال المتشرد:

- مـن المؤسـف أن مسـحوق الحيـاة نفـد ولـم يتبـقَّ منـه شيء.. يبـدو أن لـه اسـتخدامات كثـيرة مفيـدة.

رد الحطاب الصفيح:

- لسـت واثقًـا بفائدتـه أيهـا المتـشرد.. منـذ فـترة وقـع المشـعوذ الأحـدب الـذي اخـترع المسـحوق السـحري في جـرف كبـير ومـات.. وكل أملاكـه انتقلـت إلى وريثتـه الوحيـدة، وهـي سـيدة عجوز تسـمى داينـا، تعيـش في مدينـة الزمـرد.. ذهبـت إلى الجبـال حيـث كان يعيش المشـعوذ، وأخـذت كل مـا ظنـت أن لـه قيمـة، وممـا أخذتـه علبـة صغـيرة مـن مسـحوق الحيـاة، ولكـن بالطبـع لـم تكـن داينـا تعـرف اسـتخداماته أو حـتى مـا هـو.. كانـت داينـا تحتفـظ بـدب أزرق كبـير كحيـوان أليـف، وفي يـوم مـن الأيـام اختنـق هـذا الـدب ومـات.. داينـا كانـت تحـب هـذا الـدب كثـيرًا، فصنعـت سـجادة مـن فرائـه، واحتفظـت بالـرأس ومخالـب أيديـه الأربـع محنطـة.. واحتفظـت بتلـك السـجادة مفروشـة عـلى عتبـة بـاب بيتهـا..

قاطعه المتشرد:

- لقد رأيت سجادًا مثل التي تصفها، ولكن لم أر واحدة مصنوعة من دب أزرق!

أكمل الحطاب الصفيح:

- حسنًا.. اعتقدت السيدة العجوز أن المسحوق في العلبة الصغيرة هو بودرة عُثَّة، ربما لأنها رائحتها تشبه بودرة العثة.. وكانت تريد تنظيف السجادة من العثة، فنثرت منها على سجادة فراء الدب، ووقتها تذكرت حيوانها الأليف فقالت "أتمنى لو عاد الدب للحياة".. وللمفاجأة، دبت الحياة في فرو السجادة من تأثير مسحوق الحياة.. والآن، هذه السجادة الحية تسبب مشكلات كثيرة للسيدة العجوز.

تساءل المتشرد:

- لماذا؟

أجاب الحطاب الصفيح:

- فراء الدب يقف الآن على أربع، ويتحرك ويعطل الطريق، وبذلك لم يعد يصلح كسجادة.. كما أنه لا يتكلم رغم أنه حي ويملك رأسًا، لأنه لا يمتلك جسمًا متماسكًا يمر فيه الهواء ويُخرج الكلمات من الفم.. إنه أمر معقد قليلاً، فالسيدة العجوز لم تكن تريد للسجادة أن تعود للحياة.. وكل يوم توبخ فرو الدب ليكون سجادة محترمة ليخطو الزوار عليها إلى داخل البيت. لكن أحيانًا عندما تذهب إلى السوق، تقف سجادة فراء الدب على قدميها وتهرول وراءها في الطريق.



قال المتشرد:

- أعتقد أن داينا قد تحب هذا!

رد الحطاب الصفيح:

- لا، لم تحب تلك التصرفات، لأن الجميع يعرف أن هذا ليس دبًّا حقيقيًّا، بل مجرد فراء أجوف، وليس له استخدام حقيقي في هذا العالم إلا أن يكون سجادة.. لذلك أعتقد نفاد مسحوق الحياة شيء جيد، حتى لا يسبب مشكلات أخرى.

فكر المتشرد قليلاً ثم قال:

- لعل ما تقوله صحيح!

في وقت الظهيرة، توقف الأصدقاء عند بيت ريفي، فرحب بهم المزارع وزوجته بسعادة، وعرضا عليهم غذاء يكفيهم للطريق. كان أهل المزرعة يعرفون دورثي، فهم رأوها من قبل عندما زارت هذه المنطقة، وعاملوها بنفس الاحترام الذي يعاملون به الإمبراطور، فهي الصديقة المقربة من الأميرة أوزما حاكمة مدينة الزمرد.

بعدها بمسافه قصيرة، وصلوا إلى جسر كبير فوق نهر عريض. أخبرهم الحطاب الصفيح أن هذا النهر يمثل الحدود بين منطقة الوينكلز ومنطقة نفوذ مدينة الزمرد، أما المدينة نفسها فما زالت على مبعدة، وكل ما يحيط بها مروج خضراء معتنى بها جيدًا، ولم تكن بها بيوت أو مزارع تفسد جمال المنظر.

من أعلى نقطة على الجسر، كان بإمكانهم أن يروا الأبراج الرائعة والقباب الفخمة للمدينة الفاتنة، تتألق مثل المجوهرات الجذابة، وظل هذا الجمال أمام أعينهم حتى وصلوا إلى أسوار المدينة. أخذ المتشرد نفسًا عميقًا ليستوعب كل هذا البهاء، فلم يكن يتخيل وجود مثل هذا المكان في أرض أوز الخيالية.

برقت عينا بولي البنفسجيتين مثل حجر الجشمت الكريم، من فرحتها بجمال المناظر حولها، ورقصت بعيدًا عن رفقائها، وعبرت الجسر إلى مجموعة أشجار مورقة تصطف على جانبي الطريق. توقفت تتأمل هذه الأشجار بدهشة، فأوراقها كانت على شكل ريش نعام ملون بألوان قوس قزح، التي تماثل ألوان فستانها الرقيق الشفاف. ثم غمغمت قائلة:

- يجب أن يرى أبي هذه الأشجار، فهي تقريبًا بنفس ألوان قوس قزح الذي يصنعه.

كادت بولي تطلق صرخة ذعر، عندما ظهر تحت ظلال الأشجار وحشان ضخمان، يستطيع أيهما أن يسحقها بضربة واحدة، أو يلتهمها في قضمة واحدة. الأول أسد لونه مصفر قليلاً وفي حجم الحصان، والآخر نمر مخطط في نفس الحجم تقريبًا. أصابها الرعب والفزع لدرجة أنها ثبتت مكانها ولم تتحرك، وكاد قلبها يتوقف عن النبض لولا أنها فوجئت بدورثي تجري بجانبها، وتصيح بفرح، ثم تتعلق برقبة الأسد، وتنهال عليه بالأحضان والقبلات، قبل أن تقول له:

- أوه، أنا فرحة جدًّا لرؤيتك ثانية.. وأنت أيضًا أيها النمر الجوعان.. ما ألطف رؤيتكما ثانية معًا.. هل أنتما بخير؟



أجاب الأسد بصوت عميق لكنه لطيف:

- بالطبع يا عزيزتي دورثي.. كما أننا سعداء لأنك ستحضرين حفل أوزما.. سيكون مهرجانًا كبيرًا، أعدك أنه سيكون الأروع!

أضاف النمر الجوعان:

- لقد سمعت أن الاحتفال سيكون فيه كثير من الأطفال البدناء.

وفتح فمه وتثاءب، فبانت أسنانه الحادة الكبيرة، ولكنه استدرك قائلاً:

- ولكني بالطبع لا أستطيع أكلهم!

سألته دورثي بقلق:

- هل لا يزال ضميرك مستيقظًا؟

أجاب النمر بأسف:

- نعم، إنه منتبه ويحكمني كالطاغية.. لا أتخيل شيئًا يتحكم في الشخص مثل ضميره المتيقظ دائمًا.

وغمز بعينه غمزة ماكرة لصديقه الأسد.

ضحكت دورثي وقالت له:

- لا أصدقك.. ولا أعتقد أنك ستأكل طفلاً حتى لو كان ضميرك نائمًا.. والآن دعاني أقدمكما إلى أصدقائي.. بولي.. تعالي يا بولي!

تقدمت بولي بخجل وقالت:

- لديكِ أصدقاء في غاية الغرابة يا دورثي!

ردت دورثي:

- الغرابة لا تهم ما داموا أصدقاء جيدين.. هذا هو الأسد الخواف، وبالمناسبة هو ليس جبانًا على الإطلاق، إنما يظن

نفسـه كذلـك.. فالسـاحر أعطـاه بعضًـا مـن الشـجاعة، وأعتقـد أنـه مـا زال يملـك قليـلاً منهـا.

انحنى الأسد بأدب واحترام لبولي وقال:

- أنـتِ جميلـة يـا عزيـزتي، أتـشرف بـأن نكـون صديقـين حـين نتعـرف أكـثر!

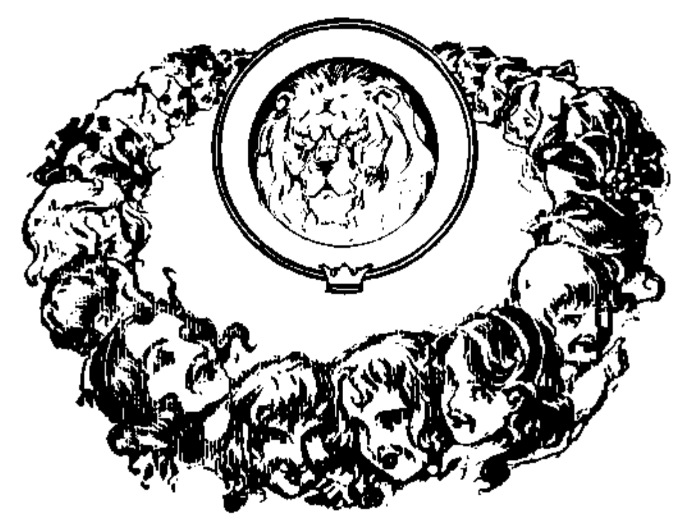
أكملت دورثي:

- وهـذا هـو النمـر الجوعـان.. يقـول إنـه يتـوق إلى أكل الأطفـال البدنـاء، وهـو في الحقيقـة جوعـان دائمًـا رغـم أنهـم يقدمـون لـه طعامًـا وفـيرًا.. لكـن أعتقـد أنـه لـن يـؤذي أي شـخص حـتى لـو كان جائعًـا!

همس النمر:

- هششـش.. دورثي.. سـتدمرين سـمعتي! حقيقتنـا ليسـت مهمـة، إنمـا المهـم هـو مـا يظنـه النـاس بنـا.. ولهـذا، أظـن أن الآنسـة بـولي سـتكون وجبـة إفطـار ملونـة رائعـة!





الفصل الثامن عشر

مدينة الزمرد

عبر الأصدقاء الآخرون الجسر، واقتربوا من الوحشين، ورحّب الحطاب الصفيح بالأسد والنمر بحرارة. أما برعم باهر، فقد صرخ من الخوف عندما أمسكت دورثي يده وجرّته إلى الوحشين الكبيرين. لكنه استجمع شجاعته ليربت على رأسيهما، وبعد أن رحبا به بكلمات لطيفة، ورأى في أعينهما الألفة والمودة، اختفى خوفه بالكامل، وبدأ يستولي عليه شعور بالانجذاب نحو الحيوانين، لدرجة أنه أراد اللعب في لبدة الأسد وفراء النمر.

أما المتشرد، فبالتأكيد كان سيشعر بالخوف لو أنه قابل هذين الوحشين وحده في أرض غريبة، ولكنه رأى كثيرًا من العجائب في أرض أوز، فلم يعد يندهش لكثرتها. وصداقة دورثي للأسد والنمر كافية ليطمئن بأنه في أمان بصحبتهما. كما أنه عرف من قبل وحشًا أحبه وكان يلعب معه. وقد أضحكه منظر الأسد وهو يرفع كفه الكبيرة ليربت على رأس دودو بلطف وحنان. فالكلب دودو يعرف الأسد من المغامرة الأولى،

ولكنـه لـم يكـن يعـرف النمـر، فتشـمم أنـف النمـر قليـلاً، فمـد النمـر كفـه بـأدب ليصافـح الكلـب الصغيـر، وبـدا أنهمـا سـيصبحان صديقـين حميمـين.



كان تيكتـوك وبيلينـا يعرفـان الوحشـين جيـدًا، فتبـادلا التحيـة معهمـا، وسـألاهما عـن صحتهمـا واسـتفسرا عـن حفـل الأمـيرة. بعدهـا لاحـظ الـكل أن الأسـد الخـواف والنمـر الجوعـان يجـران خلفهمـا كارتـة ذهبيـة رائعـة، مربوطـة إليهمـا بحبـال ذهبيـة، ومزينـة مـن الخـارج بعناقيـد مـن الزمـرد. أمـا مـن الداخـل، فكانـت المقاعـد مبطنـة بالحريـر الذهـبي والأخـضر، ووسـائد المقاعـد مصنوعـة مـن أفخـم الأقمشـة المخمليـة الخـضراء، المطـرزة بتيجـان صغـيرة مـن الذهـب. وعـلى ظهـر المقاعـد مطبـوع بأفخـم الحـروف شـعار مملكـة أوز.

هتفت دورثي بدهشة:

- إنها كارتة الأميرة أوزما الملكية!

قال الأسد الخواف بأسلوب رسمي:

- نعم، الأميرة أوزما أرسلتها لنقابلك بها، خشية أن يصيبك المشي الطويل بالإرهاق.. كما أنها تريد أن تدخلي مدينة الزمرد بما يليق بمكانتك.

نظرت بولي إلى دورثي بفضول وسألتها:

- ماذا؟ هل أنتِ من العائلة الملكية؟

قالت دورثي:

- فقط في أوز، فالأميرة أوزما نصَّبتني أميرة في البلاط الملكي لأرض أوز.. ولكني عندما أعود إلى كانساس، أعود مجرد فتاة ريفية عادية، أخض اللبن وأمسح الصحون بعدما تغسلها عمتي إم. ألا تساعدين في غسل الصحون فوق قوس قزح يا بولي؟

ابتسمت ابنة قوس قزح وقالت:

- لا يا عزيزتي!

قالت دورثي:

- حسنًا، أنا أيضًا لا أعمل عندما أكون في أوز.. من اللطيف أن تصبحي أميرة لبعض الوقت.. ألا تعتقدين ذلك؟

وافقتها بولي. ثم قال الأسد بصوت جهوري:

- دورثي وبولي وبرعم باهر سيركبون الكارتة، هيا يا أعزاء، وأرجوكم كونوا حذرين ولا تفسدوا القماش الذهبي أو تلطخوا الزخرفات والتطريز بأقدامكم!

كان برعم باهر في أشد حالات الفرح عندما ركب كارتة يجرها أسد ونمر، وأخبر دورثي أنه يشعر كأنه ممثل في السيرك.

جـر الوحشـان الكارتـة بتمهـل إلى مدينـة الزمـرد، وكل النـاس الذيـن يقابلونهـم ينحنـون باحـترام وإجـلال للأطفـال في الكارتـة الملكيـة. أمـا الحطـاب الصفيـح وتيكتـوك وبيلينـا والمتـشرد فتبعوهـم في هـدوء.

قفـزت بيلينـا عـلى المظلـة الخلفيـة للكارتـة، حيـث اسـتطاعت أن تحـكي لـدورثي عـن فراخهـا الصغـار خـلال الطريـق إلى المدينـة. وأخـيرًا وصـل الركـب إلى أسـوار المدينـة العاليـة، ودخلـوا البوابـة المذهلـة المرصعـة بالمجوهـرات، الـتي فتحهـا لهـم رجـل ضئيـل مـرح يرتـدي نظـارة خـضراء، عرّفتـه دورثي إلى أصدقائهـا الجـدد بأنـه حـارس بوابـات المدينـة، فقـد لاحظـت مجموعـة كبـيرة مـن المفاتيـح معلقـة في سلسـلة ذهبيـة حـول عنقه.

عـبرت الكارتـة مـن البوابـات الخارجيـة إلى قاعـة كبـيرة مبنيـة في الجـدار السـميك، ومنهـا إلى البوابـات الداخليـة للشـوارع العريضـة لمدينـة الزمـرد.



انتشـت بـولي بالعجائـب المدهشـة الـتي تشـاهدها داخـل المدينـة الفخمـة، الـتي لـم تـرَ مثلها قـط، حـتى في أرض خيالية مثـل الـتي يتجولـون فيهـا الآن. ولـم ينطـق برعـم باهـر إلا بصيحـات الإعجـاب، فـكان يهتـف "واوو" كلمـا رأى منظـرًا مدهشًـا، واتسـعت عينـاه وهـو ينظـر في كل اتجـاه لكيـلا يفوتـه شيء. أمـا المتـشرد، فظـل مذهـولاً منـذ دخولـه المدينـة، فالمبـاني الرائعـة والجميلـة مغطـاة بألـواح مـن الذهـب، ومرصعـة بأحجـار مـن الزمـرد، تسـاوي أي قطعـة منهـا ثـروة كبـيرة في أي مـكان آخـر مـن العالـم. والأرصفـة مصنوعـة مـن الرخـام الفخـم المصقـول كأنـه زجـاج رائـق، والنـاس يتجولـون بملابـس أنيقـة مـن الحريـر أو السـاتان أو المخمل، متزينـين بالمجوهـرات.

سأل المتشرد:

- هل سكان مدينة أوز يعملون؟

أجابه الحطاب الصفيح:

- بالطبـع يعملـون؛ هـذه المدينـة الجميلـة لـم تكـن لتُبـنى ويُعتَـنى بهـا إلا بالعمـال المخلصـين، كمـا لا تُقطـف الخـضراوات والفواكـه مـن الشـجر مـن دون مزارعـين.. ولكـن لا أحـد يعمـل أكـثر مـن نصـف وقتـه، وشـعب أوز يسـتمتع بالعمـل كمـا يسـتمتع بالترفيـه.

قال المتشرد بإعجاب:

- هذا مدهش.. أتمنى أن تسمح لي الأميرة أوزما بالعيش هنا!

وصلـت الكارتـة الملكيـة إلى أسـوار القـصر الملـكي، المبنيـة بالكامـل مـن الرخـام الأخـضر، بجـدران ليسـت سـميكة أو طويلـة مثـل الجـدران الخارجيـة للمدينـة. دخـل الأسـد الخـواف والنمـر الجوعـان بوابـة القـصر، حيـث نزلـت دورثي أولاً، ثـم سـاعدت برعـم باهـر عـلى الـنزول، في حـين قفـزت بـولي بخفـة مـن الكارتـة الملكيـة. استقبلتهم وصيفـة جميلـة بعينـين سـوداوين مثـل شـعرها، تلبـس رداء لونـه أخـضر مطـرزًا بالذهـب.



صاحت دورثي:

- أوه، العزيــزة جوليــا جمــب! أنــا ســعيدة برؤيتــك ثانيــة! لكــن أخبريــني، أيــن أوزمــا؟

ردت الوصيفة بنبرة رزينة لصديقة أوزما المقربة:

- في غرفتهــا يــا فخامتــك.. هــي ترغــب في رؤيتــك بعــد أن ترتاحــي وتغــيري ملابســك يــا أمــيرة دورثي.. كمــا تدعــوك مــع أصدقائــك للعشــاء الليلــة.

سألت دورثي:

- متى حفل عيد الميلاد يا جوليا؟

أجابت جوليا:

- بعد غد يا سمو الأميرة.

سألت دورثي:

- وأين خيال المآتة؟

أجابت جوليا:

- لقــد ذهــب إلى ريــف الموشــكين ليجلــب قشًّــا طازجًــا يحشــو بــه نفســه، عــلى شرف عيــد مــيلاد الأمــيرة أوزمــا.. وقــال إنــه ســيعود غــدًا.

وصــل تيكتــوك والحطــاب الصفيــح والمتــشرد، ولفّــت الكارتــة الملكيــة لتدخــل الحظيرة خلــف القــصر، وذهبــت بيلينــا مــع الأســد والنمــر لتطمــئن عــلى فراخهــا الصغــار بعــد غيابهــا عنهــم. أمــا دودو، فظــل قريبًــا بجانــب دورثي.

أكملت جوليا ترحيبها بعد وصول بقية الصحبة، وقالت:

- تفضلوا إذا سمحتم.. من دواعي سروري أن أرشدكم إلى الغرف المعدة لاستقبالكم في القصر!

أحس المتشرد بالخجل من منظره الرث وشعره الأشعث وسط كل هذه الفخامة، فأكدت له دورثي أنها وكل أصدقائها مرحَّب بهم في قصر أوزما بنفس القدر، فنفض المتشرد الغبار عن حذائه البالي بمنديله الممزق، ودخل مع الآخرين إلى القاعة الكبيرة في القصر.



كان تيكتوك يعيش في القصر الملكي، وغرفة الحطاب الصفيح هي نفسها التي يسكنها في كل مرة يزور أوزما، فتوجها إلى غرفتيهما فورًا ليمسحا عن جسميهما الغبار. أما دورثي فكان مخصصًا لها جناح بالكامل، ورافقتها مجموعة من الخدم في أدب رغم أنها تعرف طريقها إلى الجناح بنفسها، لكن يبدو أنها التقاليد الملكية. أخذت دورثي معها الولد الصغير برعم باهر، لأنها خشيت عليه أن يظل بمفرده في هذا القصر الكبير. وأرشدت جوليا جمب بنفسها ابنة قوس قزح إلى غرفتها، لأنها استشفّت أن بولي معتادة عيشة القصور، وتنبغي معاملتها معاملة متميزة.



الفصل التاسع عشر

الترحيب بالمتشرد

وقـف المتـشرد في قاعـة الاسـتقبال الكبـيرة، يمسـك قبعتـه القديمـة في حـيرة كبـيرة؛ مـاذا ينبغـي لـه أن يفعـل؟ فهـو لـم يكـن ضيفًـا في مـكان فخـم مثـل هـذا القـصر مـن قبـل، وربمـا لـم يكـن ضيفًـا في أي وقـت عـلى الإطـلاق. في العالـم الخارجـي الواسـع القـاسي، لـم يكـن النـاس يدعـون المتشرديـن إلى بيوتهـم، والمتـشرد في مغامرتنـا لـم يحـظ إلا بالحظائـر أو الإسـطبلات ليخلـد فيهـا إلى النـوم، بـدلاً مـن الغـرف المريحـة والأسِرّة الوثـيرة.

بعدمـا غـادر الـكل قاعـة الاسـتقبال الكبـيرة إلى غرفهـم الخاصـة، راقـب المتـشرد بحـذر خـدم الأمـيرة أوزمـا الذيـن يلبسـون زيًّـا مهندمًـا، وهـو يتوقـع أن يطـردوه في أي لحظـة. لكـن أحدهـم توجـه إليـه وانحـنى بـأدب واحـترام كأنـه أمـير، وقـال لـه:

- اسمح لي يا سيدي أن أرافقك إلى غرفتك.



أطلق المتشرد تنهيدة طويلة، واستجمع شجاعته ورد:

- حسنًا.. أنا مستعد.. هيا بنا.

خرجا من قاعة الاستقبال، وصعدا درَجًا مفروشًا بسجاد مخملي سميك، وتوقف الخادم في نهاية ممر واسع أمام باب فخم وفتحه، وقال بكل أدب:

- تفضل، على الرحب والسعة يا سيدي.. أرجوك اعتبر نفسك في بيتك، فهذه الغرفة خصصتها لك الأميرة أوزما، وما تراه هنا مخصص لاستخدامك وراحتك كما لو كان ملكك تمامًا.. ستتناول الأميرة العشاء في السابعة، وسأحضر في الميعاد لاصطحابك إلى قاعة الطعام، حيث تنال شرف مقابلة أميرتنا المحبوبة أوزما، حاكمة أرض أوز.. هل لديك أي طلبات تريد أن ألبيها لك؟

فرد المتشرد:

- لا، شكرًا.. أنا ممتن جدًّا على كل شيء.

وبعدها دخل الغرفة وأغلق على نفسه الباب.

لبعض الوقت وقف المتشرد مرتبكًا؛ لقد خصصوا له واحدة من أجمل غرف القصر الذي يعتبره من أروع القصور في العالم كله. بالتأكيد سيحتاج إلى بعض الوقت حتى يعتاد هذه الفخامة.

لفت انتباهه صحن ذهبي كبير مليء بالفواكه الطازجة، وأكثرها من التفاح الأحمر الذي يعشقه، فتقدم ليأكل تفاحة حين زالت عنه الرهبة قليلاً، وعندها لاحظ بابًا آخر في نهاية الغرفة، ففتحه فوجد نفسه في غرفة نوم أرحب مما تخيّل. كان السرير مصنوعًا من الذهب ومرصعًا بالماس. ومسح المتشرد بيده على مفرش السرير المطرز باللؤلؤ بإعجاب خاص، حتى شاهد بابًا آخر في غرفة النوم يؤدي إلى غرفة مخصصة لتبديل الملابس، بها دواليب كثيرة ممتلئة بملابس فاخرة، وخلفها توجد غرفة حمّام بها حوض كبير من الرخام الأبيض، يكفي ليغطس ويعوم فيه، وممتلئ بمياه صافية رقراقة.

طاف المتشرد في الفخامة والغِنى بصمت لبعض الوقت، ثم قرر بحكمة المتشردين أن يستغل حظه السعيد، فخلع حذاءه البالي وملابسه الرثة، ونزل في الحوض ليستحم مستمتعًا بكل قطرة ماء تتناثر منه. ثم خرج من حوض الماء وجفف نفسه بفوطة ناعمة، وتوجه إلى الدولاب واختار ملابس داخلية من الكتان، واكتشف أن كل الملابس على مقاسه بالضبط. استكشف محتويات الدولاب، واختار رداءً أنيقًا. الغريب أن تصاميم الملابس كانت على طراز المتشردين، لكنها جميلة ونظيفة وجديدة، فأحس المتشرد بارتياح لأن بإمكانه ارتداء ملابس جيدة وفي نفس الوقت تحافظ على مظهره كمتشرد.



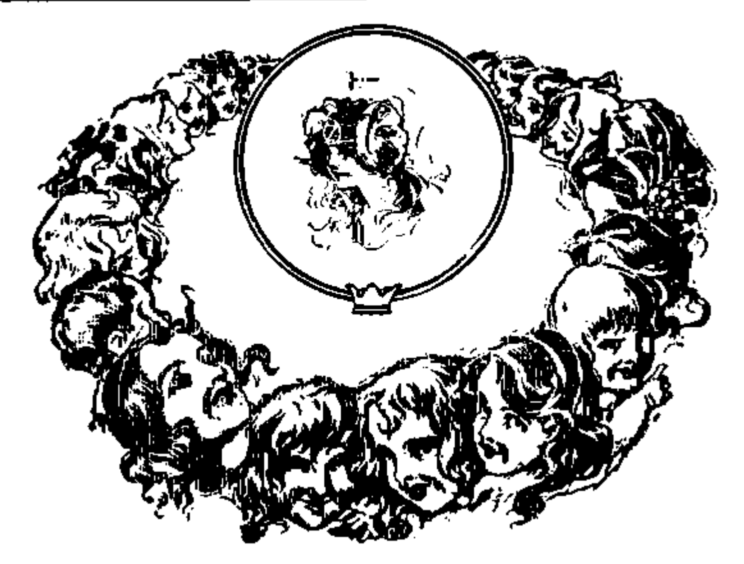
نظـر إلى نفسـه في المـرآة بإعجـاب ورضـا، ورأى عـلى التسريحـة المزخرفـة بعناقيـد مـن فضـة وورود مـن ياقـوت صندوقًـا عليـه لوحـة فضيـة مكتـوب عليهـا "صنـدوق التحـف الخـاص بالمتـشرد".

لـم يكـن الصنـدوق مغلقًـا بقفـل، ففتحـه بسـهولة، وانبهـر بالمجوهـرات الـتي تلمـع داخلـه. وبمـا أن الصنـدوق خـاص بـه، اختـار سـاعة ذهبيـة فاخـرة بسلسـلة كبـيرة، وبعـض الخواتـم الجميلـة، وبـروش مـن الياقـوت ليشـبكه في صـدر ردائـه.

صفـف المتـشرد شـعره وشـاربه الطويـل بطريقـة عكسـية، ليبـدو منكوشًـا وأشـعث بمـا يليـق بـه كمتـشرد. وعندهـا، أطلـق تنهيـدة عميقـة، وهـو يشـعر بأنـه مسـتعد الآن لمقابلـة الأمـيرة أوزمـا عـلى العشـاء في السـاعة السـابعة.

في أثنـاء هـذا، ارتـدت دورثي ثوبًـا ناعمًـا جميلاً، لونـه رماديّ، ومطـرز بالفضة. ثـم سـاعدت برعـم باهـر في ارتـداء بدلـة مـن السـاتان لونهـا أزرق وذهـبي، بـدا فيهـا مثـل مـلاك صغـير. ولـم تنـس دورثي كلبهـا دودو، فوضعـت حـول عنقـه شريطًـا أخـضر. ثـم أسرعـوا إلى قاعـة العـرش الكـبرى، حيـث رأوا الأمـيرة أوزمـا تجلـس عـلى عرشـها المصنـوع من حجـر المالكيـت الأخـضر، والمفروش بوسـائد من الساتان الأخضر، منتظرةً ضيوفها بلهفة لترحب بهم.





الفصل العشرون

أوزما أميرة أوز

المؤرخـون الملكيـون لأرض أوز مـن أفضـل الكُتّـاب، ويعرفـون الكثير من العبـارات الفخمـة والمنمّقـة، ورغـم ذلـك عجـزوا عـن وصـف جمـال الأمـيرة أوزمـا النـادر، لأنهـم مهمـا كتبـوا لـن تكـون الكلمـات عـلى قـدر جمالهـا. لـذا -بالطبـع- لـن أطمـح إلى النجـاح في وصـف مقـدار السـحر والجاذبيـة في الأمـيرة الصغـيرة، أو الفتنـة والإغـراء اللذيـن جعـلا المجوهـرات المتألقـة والفخامـة الباذخـة المحيطـة بهـا تخجـل مـن محاولـة شـد الأنظـار عنهـا، فـكل جميـل أو أنيـق أو مبهـج يخفـت بريقـه أمـام وجـه أوزمـا الخـلاب. وكثـيرًا مـا يقـول العارفـون ببواطـن الأمـور، إنـه لا يوجـد حاكـم في العالـم يأمـل الوصـول إلى رقي أخلاقهـا، وعدالـة حكمهـا.

كل شيء في أوزمـا يشـد الأنظـار، فهـي تلهـم الحـب والعواطـف النبيلـة بـدلاً مـن الرهبـة ومجـرد الإعجـاب العـادي. ولهـذا ألقـت دورثي بنفسـها عـلى الأمـيرة وحضنتهـا بحـرارة وقبلتهـا بحنـان، ودودو يـدور ويلـف حولهمـا

وينبح في سعادة. وابتسم برعم باهر ابتسامة رضا عندما جلس على وسادة وثيرة كبيرة، بالقرب من عرش الأميرة.

سألت دورثي، عندما انتهت من العناق والأحضان والقبلات:

- لماذا لم ترسلي إلي رسالة بأنك ستحتفلين بعيد ميلادك؟

سألتها أوزما وعيناها تنطقان بالبهجة:

- ألم أفعل؟



ردت دورثي محاولة أن تفكر في الأمر:

- هل فعلتِ؟

فقالت الأميرة:

- مَن تظنين خلط الطريق يا عزيزتي، فجعلك تتحركين في اتجاه أرض أوز؟

صاحت دورثي بدهشة:

- أوه، لم أتوقع أن تكوني أنتِ السبب!

ابتسمت أوزما وقالت:

- لقد شاهدتك من خلال اللوحة السحرية طوال الوقت حتى وصلتِ إلى هنا، وفكرت مرتين في استخدام الحزام السحري لإنقاذك ونقلك على الفور إلى مدينة الزمرد؛ مرة عندما قبض عليكم السكولدرز، ومرة ثانية عندما وصلتِ إلى حدود الصحراء المميتة، لكني رأيت المتشرد يساعدك بكفاءة في كل مرة، فلم أتدخل!

سألتها دورثي:

- وهل تعرفين مَن هو برعم باهر؟

ردت أوزما:

- لا، أنا لم أره من قبل إلا عندما قابلتِه في الطريق.

سألت دورثي:

- وهل أرسلتِ بولي إلينا؟

أجابت أوزما:

- لا يا عزيزتي، ابنة قوس قزح انزلقت من القوس الذي صنعه أبوها، في نفس الوقت الذي قابلتِها فيه.

قالت دورثي للأميرة أوزما:

- حسنًا، لقد وعدت الملك دوكس ملك بلدة الثعالب، والملك رفس-نهق ملك بلدة الحمير، أن أنقل إليكِ رغبتهما في حضور حفل عيد ميلادك!

ردت الأميرة:

- لقـد دعوتهمـا بالفعـل، لأني ظننـت أن سـيكون لطيفًـا أن تـردي الجميـل لهمـا.

سألها برعم باهر:

- هل دعوتِ الموسيقار؟

قالت الأميرة:

- لا، لأنه سيسبب ضوضاء شديدة تقلق راحة الضيوف.

قال الولد الصغير بجرأة:

- أنا أحب عزف الموسيقار!

فعلقت دورثي قائلة:

- أنا لم أحبه.

لكن أوزما قالت للولد الصغير:

- حسـنًا، سـيكون في الحفـل الكثـير مـن الموسـيقيين، فلـن تفتقـد الموسـيقار أبـدًا!



دخلت بولي عليهم وهي تتمايل وترقص، فقامت أوزما لتستقبل ابنة قوس قزح بأعذب وألطف ترحيب ممكن. وفكرت دورثي في أنها لم تر فتاتين في منتهى الجمال والفتنة مثل أوزما وبولي، لكن بولي علمت على الفور أن جمالها لا يُقارن بجمال أوزما، ورغم ذلك لم تشعر بالغيرة، لأنها ابنة قوس قزح ولا تشعر بشعور سيئ مثل الغيرة ولا تهتم به.

أعلن الحاجب حضور ساحر أوز، فدخل إلى قاعة العرض رجل ضئيل عجوز بملابس سوداء، عيناه تلمعان بظرافة، ووجهه بشوش، فلم ينزعج برعم باهر وبولي من الشخص العجيب المشهور بأنه أفضل ساحر محتال في العالم أجمع. وبعد تحية دورثي، وقف الساحر بتواضع خلف كرسي العرش، يستمع للحديث الحميمي بين الأصدقاء.

ثم دخل المتشرد، وكان ظهوره مذهلاً في قاعة العرش. فكل قطعة يرتديها جديدة ورائعة لدرجة أن دورثي صاحت: "واوو" وصفقت بيديها في إعجاب، وأخذت تتفحص صديقها عن قرب بعينين فرِحَتَيْن.

قال برعم باهر معلِّقًا:

- ما زال هو المتشرد!

فأومأت أوزما برأسها موافِقةً، فقد تعمدت أن تضع في دولابه ملابس من طراز المتشردين، على أن تكون جديدة وأنيقة، لكي تحافظ على طبيعته الفريدة.

قادت دورثي المتشرد إلى العرش، لأنه كان خَجِلاً، وقدمته للأميرة قائلة:

- ها هو المتشرد يا صاحبة السمو، إنه صديقي الذي يملك مغناطيس الحب!

قالت له الأميرة أوزما:

- مرحبًا بك في أوز.. لكن أخبرني، من أين حصلت على مغناطيس الحب الذي تقول إنك تمتلكه؟

احمر وجه المتشرد من الخجل، ونظر إلى الأرض وقال بصوت خفيض:

- لقد سرقته يا صاحبة السمو!

صاحت دورثي:

- أوه، أيها المتشرد، هذه فعلة قبيحة! لقد أخبرتني أن رجلاً من الإسكيمو أعطاه لك!

ارتبك المتشرد واستمر ينظر إلى الأرض في خجل وهو يقول:

- ما أخبرتك به كان كذبة يا دورثي.. لكن الآن أنا مجبر على قول الحقيقة، لأنني غطست في ينبوع الحقيقة.

سألته أوزما برأفة:

- لماذا سرقته؟

أجاب المتشرد:

- لأنني لم أجد شخصًا واحدًا يحبني أو يهتم بي.. ومن المهم لي أن يحبني الناس.. مغناطيس الحب كان مع فتاة من بلدة بترفيلد، كان يحبها كل شباب القرية، وهذا جعلهم يتشاجرون عليها، فسببوا لها التعاسة.. ولكن بعدما سرقته منها، استمر شاب واحد فقط في حبها، فتزوجته واستعادت سعادتها.

سألت أوزما:

- هل تشعر بالأسف لأنك سرقته منها؟

رد المتشرد:

- لا يا سمو الأميرة، أنا سعيد؛ شعور طيب أن يحبك الناس، ولو لم تهتم دورثي بأمري وتدلني على الطريق، لما رافقتها إلى أرض أوز المدهشة، لأقابل حاكمة أوز والأميرة المحبوبة.. الآن أنا هنا، وأتمنى أن أظل هنا.. أرجو أن تسمحي لي يا سمو الأميرة أن أكون من رعاياكِ المخلصين.

قالت له الأميرة:

ـ ولكننـا في أوز يحـب بعضنـا بعضًـا لشـخصياتنا، وبسـبب الطيبـة والمـودة الـتي يتعامـل بهـا بعضنـا مـع بعـض.

قال المتشرد:

ـ سأتخلى عن مغناطيس الحب.. سأعطيه لدورثي!

تدخل الساحر قائلاً:

ـ لكن الجميع يحب دورثي بالفعل.

فقال المتشرد:

ـ إذًا سأعطيه لبرعم باهر.

قال الولد الصغير بلا تردد:

ـ أنا لا أريده.

فقال المتشرد:

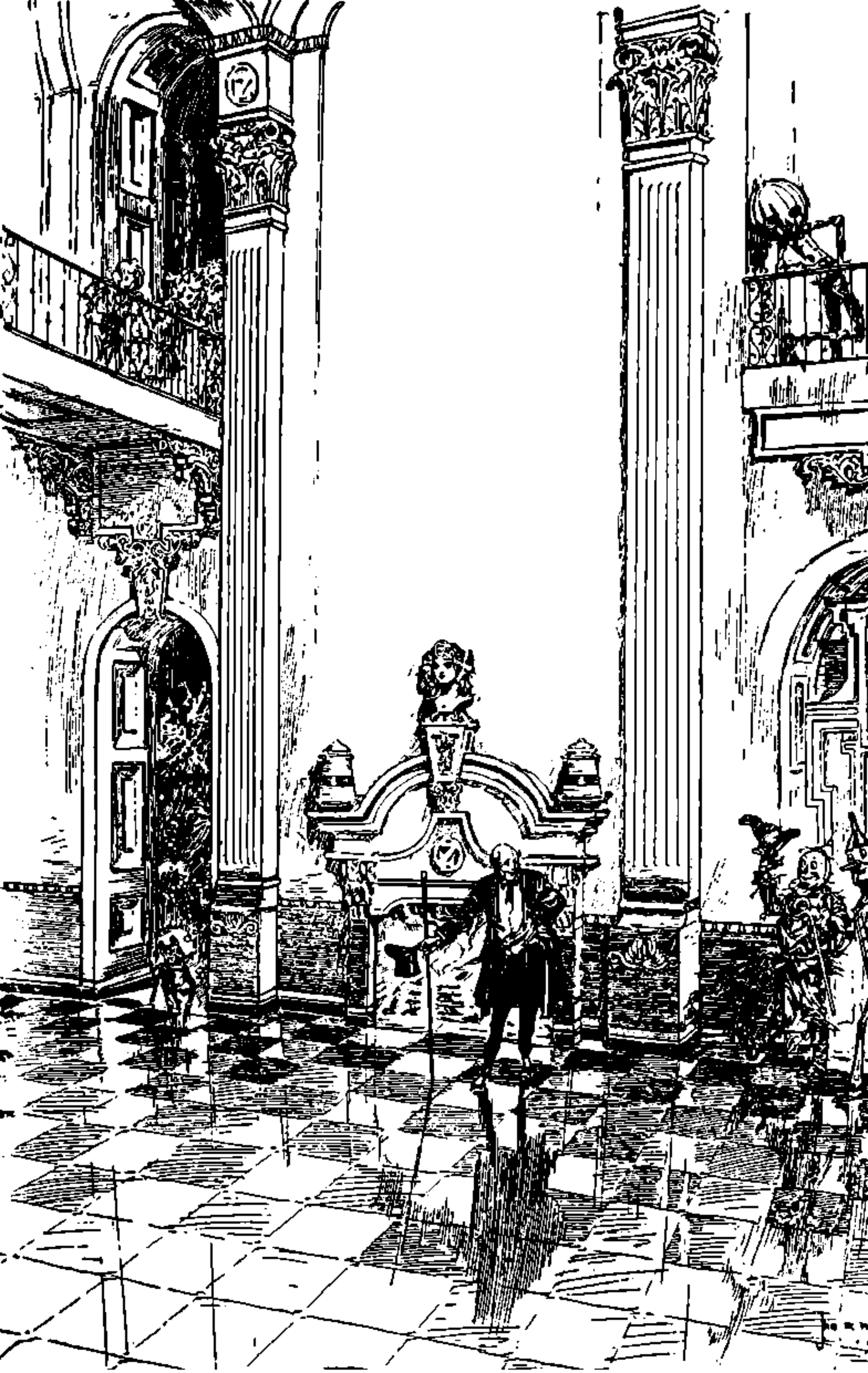
ـ إذًا سـأعطيه للسـاحر.. أنـا واثـق بـأن أميرتنـا المحبوبـة أوزمـا لا تحتـاج إليـه.

ضحكت الأميرة وقالت:

ـ كل شـعب أوز يحـب السـاحر.. إذًا سـوف نعلـق مغناطيـس الحـب عـلى بوابـة مدينـة الزمـرد، فـكل مَـن يدخـل أو يخـرج مـن مدينتنـا عـبر البوابـة، يُحِـب ويُحَـبّ.

قال المتشرد:

ـ هذه فكرة رائعة، أنا موافق عن طيب خاطر!



ذهب الحضور لتناول العشاء، ولكَ أن تتخيل مدى روعة المأدبة التي أقيمت للضيوف. وبعد العشاء طلبت أوزما من الساحر أن يقدم عرضًا سحريًّا. فأخرج ثمانية خنازير صغار من جيبه الداخلي، ووضعها على الطاولة.. واحد منها كان يلبس كالمهرجين، وقدم بعض الرقصات المضحكة، وتقافزت البقية ببراعة حول المعالق والأطباق، وتسابقت حول حواف المائدة كأنها في سباق خيول، فدخل السرور في قلوب الضيوف. لقد درّب الساحر هذه المخلوقات الأليفة على كثير من العروض البهلوانية.



كان الوقت قد تأخر حين انتهى الساحر من عروضه السحرية، فغادر الكل المائدة، متوجهًا إلى غرف النوم.

في الطريق إلى غرف النوم قالت أوزما:

- غـدًا، سـيحضر الضيـوف المدعـوون، وسـوف تتعرفـين عـلى بعـض الشـخصيات المثيرة للاهتمـام.. أنـا واثقـة يـا دورثي بأنهـم سـيجعلونك تشـعرين بالفضـول.. احتفـالات عيـد ميـلادي سـتقام عـلى الأرض الخـضراء خـارج أسـوار المدينـة عنـد البوابـات، حيـث يسـتطيع شـعب أوز الاحتفـال دون أي ازدحـام في المـرور.

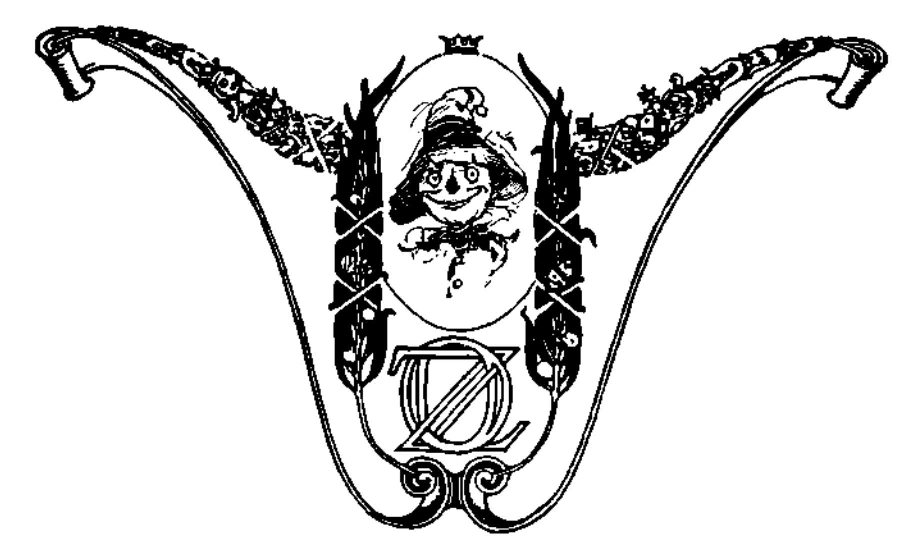
قالت دورثي بقلق:

- أتمنى أن يلحق خيال المآتة بعيد الميلاد ولا يتأخر!

ردت أوزما:

- لا تقلقـي، سيأتي غـدًا بالتأكيـد.. لقـد أراد قشًّـا جديـدًا ليحشـو بـه نفسـه، فذهـب إلى ريـف الموشـكين حيـث القـش وفـير.

ثم ودّعتها الأميرة، وتمنت لها نومًا هنيئًا، وذهب كل واحد إلى غرفة نومه.



الفصل الحادي والعشرون

دورثي تستقبل الضيوف

في الصباح، قدم الخدم الإفطار لدورثي في صالون جناحها الملكي في القصر، فأرسلت تدعو بولي والمتشرد وبرعم باهر ليشاركوها الإفطار. وهكذا تجمعت صحبة المسافرين لأرض أوز مرة ثانية عند دورثي.

بمجرد أن انتهوا من الإفطار، سمعوا عزفًا لفرقة موسيقية على آلات نحاسية، فأسرعت الصحبة إلى الشرفة وشاهدوا منها موكبًا تتقدمه فرقة موسيقية يمر في شوارع المدينة أمام بوابة القصر، وكانت الفرقة تعزف بأحسن ما تستطيع، وقد تجمعت جماهير مدينة أوز حولها على الجانبين تهتف بحرارة، حتى كادت تغطي على صوت طبول الفرقة الموسيقية.

اكتشفت دورثي أن الناس تهتف والموسيقى تعزف بسبب وصول خيال المآتة الشهير، الذي يركب بفخر على ظهر الحصان الخشبي، الذي يتبختر في شوارع المدينة بخفة كأنه من لحم ودم، وتحت أشعة

شـمس الصبـاح تلمـع حوافـره، أو بـالأدق نهايـات أقدامـه المغطـاة بلفائـف مـن الذهـب.

وصـل خيـال المآتـة إلى مدخـل القـصر، ورأى دورثي مـن الشرفـة، فلـوَّح لهـا ونـزل مـن فـوق الحصـان، وعندمـا دخـل القـصر توقفـت الفرقـة الموسـيقية عـن العـزف، وانضمـت إلى زحمـة الجماهـير.



بعدمـا انتهـى المشـهد، عـادت دورثي إلى غرفتهـا، وهنـاك وجـدت خيـال المآتـة يطـرق البـاب بيـده المبطنـة بالقـش، ففتحـت لـه واسـتغرقا في عنـاق طويـل. بعدهـا حيّـا أصدقاءهـا الجـدد؛ المتـشرد وبرعـم باهـر وبـولي، الذيـن اسـتغربوا هـذا الشـخص. فهـم يعرفـون أن لديـه شـعبية كبـيرة في أرض أوز، ولكـن الـذي صافحهـم بقفـاز أبيـض محشـو بالقـش، هـو مجـرد خيـال مآتـة.

قالت له دورثي مستفسرة:

- ماذا حدث لوجهك؟ توجد عليه ألوان جديدة!

رد خيال المآتة بفرح:

- لقد ذهبت إلى المزارع الذي صنعني في أرض الموشكين، وطلبت منه أن يرسم وجهي بألوان جديدة، لأن بشرتي صارت رمادية وباهتة، وكما تعلمين زال بعض الألوان من شفتيّ، فلم أقدر على الكلام بطريقة سليمة.. والآن أصبحت جديدًا، وأقول بلا غرور إن جسمي محشوّ بأفضل أنواع القش!

ثم خبط على صدره وأضاف:

- ألا تسمعين صوت خشخشة القش؟

ردت دورثي:

- بلى، يبدو أنه قش طازج وجيد فعلاً!

انجذب برعم باهر وبولي إلى الرجل القش، وعامله المتشرد باحترام كبير نظرًا إلى غرابة الشخصية التي يقابلها للمرة الأولى.

دخلت عليهم جوليا جمب، ونقلت إليهم رغبة الأميرة أوزما في أن تتولى الأميرة دورثي مهمة استقبال الضيوف في قاعة العرش، بما أن دورثي هي الصديقة المقربة للأميرة، لأن الحاكمة مشغولة بترتيبات حفل الغد.

وافقت دورثي عن طيب خاطر، فهي الوحيدة بعد أوزما التي تحوز لقب أميرة في مدينة الزمرد. وذهبت إلى قاعة العرش، وجلست على عرش أوزما، وجلست بولي على جانب وبرعم باهر على الجانب الآخر، ووقف خيال المآتة على يسار العرش، والحطاب الصفيح على اليمين، في حين وقف المتشرد وساحر أوز العجيب خلف العرش، ودخل النمر والأسد وجلسا أمام العرش.

وبينما هم ينتظرون الضيوف، سأل خيال المآتة الولد الصغير:

- لماذا يسمونك برعم باهر؟

فرد عليه الولد:

- معرفش.

قالت دورثي:

- بالطبع تعرف.. أخبر خيال المآتة كيف حصلت على هذا الاسم.

قال برعم باهر:

- بابا دائمًا ما يقول لي إنك باهر مثل برعم، لذلك أصبحت أمي تناديني برعم باهر.

سأله خيال المآتة:

- وأين والدتك؟

أجاب الولد:

- معرفش.

سأله رجل القش:

- وأين بيتك؟

رد الولد:

- معرفش.

تساءل خيال المآتة:

- ألا تريد العثور على والدتك ثانية؟

وظلت إجابة الولد:

- معرفش.

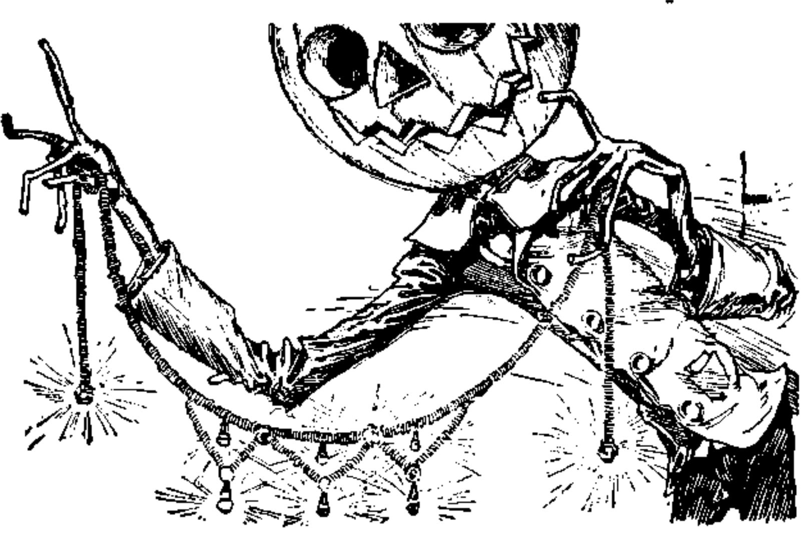
فكر خيال المآتة قليلاً، ثم قال:

- والدك قد يكون محقًّا في ما قال عنك، لكن هناك أنواعًا كثيرة من البراعم.. هل تعرف ما نوع البرعم الذي قصده والدك؟

وكالعادة أجاب برعم باهر:

- معرفش.

انتهى هذا الحوار مع وصول جاك رأس القرع، يلبس زوجين من القفازات الجلدية في يده، وقد أحضر هدية لأوزما عقدًا من حبات بذور القرع العسلي، تحمل كل بذرة قطعة من حجر الكارلوت، وهو أكثر الأحجار الكريمة جمالاً وندرة. وضع جاك العقد في صندوق مخملي صغير. أخذته منه جوليا جمب، ووضعته على المائدة بجانب الهدايا الأخرى التي وصلت إلى أوزما.



الضيف التالي، امرأة جميلة طويلة ترتدي ثوبًا رائعًا ساحرًا، مزينًا بدانتيلا رقيقة دقيقة مثل خيوط العنكبوت. إنها أهم ساحرة في أرض أوز، واسمها جليندا الطيبة، التي ساعدت دورثي وأوزما كثيرًا. يجب أن تعلم، أن سحرها حقيقي، وأيضًا يجب أن تعلم أن جليندا لطيفة ومحبوبة مثلما هي قوية. استقبلتها دورثي بمحبة وود، وقبلت جليندا برعم باهر وبولي وابتسمت للمتشرد. وبعدها قادت جوليا جمب الساحرة الطيبة

إلى أفضل أجنحة القصر، وأمرت خمسين من الخدم أن ينتظروا في الخارج لتلبية رغباتها.

الضيف الذي يليها كان الأستاذ م. ج. ووجي بق ت. ع.. وكما تعرفون، فإن "م. ج." اختصار لـ"مُكبَّر جدًّا" و"ت. ع." اختصار "تعليم عالٍ". وهو يشغل منصب البروفيسور عميد الكلية الملكية في أوز، وهديته للأميرة أوزما كانت قصيدة غنائية طويلة على شرفها، وكان يريد إلقاءها ولكن خيال المآتة لم يسمح له.

سمع الحاضرون في قاعة العرش صوت نقيق دجاجة عاليًا، ومعه صوت كورس من النقيق الطفولي يأتي من الخارج. فتح الحاجب الباب، لتدخل بيلينا ومعها عشرة فراخ صغار إلى قاعة العرش، وتوجهت الدجاجة بفخر على رأس عائلتها إلى الأمام، فنزلت دورثي عن كرسي العرش لتربت على الدجاجة الصفراء وفراخها، فوجدت أن بيلينا ما زالت تلبس عقد اللؤلؤ حول عنقها، وكل واحد من أطفالها الصغار يلبس عقدًا بسلسلة ذهبية بها قفل صغير على شكل حرف "د".

قالت بيلينا للأميرة دورثي:

- افتحي قفل السلسلة.

فتحت دورثي، فوجدت صورة لها في كل قفل. وأكملت الدجاجة الصفراء:

- لقد سميتهم باسمك يا عزيزتي، ولهذا أردت أن يرتدوا صورتك حول أعناقهم.

وصاحت في صغارها الذين تفرقوا وتجولوا في قاعة العرش الكبيرة:

- كاك كاك.. تعالوا هنا يا دورثي.

فأطاعها الصغار على الفور وتجمعوا حول قدميها، فرفرفت بجناحيها في سعادة وفخر.

لحسن الحظر، نادت بيلينا على فراخها قبلما يدخل تيكتوك بمشيته الآلية وقدميه النحاسيتين الضخمتين.

قال الرجل الميكانيكي:

- كل-ماكيناتي-مشحونة-على-ما-يرام.

فعلق الولد الصغير برعم باهر:

- أستطيع سماع تكتكة صوت الماكينات.

وعقّب الحطاب الصفيح:

- تبدو مثل رجل مهندم للغاية.. تعالَ قف بجانب المتشرد، لتساعدنا في مهمة الاستقبال.

رتبت دورثي بعض الوسائد الوثيرة في ركن بالقرب منها، لتجلس عليها بيلينا مع فراخها الصغيرة. وعادت إلى كرسي العرش عندما سمعت فرقة موسيقية خارج القاعة تعزف، إعلانًا عن قدوم زوار مرموقين ورفيعي المستوى. ولك أن تتخيل كمية التحديق والاستغراب من الحاضرين في قاعة العرش، عندما فتح الحاجب الملكي بوابة القاعة لهذه الشخصيات البارزة.

كان أولهم هو رجل كعكة الزنجبيل، المصنوع والمخبوز بعناية بلون بني فاتح، يرتدي قبعة حريرية، ويحمل عصا من الحلوى مخططة بالأحمر والأصفر، ويلبس قميصًا بسوارين طويلين أبيضين، وأزرار معطفه قطع من حلوى العرقسوس.

خلف رجل كعكة الزنجبيل، جاء طفل بشعر ناعم وعينين زرقاوين مرحتين، يرتدي بيجاما بيضاء وصندلاً بنعل جلدي على قدمين عاريتين. نظر الطفل حوله مبتسمًا ويداه في جيبي البيجاما. بعدهما مشى منتصبًا على رجليه الخلفيتين دب مطاطي كبير، عيناه سوداوان متلألئتان، وجسده بدا كأنه منفوخ بالهواء. تبع هؤلاء الزوار رجلان نحيفان وطويلان، واثنان آخران قصيران وبدينان، يلبسون كلهم ملابس فائقة الجمال.



أعلن الحاجب بصوت جهوري أسماء الزوار:

- فخامة الملك عجينة الأول، حاكم مملكة هايلاند ومملكة لولاند.. ويصحبه رئيس ديوان الملكية، المعروف باسم كتكوت الملاك.. وصديقهم المخلص بارا برين، الدب المطاطي.[1]

انحنى الضيوف المهمون عندما نطق الحاجب أسماءهم. ترددت دورثي في تقديمهم إلى الصحبة المجتمعة، فهم أول الزوار الأجانب. لكن أصدقاء الأميرة أوزما كانوا في غاية الأدب، ورحبوا بهم بمودة بالغة، لدرجة أن كتكوت الملاك صافح كل واحد، حتى الدجاجة بيلينا، فهو صريح ومرح ومعنوياته مرتفعة، لهذا فإن رئيس ديوان الملكية للملك عجينة شخصية مُفضلة لدى الجميع.

همست دورثي:

- هل هو ولد أم بنت؟

(1) هؤلاء الضيوف هم أبطال رواية أخرى كتبها فرانك باوم عام 1906 أي قبل الرواية الثالثة من سلسلة روايات عالم أوز، وكانت لها شعبية وحققت مبيعات عالية، وتحكي عن رجل عربي يخبئ إكسير الحياة عند زوجة خباز يختلط عليها الأمر وتصنع عجينة باستخدام الإكسير، ليستخدمها زوجها الخباز الذي أراد أن يحتفل بالرابع من يوليو (عيد الاستقلال الأمريكي) ويصنع أكبر كعكة زنجبيل على هيئة إنسان، وبعد خبزه تدب فيه الحياة. وعندما يعرف العربي يغضب بشدة، ولهذا يطارد جون عجينة المخبوز ليأكله ويستفيد من قدرات الإكسير. ويقوم بمغامرات ويقابل كتكوت الملاك. من طرائف هذه الرواية أن باوم أصر على عدم تحديد جنس الطفل الصغير، فلجأت دار النشر إلى حيلة، وهي مسابقة للأطفال عن تحديد جنس كتكوت الملاك، ولد أم بنت. وفاز بها طفل قدم إجابة مبتكرة؛ قال إن كتكوت الملاك يجب أن يكون بنتًا، لأنه لو كان ولدًا لما تردد في أكل كعكة الزنجبيل. وبعدما يصاحبون الدب المطاطي (له قصة أخرى مثيرة وطريفة) تؤول بهم المغامرات إلى أن يصبح جون عجينة ملكًا على جزيرة مقسمة بجدار فاصل إلى مملكتين توأمتين، إحداهما هي هايلاند Hiland وهي مملكة الأراضي المرتفعة، ومملكة لولاند Lolandوهي مملكة الأراضي المنخفضة. أما الأربعة الذين يتبعون الضيوف الثلاثة، فهم اثنان طويلان ونحيفان من مواطني مملكة هايلاند، واثنان قصيران وبدينان من مواطني مملكة لولاند. شعب المملكتين كانوا ينتظرون شخصًا ليس آدميًا ليحكمهم بعد وفاة ملكهم السابق. أما منصب رئيس ديوان الملكية الذي يشغله كتكوت الملاك، فهو منصب مبتكر في هذه الجزيرة، ومهمة صاحبه أن يحكم الحاكم. (المترجم)

رد برعم باهر:

- معرفش.

نظر الدب المطاطي إلى الصحبة المجتمعة في قاعة العرش، وقال:

- يا إلهي، يا لكم من مجموعة غريبة!

قال برعم باهر بجرأة وجدية:

- وأنتم أيضًا.. هل الملك عجينة يُؤكل؟

ضحك كتكوت الملاك وقال:

- إنه أفضل من أن يُؤكل.

فقال الملك بقليل من القلق:

- أتمنى ألا يكون بينكم شخص يحب كعكة الزنجبيل!

قال خيال المآتة بوضوح:

- نحن لا يخطر على بالنا أكل ضيوفنا، فأرجوك لا تقلق، فأنت بأمان تام في أرض أوز.

سألت الدجاجة الصفراء الطفل الصغير:

- لماذا يسمونك كتكوت؟

رد رئيس ديوان الملكية:

- لأني طفل حضّانات، ليس لدي أب أو أمّ!

قالت بيلينا بفخر:

- أبنائي لديهم أب وأمّ، وأنا أيضًا لدي أب وأمّ!

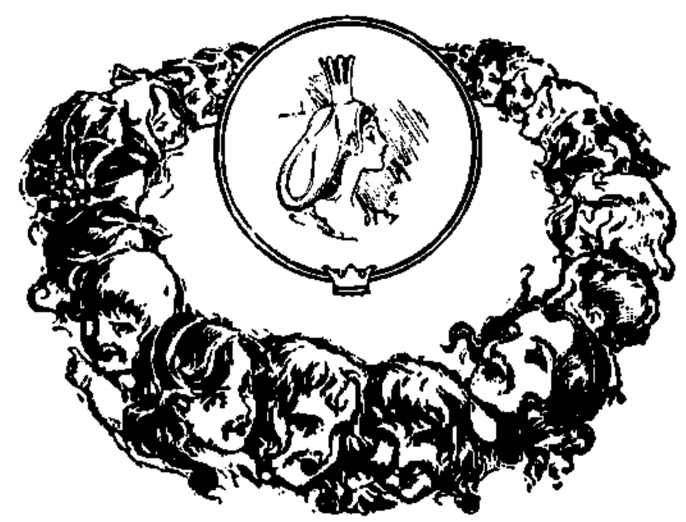
رد كتكوت الملاك:

- أنـا مشـفق عليـكِ، لأنـه سـيكون عليـكِ طـوال الوقـت أن تقلقـي عليهـم، لـو نشـأوا في الحضّانـات لمـا أثـاروا القلـق أبـدًا، لأنـه لـن يكـون لهـم أب وأمّ يقلقـان عليهـم!



قـدم الملـك عجينـة هديـة عيـد ميـلاد للأمـيرة أوزمـا، تاجًـا مـن خـبز الزنجبيـل مرصعًـا بصـف مـن اللؤلـؤ الصغـير وخمـس حبـات كبـيرة مـن اللؤلـؤ عـلى أطرافـه الخمسـة. تلقـت دورثي الهديـة شـاكرة ووضعتهـا عـلى المائـدة مـع الهدايـا الأخـرى. ثـم رافـق الحاجـب الـزوار مـن هايلانـد ولولانـد إلى غرفهـم في القـصر.

ومـا إن غـادروا القاعـة، أعلنـت الفرقـة الموسـيقية وصـول زوار آخريـن، وهـم بالطبـع ضيـوف أجانـب. فـأسرع الحاجـب لاسـتقبالهم وتقديمهـم في قاعـة العـرش.



الفصل الثاني والعشرون

شخصيات مهمة

دخلت قاعة العرش مجموعة من الريلز من وادي السعادة. إنهم عفاريت مرحة كأنهم من الجن الخرافيين. تبعتهم دستة من الكنووكس من غابة برزي، لهم شوارب طويلة وقبعات بأطراف مدببة، ولم يكونوا أطول من برعم باهر. مع هذه المخلوقات ظهر رجل مشهور ومحبوب للغاية في جميع أنحاء العالم المعروف. ركع الكل على ركبة واحدة وأحنوا رؤوسهم هيبة وإجلالاً للشخصية العظيمة، قبل أن ينطق الحاجب بصوت مليء بالرهبة:

- الصديق الأفضل والأكثر إخلاصًا للأطفال على مستوى العالم، فخامة وصاحب السمو الأعلى سانتا كلوز.[1]

(1) أول الضيوف المهمين (في هذا الفصل) هو بابا نويل Santa Claus وأتباعه من ريلز Ryls وكرونكس Knooks وهم شخصيات من رواية أخرى لفرانك باوم كتبها عام 1902 بعنوان The Life and Adventures of Santa Claus سيرة ومغامرات سانتا كلوز. باوم مثلما خلق عالم أوز، خلق غابة برزيForest of Burzee وهي غابة سحرية تعيش فيها مجموعة من أعراق الكائنات الخالدة. الرواية تقع في ثلاثة أجزاء؛ الجزء الأول يحكي كيف ربى جن الغابة

قال سانتا كلوز وهو يتبختر على طول قاعة العرش:

- أهلاً، أهلاً، أهلاً، أهلاً بكم جميعًا.. أنا سعيد بلقائكم، وفرح برؤيتكم!

كان مدوَّرًا كالتفاحة، له خدان بلون الورد، وعيناه تضحكان، ولحيته كثيفة وبيضاء كالثلج، ويرتدي عباءة حمراء تتدلى عليها جعبة كبيرة من الفرو مليئة بالهدايا للأميرة أوزما، معلقة من كتفيه إلى ظهره.

اقترب سانتا من دورثي وأمسك يديها بكلتا يديه وقال بابتهاج:

- مرحبًا دورثي.. هل ما زلتِ تستمتعين بمغامراتك؟

ردت الفتاة بخجل:

- كيف عرفت اسمي يا سانتا؟

واكتسى خداها بحمرة الخجل في حضرة القديس الخالد.

قرص سانتا خديها المتوردين بلطافة وقال:

- وكيف لا أعرفه يا عزيزتي؟ ألا أزورك كل سنة في ليلة عيد الميلاد، وتكونين غارقة في النوم؟

(وهم أبناء عمومة مع مخلوقات الريلز) كلوز الطفل البشري اليتيم. والجزء الثانية يحكي عن شبابه، وكيف أصبح صديقًا لأطفال العالم، وهزيمته لأعدائه من كائنات الأواجواس Aw-gwas. والجزء الثالث يحكي عن شيخوخته في وادي الضحك الذي يقع على حدود غابة برزي، وكيف أنعم عليه مجلس الحكماء في الغابة السحرية بالخلود ليستمر في إسعاد الأطفال للأبد. يُشار إليه في الرواية الثالثة "أوزما أميرة أوز" حين تظن دورثي أنها تقابل سانتا كلوز الذي يشبه ملك النووم الذي يتلو عليها بيت شعر قديمًا، وهو أقدم وصف لسانتا كلوز في الأدب. كلوز هو الاسم الذي أطلقه جن الغابة على الطفل البشري اليتيم الذي عثروا عليه في الغابة، ومعناه في لغتهم "الواحد الصغير" ولقب سانتا أو القديس هو اللقب الذي أنعم به مجلس الخالدين عليه في شيخوخته. هذه الرواية لا تقل شهرة وجمالاً عن سلسلة عالم أوز، حتى إنه قدم قصة قصيرة عام 1904 بعنوان خطف سانتا كلوز A Kidnapped Santa Claus تحكي كيف خطفه الأعداء ليجعلوا أطفال العالم يشعرون بالحزن.



صاحت دورثي:

- أوه، هل تفعل ذلك حقًّا؟

التفت سانتا كلوز إلى الولد الصغير وحمله كاللعبة ليقبله من خده، ثم قال له:

- وها أنت يا برعم باهر.. يا إلهي! كم أنت بعيد عن بيتك!

سألته دورثي بلهفة:

- أتعرف برعم باهر أيضًا؟

أجاب بابا نويل:

- بالطبع يا عزيزتي.. لقد زرتهم في البيت مرات عدة.

فسألته دورثي:

- وهل تعرف من هو والده؟

أجاب سانتا:

- بكل تأكيد.. من تظنين يعلق زينات عيد الميلاد ليخبرني بوجود ولد طيب في البيت، ويعلق الجوارب لأضع فيها الهدايا؟

قالت دورثي:

- إذًا أين يعيش؟ نحن نتلهف لمعرفة مكان بيته.. فأنت تعرف أن برعم باهر تائه.

ابتسم سانتا ووضع إصبعه على أنفه كأنه يفكر في الردّ، ومال على الساحر وهمس في أذنه ببضع كلمات، فابتسم الساحر وأومأ برأسه دليلاً على أنه فهم واستوعب ما همس به سانتا كلوز. والتفت بابا نويل بعدها إلى بولي ومشى نحوها بضع خطوات، ونظر إلى الفتاة الجميلة بإعجاب وقال:

- إمممم.. يبدو لي أن ابنة قوس قزح بعيدة عن بيتها جدًّا.. أبعد من أي واحد فيكم.. سأحرص على إخبار والدك بمكانك، ليأتي ويأخذك إلى البيت.

ناشدته بولي بنبرة أقرب للتوسل:

- أرجوك أخبره يا سانتا كلوز!

صاح سانتا كلوز وهو يفرغ هدايا على المائدة مع الهدايا الأخرى:

- أما الآن، فيجب أن نقضي أجمل الأوقات المرحة في عيد ميلاد أوزما.. أنتم تعرفون أنني قليلاً ما أغادر قلعتي، لكن عندما دعتني أوزما، لم أستطع أن أرفض لها طلبًا، وأتيت لأحتفل معكم بهذه المناسبة السعيدة!

هتفت دورثي بمرح:

- ونحن سعداء بتشريفك لنا!

أشار إلى العفاريت الصغيرة التي تجلس القرفصاء حوله، وقال:

- هؤلاء هم الريلز.. مهمتهم أن يلونوا الزهور والورد منذ كونها مجرد براعم صغيرة.. أحضرت هؤلاء العفاريت المرحة ليشاهدوا أرض أوز، ولكنهم للأسف تركوا فرشات الألوان في بيوتهم.

وبعدها أشار إلى كائنات محدبة الظهر وأكمل:

- أيضًا اصطحبت الكنووكس، الذين أحبهم على نحو خاص، فهم ألطف وأجمل من مظهرهم الخارجي، ومهمتهم ري الأشجار الصغيرة في غابة برزي، وهم يؤدون مهمتهم بإخلاص وكفاءة.. إنه عمل شاق كما تعلمون، وهو ما يجعل الكنووكس مقوسي الظهر كما ترون.. لكنهم يمتلكون مودة وحبًا في قلوبهم أكثر مما في قلوب أشخاص كثر يصنعون الخير في هذا العالم.

نظرت دورثي إلى هؤلاء العمال المجتهدين باهتمام وقالت:

- لقد قرأت عن الريلز والكنووكس.

التفت سانتا كلوز إلى خيال المآتة والحطاب الصفيح، وتبادل بضع كلمات معهما، وأيضًا مع المتشرد الذي كان مسرورًا بمقابلة القديس الذي يسعد كل أطفال العالم. وبعدها ذهب سانتا ليركب الحصان الخشبي ويتجول في مدينة الزمرد، وقال:

- يجب أن أستغل فرصة وجودي هنا؛ وأشاهد جميع المناظر الساحرة في المدينة.. فالأميرة أوزما وعدتني أنها ستدعني أركب الحصان الخشبي.. فكما تعلمون أنا بدين ونَفَسي قصير!

سألته بولي:

- وأين الأيائل؟

أجابها سانتا كلوز:

- تركتهم في منزلي، فالجو هنا حارٌّ عليهم في هذه المدينة المشمسة، وهم اعتادوا الجو البارد في أثناء الكريسماس، إذ نسافر بالهدايا إلى أطفال العالم.

وأسرع سانتا كلوز مغادرًا، وتبعه الريلز والكنووكس، ولم يسمعوا غير دقات أقدام الحصان الخشبي المغطاة بلفائف الذهب، على الرصيف الرخامي خارج القصر، حيث حمل الزائرَ النبيلَ في جولة حول القصر وفي المدينة.

عزفت الفرقة الموسيقية مرة ثانية لتعلن عن وصول ضيفة جديدة، قال الحاجب لقبها بصوت جهوري:

- فخامة سموها، ملكة ميريلاند.[1]

---

(1) ملكة ميريلاند، هي بطلة رواية كتبها باوم عام 1901 بعنوان Dot and Tot of Merry-land دوت وتوت في الميريلاند. وهي تحكي عن دوت ابنة الرجل الغني التي تسافر إلى الريف للاستشفاء من العيشة الخانقة في المدينة الكبيرة، وهناك تصاحب توت ابن المزارع، وعندما يركبان قاربًا ليتنزها في النهر، يجرفهما التيار إلى ميريلاند، حيث يحذرهما كلب حراسة من دخول تلك الأراضي، ولكنهما يتجاهلان تحذيره. كلب الحراسة هو رجل ضخم عينته الملكة ليمنع دخول الغرباء، لأنها تريد أن تحمي مملكتها، ولكنه لا يملك طريقة سوى التحذير



ترقب جميع من في قاعة العرش الملكة التي ستدخل عليهم الآن، فرأوا أمامهم دمية بديعة من الشمع، ترتدي ثوبًا منفوشًا ومكشكشًا ويلمع بالنجوم، حجمها قريب من حجم برعم باهر، وخداها وفمها وحاجباها مرسومة بألوان زاهية، عيناها الزرقاوان تبدوان محدقتين قليلاً، فهي مصنوعة من الزجاج، ورغم هذا فإن التعبير على وجهها ساحر للغاية. ودخل مع ملكة الميريلاند أربعة جنود من الخشب، هم حرسها الملكي.

ليمنع بها توت ودوت من الدخول. الملكة تتبنى الطفلين وتنصبهما أميرًا وأميرة لأنهما أول زوار لملكتها منذ زمن طويل، ويزوران معها الوديان السبعة للمملكة. تقع ميريلاند (التي تعني أرض البهجة) في الشمال الشرقي من أرض أوز، وتفصلها عن أرض أوز الصحراء المميتة، وتقع أيضًا أعلى جزيرة (لولاند وهايلاند) التي يحكمها الملك عجينة الأول، الضيف المهم في الفصل السابق.

أعلن الحاجب عن رجل صغير بدين، سار خلفهم وقال:

- رجل الحلوى من الميريلاند.[1]

وجذب هذا الرجل الأعين إليه على الفور، فهو مصنوع بالكامل من الحلوى، ويبدو خجولاً ومتواضعًا. يحمل علبة من الصفيح مليئة بالسكر البودرة، ينثر منه على نفسه كل فترة لكيلا يلتصق بالأشياء عندما يلمسها، فالحلوى تنصهر في هذا الجو الدافئ.

تحدثت الملكة الدمية مع دورثي بلطف ومودة، وأرسلت معها تهانيها القلبية إلى الأميرة أوزما، ثم غادرت إلى الغرفة المخصصة لإقامتها في القصر. وقبل المغادرة وضعت هديتها على المائدة وهي ملفوفة بمناديل ورقية ومربوطة بشرائط وردية وزرقاء. ولكن رجل الحلوى فضّل أن يبقى مع خيال المآتة والحطاب الصفيح وتيكتوك كي يتحدث معهم، لأنه يظن أنهم أغرب شخصيات يمكن أن يقابلها في حياته. شعر برعم باهر بالسعادة لبقاء رجل الحلوى في قاعة العرش، لأنه تفوح منه روائح النعناع والكراميل اللذيذة.

ثم دخل قاعة العرش الرجل مضفر الشعر.[2] إنه محظوظ بأن يتلقّى دعوة لحضور عيد ميلاد الأميرة أوزما. جاء قادمًا من كهف في منتصف الطريق بين وادي المخفيين وبلدة الجارجوليس، شعره وشاربه طويلان لدرجة أنه يضطر إلى تضفيره، ورغم هذا فإن الجدائل طويلة وتتدلى حتى قدميه، وكل جديلة مربوطة بعقد من شرائط ملونة.

---

(1) تتكون مملكة ميريلاند من سبعة وديان، تعيش الملكة في الوادي الرابع وهو وادي الدُمى Valley of Dolls فهي دمية من الشمع واسمها دولي dolly بمعنى دمية. أما رجل الحلوى فهو من الوادي الثاني، واسمه وادي البونبون Valley of Bonbons وفيه كل شيء مصنوع من الحلوى.

(2) قابلت دورثي الرجل مضفر الشعر في الرواية الرابعة بعنوان "دورثي والساحر في أوز"، بعدما خرجت من وادي المخفيين وصعدت الدرج داخل الجبل الهرمي إلى بلدة الجارجوليس الخشبية، والفصل العاشر في الرواية السابقة مخصص لحكايته.

قال الرجل مضفر الشعر:

- لقد أحضرت للأميرة أوزما صندوقًا من الحفيفات هدية عيد ميلادها.. أتمنى أن تعجبها، فهي من أجود الأنواع.

قالت دورثي:

- أنا واثقة بأنها ستعجبها.

كانت دورثي تذكر الرجل مضفر الشعر جيدًا، فقد حكى لها حكايته الغريبة في مغامرتها السابقة. قدمه الساحر إلى الصحبة في قاعة العرش، وأقعده على كرسي في مكان بعيد بالقاعة.

عزفت الفرقة الموسيقية للإعلان عن وصول ضيف ملكي مهم. ثم دخلت إلى قاعة العرش ملكة مملكة إيف الجميلة النبيلة، وبجانبها ابنها الملك الشاب إيفاردو، وتبعهما أفراد العائلة الملكية المكونة من خمس أميرات وأربعة أمراء.[1] مملكة إيف تقع بعد الصحراء المميتة شمال أرض أوز. في مغامرة مثيرة، أنقذت أوزما ملكة مملكة إيف وأبناءها العشرة من قبضة ملك النووم، الذي استعبدهم في سجن تحت الأرض. دورثي خاضت تلك المغامرة مع تيكتوك وبيلينا، لذلك شعر أبناء العائلة الملكية بالفرح لمقابلة فتاة كانساس الصغيرة، وكل مَن واجه ملك النووم في سبيل إنقاذهم.

لم تغادر العائلة الملكية القاعة حتى عزفت الفرقة الموسيقية إعلانًا عن وصول زائر جديد، وقد تأخر الملك الشاب إيفاردو ليضع هدية خاصة للأميرة أوزما، كانت إكليلاً من الماس.

لم يكن الضيف التالي سوى الملك رينارد الرابع، ملك بلدة الثعالب، أو الملك دوكس كما يُحب أن ينادَى. بدا مهتمًّا بملابسه المهندمة والمصنوعة من الريش، ويرتدي قفازًا أبيض على كفه ويضع وردة في عروة الجاكيت، وقد صفف شعره من عند المفرق.

---

(1) قابلت دورثي العائلة الملكية لمملكة إيف في ثاني مغامرة لها في أرض أوز، الرواية الثالثة بعنوان "أوزما أميرة أوز".

شكر الملك دوكس دورثي بحرارة على تحقيق رغبته بدعوته إلى عيد ميلاد الأميرة أوزما، فقد كان يشتاق لزيارة أرض أوز طوال حياته. ورغم ذلك، راح يتجول بخماقة في أثناء تقديمه للمشاهير المجتمعين في قاعة العرش. وحين عَرف أن دورثي أميرة في أوز، وليست فقط صديقة مقربة للأميرة أوزما، أصر الملك دوكس على الركوع عند قدميها، وبعدها تراجع مغادرًا القاعة بظهره، وهو فعل خطير، لأنه من الممكن أن يتعثر ويسقط على ظهره.

فور أن خرج ملك بلدة الثعالب من القاعة، أعلنت الفرقة الموسيقية بعزف أكثر قوة يصاحبه دق الطبول ونفير الأبواق، عن وصول الشخصيات الأكثر أهمية حتى الآن، وعلا صوت الحاجب الجهوري وقال بكل فخر:

- صاحبة السمو والفخامة، الملكة زيكسي من مملكة إيكس.. وصاحب الجلالة والعظمة، الملك باد من نولاند.. وصاحبة السمو الملكي، الأميرة فلافي.[1]

---

(1) ملكة زيكسي من مملكة إيكس، هي بطلة رواية بنفس العنوان Queen Zixi of Ix نشرها باوم عام 1905 وقد نشرها مسلسلة على صفحات الجرائد قبلها بعام بعنوان The Story of the Magic Cloak قصة العباءة السحرية، وبعدها بعام تحولت إلى فيلم صامت بعنوان The Magic Cloak of Oz وهي لا تدور في أرض أوز، ولكن الفيلم استغل اسم أوز في العنوان لشهرة السلسلة في ذلك الوقت. وأحداثها تدور بين مملكتين تقعان شمال أرض أوز، وتفصلهما عن أوز الصحراء المميتة، وتقعان بين مملكة ميريلاند ومملكة إيف. وتحكي عن عباءة سحرية يغزلها جن الغابة في غابة برزي، ويقرر الجن أن يهدوها لإنسان غير سعيد، فيقع اختيارهم على الفتاة فلافي (اسمها الحقيقي مارجريت) التي فقدت أباها في قرية صغيرة بمملكة نولاند، وتحضر عمتها لتصحبها مع أخيها باد إلى المدينة التي يتوفى ملكها. قرر الملك المتوفى في وصيته أن العابر من البوابة رقم 47 فجر اليوم التالي لوفاته سيكون الملك، وينفذ مجلس الحكماء وصيته ويكون الصبي باد أخو الفتاة فلافي هو ملك نولاند. عندما تسمع الملكة زيكسي من مملكة إيكس المجاورة لملكة نولاند أنهم يمتلكون العباءة السحرية، تحاول الاستيلاء عليها. السحر في العباءة هو تحقيق أمنية واحدة لمرتديها، ويجب أن يسلمها طواعية لشخص آخر، أما إذا سُرقت فتكون عديمة النفع. وبالفعل تنجح الملكة زيكسي في سرقتها ولا تستفيد بها. يقول باوم إن هذه الرواية هي أحب الروايات إلى قلبه، لأنها مكتوبة بالأسلوب القديم للقصص الخيالية.



الجمـال الاسـتثنائي للملكـة زيكـسي أبهـر أعـين الـكل، وخمنـت دورثي أن الملكـة تبلـغ سـتة عـشر عامًـا مـن العمـر، فهمـس لهـا السـاحر بأنهـا عاشـت مئـات مـن السـنين، ولكنهـا تعـرف كيـف تظـل نـضرة وجميلـة.[1]

ملـك مملكـة نولانـد الملـك بـاد، وأختـه الأنيقـة صاحبـة الشـعر الأشـقر الزغـبي الأمـيرة فـلافي، همـا صديقـان للملكـة زيكـسي، فممالكهـم متجـاورة، وقـد سـافروا معًـا لحضـور الاحتفـال بعيـد مـيلاد الأمـيرة أوزمـا، وأحـضروا الكثـير مـن الهدايـا المذهلـة الـتي مـلأت سـطح المائـدة المخصصـة للهدايا.

وقعـت دورثي وبـولي في حـب الأمـيرة فـلافي فـور رؤيتهـا. وكان الملـك الصغـير بـاد في سـن برعـم باهـر، مـا جعلهمـا صديقـين بسرعـة.

حـل وقـت الظهـيرة الآن، وكان عـلى الضيـوف الراحـة والتزيـن والاعتنـاء بهندامهـم، قبـل حضـور المأدبـة الفخمـة الـتي سـيقابلون الأمـيرة أوزمـا عليهـا. فقـادت جوليـا جمـب مجموعـة كبـيرة مـن الخـدم لمرافقـة الملكـة زيكـسي إلى جنـاح ملـكي فاخـر في القـصر، في حـين أسرع بـاد وفـلافي إلى غرفتيهمـا ليسـتعدا للمأدبـة الضخمـة الليلـة.

هتفت دورثي بعدما خرج الضيوف من القاعة:

- يـا إلهـي، الاحتفـال يجـب أن يكـون كبـيرًا ليناسـب كل هـؤلاء الضيـوف المهمـين.. أعتقـد أن القـصر سـيكون متخمًـا بالـزوار، ألا تظـن ذلـك يـا برعـم باهـر؟

---

(1) رغـم أن الملكـة زيكـسي حاولـت سرقـة العبـاءة السـحرية، فهـي ليسـت شـخصًا سـيئًا، فقـد كانـت تريـد تحقيـق أمنيـة غاليـة عندهـا. حافظـت الملكـة عـلى شـبابها عـن طريـق الأعـمال السـحرية، فقـد بلغـت مـن العمـر 683 عامًـا ولكنهـا تـرى نفسـها في المـرآة عجـوزًا شـمطاء قبيحـة، فمنعـت وجـود أي مـرآة في قصرهـا، وكانـت تـرى نفسـها في أعـين خادماتهـا فقـط، وظنـت أن العبـاءة السـحرية سـتحقق لهـا أمنيـة أن تـرى نفسـها جميلـة في المـرآة. بعدمـا فشـلت في الاسـتفادة مـن العبـاءة المسروقـة، تركتهـا في الغابـة. يحـدث أن تغـزو مخلوقـات شريـرة أرض نولانـد، فيفـر الملـك بـاد وأختـه فـلافي إلى الملكـة زيكـسي في المملكـة المجـاورة يطلبـان مسـاعدتها، وهنـا ينكشـف أمـر السرقـة، ويحاولـون اسـتعادة العبـاءة السـحرية، ويصبحـون أصدقـاء.

رد برعم باهر كالعادة:

- معرفش.

أكملت الفتاة:

- يجب أن نغادر إلى غرفنا، لنستعد ونرتدي ملابس جديدة لحضور المأدبة.

قال رجل الحلوى:

- أنا لا أحتاج إلى تغيير ملابسي.. كل ما أحتاج إليه هو نثر بعض السكر البودرة على نفسي.

وقال الحطاب الصفيح:

- تيكتوك دائمًا ما يرتدي نفس الزي.. وصديقي خيال المآتة أيضًا.

وصاحت بيلينا من مقعدها في ركن القاعة:

- وأنا أيضًا لا أحتاج غير ريشي الذي ألبسه دومًا.

فقالت دورثي:

- إذًا سأترككم أنتم الأربعة لتستقبلوا أي ضيوف جدد.. فأنا وبرعم باهر يجب أن نظهر بمظهر لائق في المأدبة الكبرى.



سألها خيال المآتة:

- مَن سيأتي بعد هذا؟

أجابته دورثي:

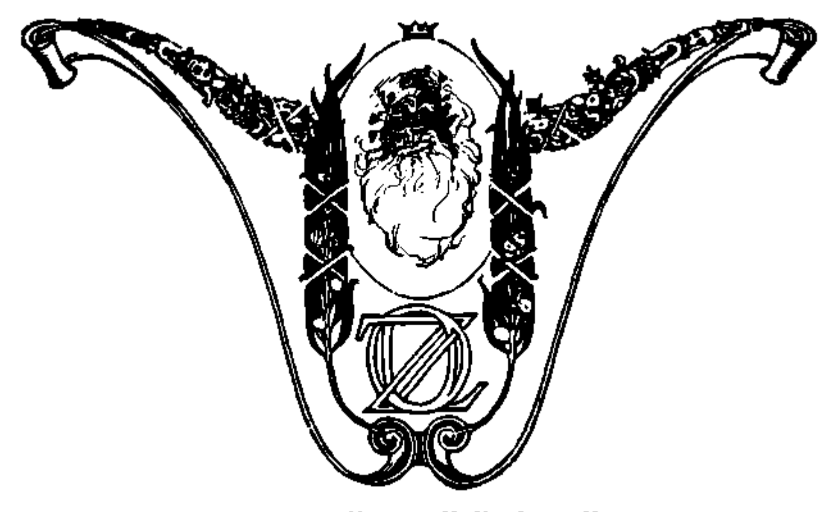
- الملك رفس-نهق من بلدة الحمير، وجوني دويت، وساحرة الشمال الطيبة[1]، لكن جوني دويت سيتأخر لأنه مشغول جدًّا.

قال لها خيال المآتة:

- اطمئني يا دورثي، سنستقبلهم استقبالاً يليق بك وبالأميرة أوزما.. اذهبي أنتِ وارتدي أجمل الثياب.



(1) من المهم أن نعرف أن ساحرة الشمال الطيبة، التي قابلت دورثي في أولى مغامراتها في أوز، وأعطتها قبلة الساحرة لتحميها من المخاطر، وأرشدتها لتحتفظ بالحذاء الذهبي، ليست هي جليندا ساحرة الجنوب الطيبة. فالفيلم السينمائي الشهير MGM musical movie 1939 يخلط بينهما. لكننا نعرف من أول مغامرة في أرض أوز أن هناك أربع ساحرات في أرض أوز؛ الأولى وأقواهن هي جليندا، والثانية هي ساحرة الشرق في الموشكين، التي وقع عليها منزل دورثي من الإعصار الذي نقلها إلى أوز، والثالثة هي ساحرة الشمال الطيبة، والرابعة هي ساحرة الغرب الشريرة التي دمرتها دورثي وأذابتها بالماء. هذا الترتيب هو ترتيبهن من حيث القدرة السحرية. في الرواية الثالثة تحكي أوزما للساحر أن ساحرة الشمال الطيبة هي التي هزمت المشعوذة مومبي، ولكن من الرواية الثانية "أوزما أميرة أوز" نعرف أن التي هزمتها هي جليندا ساحرة الجنوب الطيبة. وقد حلت تلميذة باوم التي أكملت السلسلة بعد وفاته هذا التناقض في رواية مستقلة.



الفصل الثالث والعشرون

المأدبة الكبيرة

كـم هـي رائعـة الصحبـة الـتي تجمعـت هـذا المسـاء عـلى المائـدة الملكيـة للأمـيرة أوزمـا. كانـت المائـدة طويلـة في منتصـف قاعـة الطعـام الكبـيرة بالقـصر الملـكي، ، وتحيطهـا ديكـورات رائعـة وأضـواء ومجوهـرات براقـة، هـي أجمـل مـا شـاهده الضيـوف عـلى الإطـلاق.

جلـس سـانتا كلـوز إلى رأس المائـدة، وكان عـرش الأمـيرة أوزمـا عـلى الطـرف المقابـل لـه. أمـا الملـك عجينـة الأول والملكـة زيكـسي والملـك بـاد، وملكـة مملكـة إيـف وابنهـا إيفـاردو، وملكـة مملكـة ميريلانـد، فقـد قعـدوا عـلى مقاعـد مذهبـة مميزة كالعـروش، في حـين قعـد الآخـرون عـلى مقاعـد جميلـة مزخرفـة.

كانـت في مقدمـة قاعـة الطعـام مائـدة منفصلـة للحيوانـات، جلـس دودو عـلى رأس المائـدة يلبـس مريلـة حـول عنقـه، وأمامـه طبـق فـضي ليـأكل منـه. وعـلى الطـرف الآخـر وُضـع مقعـد مخصـص للدجاجـة بيلينـا

وفراخها العشرة، وهو مزود بحواجز تمنع الصغار من الوقوع أرضًا. وتراص حول المأدبة النمر الجوعان والأسد الخواف والحصان الخشبي والدب المطاطي، وملك الثعالب وملك الحمير.



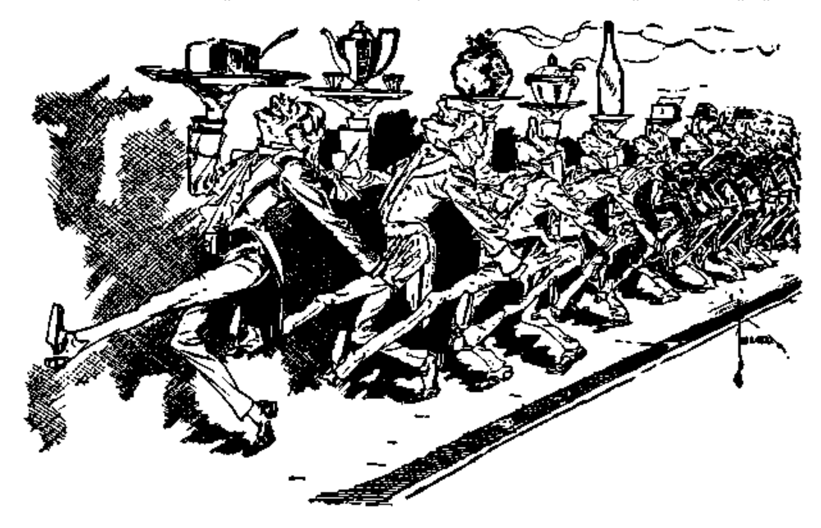
وفي مؤخرة القاعة كانت مائدة منفصلة أخرى للريلز والكنووكس الذين جاؤوا مع سانتا كلوز، والجنود الخشب الذين جاؤوا مع ملكة الميريلاند، ومواطني الهايلاند واللولاند الذين جاؤوا مع الملك عجينة الأول، إضافة إلى ضباط وجنود القصر الملكي من جيش أوزما.

أزياء الضيوف الرائعة على الموائد الثلاث، جعلت هذا المشهد لا يُنسى أبدًا. وحين استقر جميع الضيوف على مقاعدهم، عزفت أوركسترا من ألف عازف موسيقى حالمة من شرفة كبيرة تطل على قاعة الطعام.

دخلت الأميرة أوزما إلى القاعة لترحب بضيوفها بنفسها للمرة الأولى. وتابعت أعين كل الحاضرين الأميرة المحبوبة بلهفة، حتى جلست على عرشها عند رأس المائدة الرئيسة، وابتسمت لأصدقائها الجدد والقدامى بطريقة لمست قلوبهم، وردوا عليها بابتسامة ارتسمت على كل وجه ينظر إليها.



تـم تقديـم كأس كريسـتالي لـكل ضيـف مملـوء بمـشروب لاكاسـا، وهـو مـشروب مشـهور في أرض أوز ألـذ مـن الصـودا والليمونـاده. افتتـح المأدبـة خطـاب مـن سـانتا كلـوز، أفـاض فيـه بالتعبـير عـن أمـاني وتحيـات طيبـة للأمـيرة أوزمـا في عيـد ميلادهـا، ودعـا الـكل لتنـاول مـشروب لاكاسـا في تحيـة مُضيفتهـم صاحبـة هـذه المأدبـة الهائلـة، متمنيـن لهـا الصحـة والعافيـة. أمّـا الذيـن لا يشربـون مثـل الحطـاب الصفيـح وتيكتـوك قامـوا برفـع الـكأس عاليًـا بحمـاس وحـرارة مـع الـكل، وأمّـا الذيـن لا يسـتطيعون الـشرب مـن الـكأس مثـل بيلينـا فقـد مسـت شـفاههم حـواف الـكأس من بـاب المشـاركة، بعدهـا قـدم الخـدم الطعـام لـكل الضيـوف. أنـا واثـق أنـه في الأراضي الخياليـة فقـط يتـم تقديـم مأدبـة بمثـل هـذه الشـهية والطعامـة.



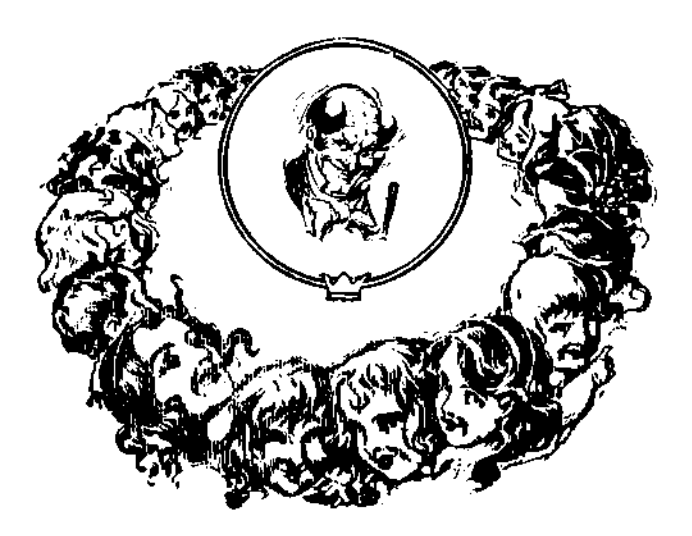
ورغـم أن بـين الحضـور مـن لا يأكلـون، مثـل خيـال المآتـة ورجـل الحلـوى والـدب المطاطـي، فإنهـم اسـتمتعوا بالصحبـة حـول المائـدة، كأنهـم تناولـوا الطعـام الشـهي.

قـرأ ووجـي بـق قصيـدة أوزمـا الـتي كتبهـا بنفسـه وحـازت إعجـاب الحضـور، وأدى السـاحر عرضًـا سـحريًّا مبهـرًا بتقديـم تورتـة كبـيرة للأمـيرة، عندمـا قطعـت منهـا بالسـكين، قفـزت منهـا تسـعة خنازيـر صغـار، أدت

رقصات مدهشة على المأدبة بين الضيوف وبين الأطباق والشوكات والملاعق. واستمرت الأوركسترا في عزف الألحان التي أمتعت الضيوف للغاية. وزادت متعتهم عندما نهضت بوليكروم، ابنة قوس قزح، وقدمت رقصة السماء الساحرة، فصفق لها الجميع بحرارة.

كان جوني دويت حاضرًا، وتناول الطعام بشهية. وغنى الحطاب الصفيح أغنية حب طويلة، واستعرض جنود مملكة ميريلاند الخشبيون مهاراتهم في التصويب ببنادقهم الخشبية. أما الريلز والكنووكس فقدموا رقصة خاصة من غابة برزي، وانتشر الضحك والمرح في كل جوانب القاعة.

استمر تقديم الحلوى والمشروبات الباردة، والحديث المرح بين الضيوف والأصدقاء، حتى وقت متأخر من المساء، ثم غادر كل واحد إلى غرفته في القصر، على وعد باللقاء في الصباح الباكر، للمشاركة في احتفالات عيد الميلاد، التي لم تكن هذه المأدبة الملكية الكبيرة إلا مجرد مقدمة لها.



الفصل الرابع والعشرون

الاحتفال بعيد الميلاد

عندما استيقظت الأميرة أوزما في صباح اليوم التالي، استقبلها يوم رائق ومحمل بنسمات الربيع والسماء الصافية والمشمسة، ليكون اليوم المثالي للاحتفال السنوي بعيد ميلادها. ورغم أن الوقت ما زال باكرًا، ازدحمت المدينة بسكانها الذين يتجهون إلى الساحة خارج المدينة، ويقابلون الحشود من كل أرجاء أرض أوز، ليشهدوا الاحتفال بعيد ميلاد الفتاة التي تحكمهم بالعدل والإحسان.

الشوارع المؤدية للقصر الملكي اكتظت بالرجال والنساء والأطفال، لمشاهدة المسيرة التي تعبر من بساتين القصر الملكي إلى مقر الاحتفالات، ويا له من موكب! تقدم الموكب ألف فتاة صغيرة، هن أجمل بنات في أرض أوز، كل منهن تلبس رداء قطنيًّا رقيقًا، عليه وشاح من الحرير الأخضر، وعلى شعورهن شرائط ملونة تطير في الهواء، ويحملن سلالاً خضراء محملة بالورد الأحمر النضر، ينثرنه على الجماهير

المحتشـدة عـلى جانـبي الطريـق، وعـلى الأرصفـة الرخاميـة كي يمـشي عليهـا الموكـب.

بعدهـا تقـدم حـكام الممالـك الأربـع لأرض أوز؛ إمبراطـور مملكـة الوينكلـز، والعاهـل الملـكي لمملكـة الموشـكني، وملـك مملكـة الجودلينـج، وصاحـب السـيادة عـلى مملكـة الجليجـان، وكل منهـم يرتـدي سلسـلة كبـيرة مـن الزمـرد حـول عنقـه، دليـلاً عـلى خضوعهـم لحاكمـة مدينـة الزمـرد.

الفرقـة الموسـيقية لمدينـة الزمـرد، الـتي يرتـدي أعضاؤهـا زيًّـا موحـدًا باللونـين الأخـضر والذهـبي، عزفـت نشـيد "أوزمـا صاحبـة السـطوة". وسـار خلفهـم الجيـش الملـكي لأرض أوز، المكـون مـن ثمانيـة وعشريـن ضابطًـا، ليـس بينهـم أي جنـود، لأنهـم لـم يحتاجـوا يومًـا إلى الدخـول في معـارك، وكل المطلـوب منهـم أن يظهـروا بمظهـر مناسـب وملائـم، والضبـاط دائمًـا مـا يظهـرون أكـثر أهميـة مـن الجنـود.

وبينمـا تلـوح الجماهـير بالمناديـل والقبعـات عاليًـا، ظهـرت الأمـيرة أوزمـا جميلـة وأنيقـة للغايـة، وقـد قـررت ألا تركـب الكارتـة الملكيـة في هـذا اليـوم، وفضلـت أن تمـشي في الموكـب عـلى قدميهـا بـين رعاياهـا المخلصين وضيوفهـا الأعـزاء.



تبـع الأمـيرةَ النمـر الجوعـان والأسـد الخـواف، وسـار خلفهـا الضيـوف المدعـوون، واسـتقبلهم شـعب أوز بتحيـات وهتافـات تليـق بهـم، وأصبـح لزامًـا عليهـم رد التحيـات بانحنـاءات لطيفـة وخفيفـة يمينًـا ويسـارًا في كل خطـوة. كان أولهـم سـانتا كلـوز، الـذي ركـب عـلى الحصـان الخشـبي نظـرًا إلى ظروفـه الصحيـة، فهـو سـمين وغـير معتـاد المـشي. وكان يحمـل سـلة بهـا ألعـاب صغيرة يلقيهـا إلى الأطفـال في طريقـه وبالقـرب منـه سـار الريلـز والكنووكـس، وبعـد القديـس العجـوز الطيـب، سـار الضيـوف الملـوك بالترتيـب؛ الملكـة زيكـسي مـن مملكـة إيكـس، والملـك عجينـة الأول وكتكـوت المـلاك ومعهـم الـدب المطاطـي المسـمى بـارا بـيرن، وملكـة مملكـة ميرلانـد يرافقهـا الجنـود الخشـبية، ثـم الملـك بـاد مـن مملكـة نولانـد وأختـه الأمـيرة فـلافي، وملكـة مملكـة إيـف وأبناؤهـا العـشر. ومـشى الرجـل مضفـر الشـعر مـع رجـل الحلـوى، وملـك بلـدة الثعالـب مـع ملـك بلـدة الحمـير رفـس-نهـق، وقـد صـارا صديقـين. وأخـيرًا جـاء وراءهـم جـوني دويـت يرتـدي مريلـة جلديـة ويدخـن غليونًـا طويـلاً.

لـم يحـظ كل هـؤلاء بهتافـات مـن شـعب أوز أقـوى مـن الهتافـات الـتي حظيـت بهـا الشـخصيات الـتي تلتهـم في الموكب، وعلى رأسـها الأمـيرة دورثي الـتي مـا زالـت هـي الأمـيرة المفضلـة لـدى شـعب أوز. كانـت تضـع ذراعهـا في ذراع خيـال المآتـة حاكمهـم السـابق، الـذي يفخـرون بـه عـلى الـدوام، وسـارت بوليكـروم ابنـة قـوس قـزح ومعهـا برعـم باهـر وراءهمـا. وجـذب المتـشرد انتبـاه الجماهـير بملابسـه الجديـدة ذات طابـع المتشرديـن، لأنـه كان بمثابـة تقليعـة جديـدة. وبخطـوات ثابتـة تقـدم الرجـل الميكانيـكي وحـاز سـاحر أوز العجيـب عـلى هتافـات تليـق بـه، ووجـي بـق وجـاك رأس القـرع جـاءا بعـده، وبعدهمـا جلينـدا وسـاحرة الشـمال الطيبـة، وأخـيرًا بيلينـا وصغارهـا العـشرة.

وانتهـى الموكـب بخـدم القـصر الملـكي، وتبعتهـم الجماهـير خـارج بوابـات مدينـة الزمـرد إلى السـهل الأخـضر الفسـيح، حيـث يوجـد سرادق ضخـم بـه مـدرج كبـير، ولـه مظلـة مصنوعـة مـن الحريـر الأخـضر، وترفـرف

فيـه رايـات مـن نسـيج الذهـب تعـد فـلا تُحـصى. وأمـام الـسرادق أقيمـت منصـة عريضـة ليتمكـن المشـاهدون مـن رؤيـة العـروض بوضـوح.

عينــت أوزمــا الســاحر ليكــون مديــر الاحتفــالات والعــروض. وبعدمــا استقر الضيـوف في المـدرج، واحتشـدت الجماهـير حـول منصـة الـسرادق، قـدم السـاحر أول العـروض بمهـارة فائقـة.. كان يلقـي كـرات زجاجيـة شـفافة في الهـواء، ويلقفهـا بدقـة واحـدة تلـو الأخـرى كالبهلـوان، دون أن تسـقط أي كـرة أرضًـا.

ثـم قـدم السـاحر الحطـاب الصفيـح، الـذي قـدم عرضًـا بهلوانيًّـا بالبلطـة بخفـة وسرعـة، فلـم يتمكـن أحـد مـن متابعـة نصلهـا اللامـع. ثـم قدمـت جليندا سـاحرة الجنـوب الطيبـة عرضًـا سـحريًّا مذهـلاً، فقـد أنبتـت شـجرة مـن الأرض وجعلتهـا تنمـو في دقائـق، ووسـط دهشـة الـكل ظهـرت براعـم وتفتـح ورد عـلى الشـجرة، والبراعـم كـبرت وأثمـرت فاكهـة اسـمها تمارونـس، بكميـات كبـيرة، لدرجـة أن الخـدم تسـلقوا الشـجرة وقطفـوا الفاكهـة ورموهـا عـلى الجماهـير، الـتي التهمتهـا فكانت ألـذ فاكهـة يذوقونها.

تسـلق الـدب بـارا بـين الشـجرة الكبـيرة وكـور نفسـه ككـرة مطاطيـة، وقفـز عـلى المنصـة، وظـل ينـط كالكـرة عـدة مـرات، فأثـار ضحـك الأطفـال. وبعدمـا انتهـى مـن النـط المضحـك، أشـارت جلينـدا بعصاهـا السـحرية فاختفـت الشـجرة. ولكـن مـا زالـت الفاكهـة بـين أيديهـم يلتهمونهـا، وطعمها ألـذ طعـم يتذوقونـه.

أمـا سـاحرة الشـمال الطيبـة فقـد حوّلـت في عرضهـا عـشرة أحجـار إلى عـشرة عصافـير، والعصافـير العـشرة إلى عـشرة خـراف، والخـراف العـشرة إلى عـشر بنـات جميـلات قدمـن رقصـة مدهشـة، وتحولـن إلى عـشر صخـور مـرة أخـرى.

وتقـدم جـوني دويـت إلى المنصـة حامـلاً صنـدوق أدواتـه، وفي دقائـق معـدودة صنـع طائـرة شراعيـة كبـيرة، وضـع فيهـا صنـدوق الأدوات وركبهـا، وطـار بهـا بعدمـا ودّع الحضـور وشـكر الأمـيرة عـلى حسـن ضيافتهـا.



ثـم جـاء آخـر العـروض، وقدّمـه سـاحر أوز العجيـب بنفسـه، واعتـبره الـكل أكـثر العـروض إدهاشًـا. لقـد اخـترع ماكينـة كبـيرة لنفـخ فقاعـات مـن الصابـون في حجـم البالونـات الكبـيرة. أخفـى السـاحر الماكينـة وحـوض رغـوة الصابـون ومضخـات الهـواء تحـت المنصـة، بحيـث يظهر منهـا الأنبـوب الذي يطلـق الفقاعـات الشـفافة فقـط. لـذا، عندمـا خرجـت الفقاعـات مـن سـطح المنصـة، كان الأمـر كالسـحر بالنسـبة إلى مواطـني أرض أوز، الذيـن لـم يكونـوا يعرفـون شـيئًا عـن لعبـة فقاعـات الصابـون الـتي يلعبهـا أطفالنـا كل يـوم!

ابتكـر السـاحر إضافـة جديـدة لتلـك اللعبـة، فالفقاقيـع تـدوم بضـع لحظـات في الهـواء في ألعـاب الأطفـال، ولكـن السـاحر أضـاف نـوع مـن الصمـغ إلى حـوض رغـوة الصابـون، ليجعـل الفقاعـات متماسـكة لعـدة سـاعات، وتطـير عاليًـا في الفضـاء دون أن تنفجـر.

بـدأ السـاحر في نفـخ بالونـات مـن الفقاقيع، بواسـطة الماكينـة ومضخات الهـواء المخفيـة، وطـارت عاليًـا للسـماء وطافـت في الهـواء، سـطعت عليهـا أشـعة الشـمس فلونتهـا بصبغـات لونيـة متداخلـة، جعلتهـا أكـثر جمـالاً، ممـا أثـار مزيـدًا مـن الإعجـاب والـسرور، حـتى بالنسـبة إلى برعـم باهـر

ودورثي والمتشرد الذين رأوا فقاقيع الصابون من قبل، لكنهم شاهدوا في هذا العرض المدهش فقاقيع كبيرة لم تكن تخطر لهم على بال، ثم ظهرت بالونة كبيرة..بالونة كبيرة من فقاعات الصابون واحتوت الفقاعات الصغيرة بداخلها، وطافت في الهواء حتى اختفت بعيدًا في السماء.

قال سانتا كلوز الذي يحب ألعاب الأطفال:

هذا عرض جميل ومبهر أيها الساحر، أعتقد أنني يمكن أن أدخل في واحدة من تلك الفقاعات الكبيرة، وتطير بي بعيدًا إلى البيت، وأرى البلاد تحتي بوضوح في سفري. صحيح لا يوجد مكان على سطح الأرض لم أزره، لكن دائمًا رحلاتي في المساء، حينما أركب الزلاجة التي تجرها الأيائل. ركوبي فقاعة مثل هذه سيكون فرصة لأشاهد تلك البلاد في وضح النهار، وستكون الرحلة سهلة وبطء لتتيح لي مشاهدات ممتعة. سأله الساحر:

- هل تعتقد أن بإمكانك توجيه الفقاعة إلى المكان الذي تريده؟

رد سانتا كلوز:

- نعم، بالطبع، أعرف من السحر ما يمكنني من ذلك! كل ما عليك هو صنع فقاعة تحتويني، وأنا واثق بأنها ستأخذني إلى البيت بأمان.

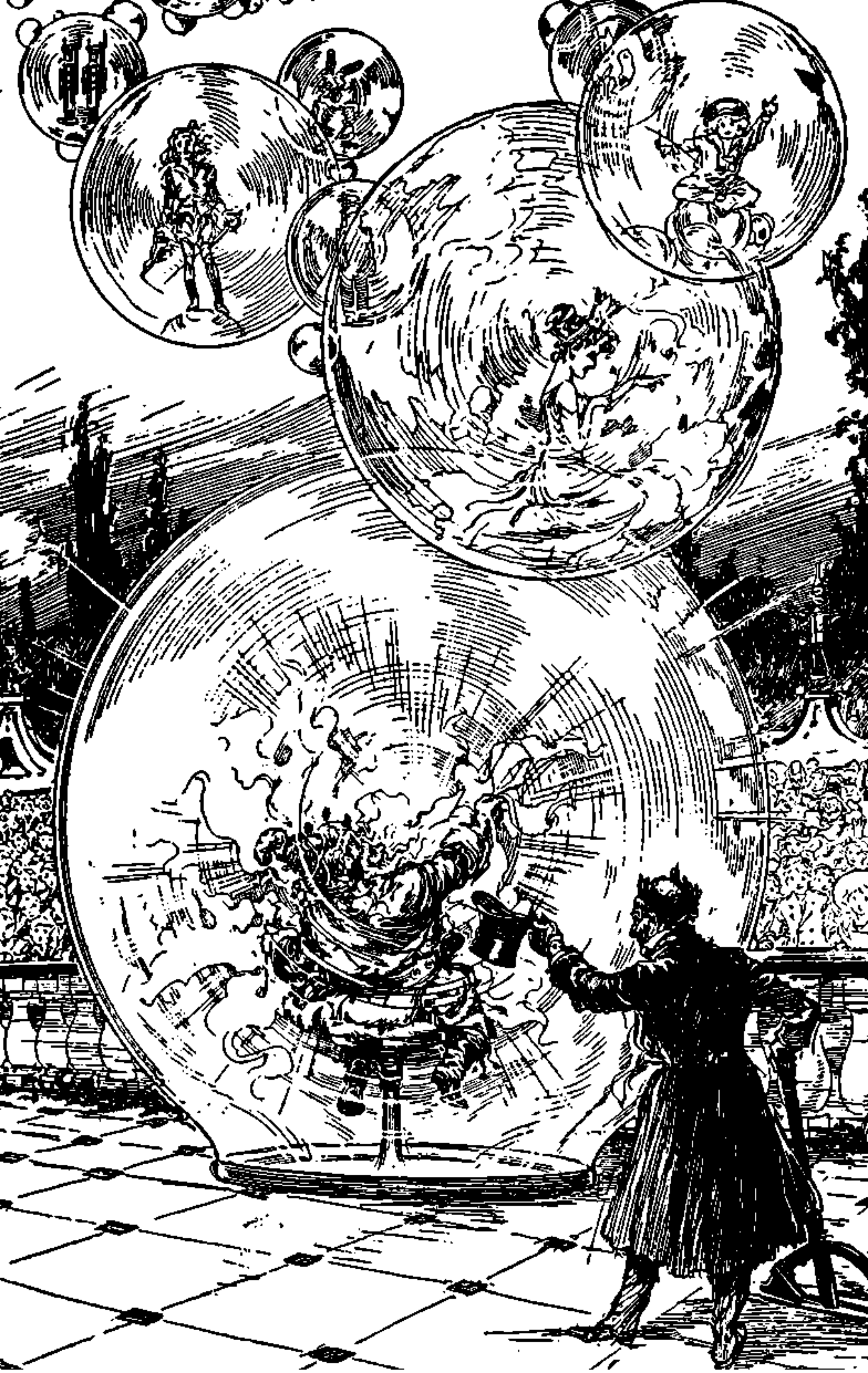
قالت ملكة ميريلاند بتوسل:

- أرجوك، أريد أن أذهب إلى البيت بواسطة فقاعة!

رد عليها سانتا كلوز بأدب:

- حسنًا أيتها الملكة.. فلتكن أول رحلة من نصيبك.

ودعت الملكة الشمعية الأميرة أوزما وبقية الصحبة الملكية، ووقفت على المنصة حتى نفخ الساحر فقاعة من الصابون المتين حولها، ودفعها دفعة رقيقة لتطفو في الهواء، حاملة الدمية الملكة بداخلها. ورآها الحضور تقف داخل الفقاعة وتلوح بيديها لتوديعهم، وترسل لهم قبلاتها. واتخذت الفقاعة الاتجاه الشرقي، وسرعان ما اختفت عن الأنظار.



قالت الأميرة فلافي:

- يا لها من طريقة لذيذة للسفر.. أنا أيضًا أريد الذهاب إلى البيت بالفقاعة!

فصنع الساحر فقاعة كبيرة حولها، وفقاعة أخرى حول أخيها الملك باد، وثالثة حول الملكة زيكسي، وسرعان ما ارتفعت الفقاعات الثلاث في الهواء، وطارت في السماء باتجاه مملكة نولاند ومملكة إيكس المجاورة لها.

تشجع ضيوف آخرون لخوض تجربة السفر بالفقاعات، فوضع الساحر كلاً منهم في فقاعة كبيرة، وتولى سانتا كلوز توجيهها إلى المكان المختار.

أخيرًا قال برعم باهر:

- أنا عاوز أروح البيت.

صاح سانتا كلوز:

- إذًا فلنحقق رغبتك.. أنا متأكد من أن والديك سيكونان سعيدين بعودتك.. أيها الساحر، من فضلك انفخ فقاعة كبيرة للولد برعم باهر، وأنا سأوجهها إلى بيته.

تنهدت دورثي التي أحبت صحبة الولد الصغير، وقالت:

- نعم، من الأفضل أن يعود إلى بيته، فأهله ولا بد قلقون عليه كثيرًا.

وقبّلت دورثي الولد الصغير، وقبّلته أوزما أيضًا، ولوحت بقية الصحبة بأيديها لتوديعه، وتمنوا له جميعًا رحلة سعيدة.

وأخيرًا سألته دورثي بحزن:

- هل أنت سعيد لأنك سوف تغادرنا يا عزيزي؟

فرد عليها برعم باهر ببساطة:

- معرفش.

ثم جلس القرفصاء على المنصة وقبعة البحّار فوق رأسه، ونفخ الساحر له فقاعة جميلة أحاطت به. وفي دقيقة واحدة صعدت الفقاعة في الهواء، وأبحرت ناحية الغرب، فقد وجهها سانتا كلوز إلى المكان الصحيح.

سألت الأميرة أوزما صديقتها دورثي:

- هل ستركبين واحدة من هذه الفقاعات، أم أرسلك إلى بيتك مع دودو بالحزام السحري؟

ردت فتاة كانساس:

- أعتقد أني أفضل الحزام.. فأنا خائفة من هذه الفقاعات!

نبح دودو "هوو-وو" دليلاً على أنه يوافق دورثي، فهو يحب مطاردة هذه الفقاعات، ولكنه لا يهتم بركوب إحداها.

قرر سانتا كلوز أن يكون هو التالي، فشكر أوزما على ضيافتها الرائعة، وتمنى لها دوام الصحة والعافية، ونفخ له الساحر فقاعة كبيرة حول جسمه البدين، وصنع فقاقيع صغيرة لكل واحد من الريلز والكنووكس. وبمجرد أن صعد صديق الأطفال اللطيف في السماء، تعالت هتافات الجماهير بأعلى الأصوات تحية له حتى اختفت فقاعته عن الأنظار.

سألت دورثي صديقتها ابنة قوس قزح:

- وماذا عنكِ يا بولي، هل تخافين من ركوب الفقاعات مثلي؟

أجابتها بابتسامة:

- لا، ولكن سانتا كلوز وعدني أنه سيتحدث مع والدي عندما يمر به في السماء، وعندئذ ستكون رحلتي إلى البيت أسهل.

وما إن أنهت الفتاة كلماتها، لمع شعاع في السماء، وببطء ظهر قوس قزح كبير استقرت نهايته على منصة المسرح. وبصيحة فرح، صفقت بولي بيديها، وقفزت من مقعدها ورقصت حتى وصلت إلى المنصة عند طرف قوس قزح، وصعدت عليه بخفة، فتمازجت الألوان حولها وتماوجت حتى صنعت سحابة ملونة تخطف الأبصار. وصدح صوت بولي من بين السحب:

- مع السلامة يا أوزما، مع السلامة يا دورثي.



وفوجئ الكل بأن بولي ذابت في القوس الملون الآتي من السماء، حتى لم تعد تراها الأعين.

وفجأة، اختفى طرف قوس قزح وتلاشت ألوانه، فتنهدت دورثي والتفتت إلى أوزما وقالت:

- أنا حزينة لذهاب بولي، لكني أعتقد أنها في مكان أفضل مع والدها.. فحتى أرض أوز لن تكون في دفء وجمال بيتها فوق السحب.

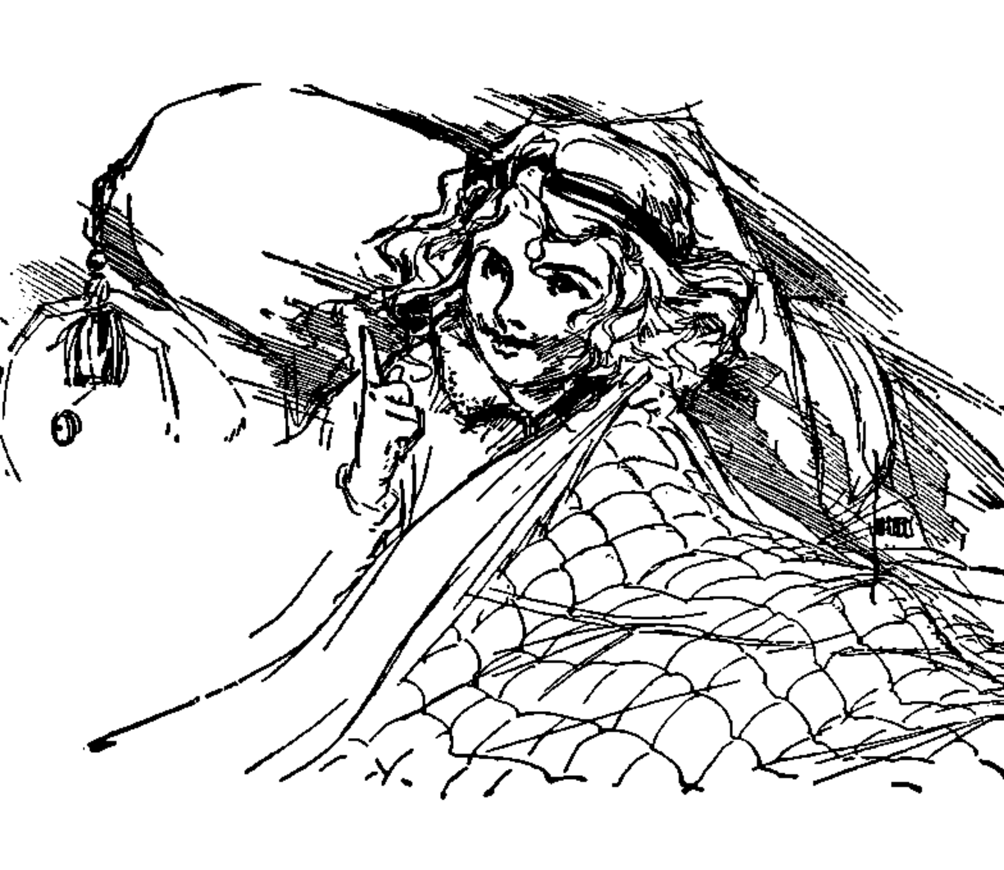
ردت الأميرة أوزما:

- بالطبع يا عزيزتي، لكننا أمضينا معها وقتًا لطيفًا.. ومَن يدري لعلنا نقابلها يومًا ما!

غادر الزوار السرادق، وتجمعوا في موكب سعيد عائدين إلى مدينة الزمرد. ومن بين رفقاء دورثي في الرحلة لم يتبق غير دودو والمتشرد. وقررت أوزما أن تسمح للمتشرد بالعيش في أوز لبعض الوقت، حتى يثبت أمانته وصدقه، وعندها ستسمح له بالعيش فيها للأبد.

بعدما عادوا إلى القصر، تناولت دورثي العشاء، وقضت وقتًا لطيفًا مع أصدقائها القدامى؛ خيال المآتة والحطاب الصفيح وتيكتوك وبيلينا. ثم ودّعت دورثي الجميع قبل ذهابها للنوم، فقد اقترحت أن تنقلها أوزما إلى البيت بواسطة الحزام السحري في أثناء نومها، فوجدت أنه من الطريف أن تفطر صباح اليوم التالي مع العمة إم والعم هنري.

كانت دورثي مسرورة وراضية من مغامرتها في أرض أوز، لكن تشعر ببعض التعب من اليوم الحافل بالمراسم. لذا، حضنت كلبها الصغير دودو، واستلقت على سرير أبيض جميل في القصر الملكي، واستغرقت في نوم هانئ.



خاتمة الرواية الخامسة

يعترف باوم في تصدير هذه الرواية بأن الرواية التالية في عالم أوز ستكون الأخيرة، وسأترك التعليق على هذا الحدث المهم إلى خاتمة الرواية المقبلة، والتي بالطبع لن تكون الأخيرة، وستتلوها سبع روايات أخرى حتى وفاته. وهذا يجعل أول ثلاث روايات مرحلة مميزة عن ثاني ثلاث روايات، كأنها ثلاثيات داخل السلسلة.

دورثي كبرت، فالمتشرد يناديها "يا آنسة" في البداية، وقد أصبحت آراؤها وردود فعلها واضحة عن الرواية السابقة، فهي تقود فعليًّا صحبتها طوال طريقهم إلى أوز. البعض يصر على أنها أصبحت متعجرفة قليلاً، فهي تنعت المتشرد ويرعم باهر بالأغبياء بعد مقابلتهما بدقائق.

وها هو الكلب دودو يظهر مرة ثانية، ولكنه لا يتكلم.. (تذكّروا أن باوم أخبرنا من قبل أنه قد يمتلك القدرة على الكلام في أرض أوز، كبقية رفقاء دورثي في رحلاتها السابقة، لكنه يختار عدم الكلام. وأيضًا يجب أن تتذكروا أنه كان السبب في ضياع دورثي داخل الإعصار، والسبب

في ضياع فرصة ركوبها مع الساحر في البالون في الرواية الأولى، لذا فهو شخصية مهمة ومؤثرة على الدوام، فلا تستهتروا بمجرد نباحه). دودو مختلف عن بقية الحيوانات في عالم أوز، فهو كلب حقيقي، الحيوان الوحيد الحقيقي، على عكس بقية الحيوانات التي تظهر شخصياتها وأفعالها، مثل الأسد الخواف والنمر الجوعان أو الدجاجة بيلينا. فكما تعرفون، كل الحيوانات تُعامل باحترام مثل البشر تمامًا ما دامت تحسن التصرف والأدب.

كما يقدم لنا باوم شخصيات مثيرة ومختلفة، مثل برعم باهر الذي لا يعرف أي شيء، ويردد دائمًا "معرفش" ولا يكشف لنا على الإطلاق أي شيء عن ماضيه، ولكني عرفت اسمه الحقيقي (ليس من هذه الرواية بالطبع) فهو سيكون بطل رواية أخرى للمؤلف، نشرها عام 1912 بعنوان جزيرة السماء Sky Island وهي ليست من سلسلة عالم أوز.

وقد تظن أن ابنة قوس قزح (بوليكروم) ليس لها دور، ولكن في الحقيقة هي بطلة مسرحية موسيقية كُتبت عام 1909 ولكن لم تتح لها فرصة للإنتاج على المسرح. ومثل زوار حفل عيد ميلاد أوزما، فهم أبطال روايات أخرى للمؤلف، وقرر في هذه الرواية أن يضم عوالمهم وممالكهم إلى عالم أرض أوز.

الملاحَظ أن باوم يقدم شخصيات مميزة في كل مرة، وهذه من أسرار براعة باوم؛ ابتكار شخصيات جديدة مؤثرة. والملاحظ أيضًا أن معظم الكُتاب الذين أكملوا السلسلة بعده، استثمروا تلك الشخصيات وصنعوا حكايات وحبكات حولها. ولكن تظل هناك بصمات مميزة خاصة بالمؤلف ليمان فرانك باوم، مثل تيمة الأكل. شخصيًا لا أعرف -حتى الآن- سر غرامه بالحديث عن الطعام وعاداته بين الحيوانات والبشر. ففي كل رواية تجد حديثًا عن الأكل والطعام، رغم أن باوم

ليس بديئًا![1] ربما لأنه وجدها تيمة مثيرة للأطفال، فهو يثبت أنه يعرف ما يحبونه أكثر من الكبار.

الكبار مثلاً أدانوا سلوك دورثي-والمؤلف- عندما رافقت متشردًا غريبًا في هذه الرحلة، ولم تحاول حتى أن تعرف اسمه. أما الأطفال فلم يجدوا غضاضة في ذلك، وردوا بكل بساطة بأنه يمتلك مغناطيس الحب، وكل مَن يقابله يحبه، لذلك اطمأنت دورثي له. كما أن برعم باهر لا يعاني من فقدان ذاكرة كما يظن الكبار، ولكنه ببساطة "معرفش"، وهو أمر يتفهمه الأطفال جيدًا. وأيضًا دورثي ليست متعجرفة إذ نعتت برعم باهر بالغبي، فهي ببساطة أساءت الحكم، وهو ما قد يفعله طفل في مثل سنها، فالولد ليس غبيًّا والمتشرد ليس شخصًا سيئًا.

ستجد تشابهات كثيرة بين هذه الرواية والرواية السابقة لها؛ نزع باوم الرعب والأخطار من رواية "دورثي والساحر في أوز" وطوّر فيها قليلاً لتصبح رواية "الطريق إلى أوز"، وبدأت ملامح أرض أوز تتضح، فهي أرض لا يموت فيها أحد إلا المجرم المدان، وفيها البشر والحيوانات سواسية بشرط أن يحسنوا الأدب BEHAVE YOURSELF! كما أصبحت جغرافية أرض أوز أكثر وضوحًا، فمثلاً لا توجد مدن غير مدينة واحدة وهي عاصمة أرض أوز.

تخلى باوم عن الطقس العنيف المتطرف الذي يرسل دورثي إلى أرض أوزٌ في كل مرة؛ ففي أول زيارة كان إعصارًا، والثانية عاصفة في البحر، والثالثة زلزالاً. وبدلاً من الخطر الذي يدفع الصحبة للتقدم في الرحلة، كان الحب الذي يحمله المتشرد. فإذا دققت النظر قليلاً تجد أن "مغناطيس الحب" ليس أداة سحرية بالضبط، ورغم أنهم يؤمنون به، فهو لم ينقذه من رأس الحمار أو شوربة السكولدرز.

استعاد باوم مزاجه الرائق في كتابة هذه الرواية، فهي تزخر بالخدع الكلامية مثل الرواية الثانية (أوزما أميرة أوز) واسمحوا لي أن أقدم

(1) أو لأنه من مواليد برج الثور!☺

اعتـذارًا عـن الهوامـش الكثـيرة (نوعًـا مـا ورغمًـا عـني) فقـد عرفـت أن باوم لا يحـب الهوامـش ولا يضمنهـا في أي مـن كتبـه، ولكـن القـارئ العـربي مختلـف عـن القـارئ الأمريـكي الـذي يعـرف تلـك الخـدع اللغويـة مـن دون شرح. بالإضافـة طبعًـا إلى تقديـم شيء عـن روايـات بـاوم الـتي زارت شـخصياتها حفـل عيـد ميـلاد الأمـيرة أوزمـا.

هنــاك مشــهد مهــم عندمــا وصلــت دورثي أرض أوز وبــدأت تقابــل أصدقائهــا القدامــى، وهــذا المشــهد يشــبه مشــهدًا في الروايــة الســابقة (دورثي والســاحر في أوز) عندمــا يقابــل أصدقــاء دورثي الجــدد أصدقاءهــا القدامى، ويحكـون قصصهـم الغريبـة بعضهـم لبعـض. ابنـة قـوس قـزح، بوليكـروم، تقـول مثلمـا قالـت بيلينـا في روايـة (أوزمـا أمـيرة أوز): "الديـك أصدقـاء في غايـة الغرابـة" فـترد عليهـا دورثي: "الغرابـة لا تهـم مـا دامـوا أصدقـاء جيديـن". وتقريبًـا رد دورثي هـو أكـثر شيء مميـز لسلسـلة روايـات عالـم أوز.

يثبـت بـاوم أن روايـات عالـم أوز ليسـت مجـرد قصـص متراصـة بعضهـا بجانـب بعـض، فمحبـو عالـم أوز سـيجادلون بأنهـا زارت بـلادًا ليسـت بهـا مشـاعر أو أحاسـيس (مملكـة النباتـات) وزارت بـلادًا ليسـت بهـا رؤيـة (وادي الأصـوات) وبـلادًا ليسـت بهـا أصـوات (أرض الجارجوليـس الخشـبية) في الروايـة السـابقة. وفي هـذه الروايـة يناقـش بـاوم زيارتهـا للبـلاد المتحـضرة وغـير المتحـضرة والهمجيـة؛ بـين بلـدة الثعالـب وبلـدة الحمير والسـكولدرز، عـلى الترتيـب، فيجعـل لمغامـرات دورثي معـنى تربويًـا.

عـن غـير قصـد، صنـع بـاوم عالمًـا أكـبر بكثـير مـن عالـم أرض أوز وأكثر رحابـة، لأنـه ربـط كل هـذه القصـص معًـا. لـم يعـد أوز مكانًـا صغـيرًا في الحكايـات الخرافيـة؛ إنـه عـلى حـدود الممالـك الأخـرى. أعتقـد أيضًـا أن بـاوم عندمـا فعـل ذلـك كان يقصـد ربـط العوالـم لينهيهـا، مثلمـا قـال في المقدمـة، ولكـن هـذا أثـار خيـال الأطفـال بكـم مـن الاحتمـالات لأحـداث قصـص تاليـة، فيصبـح بـاوم ملزمًـا باسـتثمار هـذه الاحتمـالات في مغامـرات أخـرى مسـتقبلًا، وهـو مـا فعلـه بالطبـع.

سلسلة أوز

1. ساحر أوز العجيب
2. أرض أوز المدهشة
3. أوزما أميرة أوز
4. دورثي والساحر في أوز
5. الطريق الى أوز
6. مدينة الزمرد
7. فتاة قصاقيص القماش في اوز
8. تيك توك في أوز
9. خيال المآته في أوز
10. رينكيتينك في أوز
11. أميرة أوز المفقودة
12. الحطاب الصفيح في أوز
13. سحر أرض أوز
14. جليندا ساحرة أوز



L.Frank Baum

The Road To

OZ

5

هذه ليست رواية عن مغامرة دورثى في أرض أوز ولكن عن مغامرتها للوصول لأرض أوز. الطريق الى أرض أوز هي تسجيل للزيارة الرابعة للفتاة من كانساس إلى العالم السحرى والخيالى. تخلى باوم عن الطقس العنيف المتطرف الذى يرسلها الى أرض أوز في كل مرة؛ ففي أول زيارة، كان اعصارًا في الهواء، والثانية عاصفة في البحر، والثالثة زلزالا لأعماق الارض. وبدلا من الخطر الذى يدفع الصحبة للتقدم في الرحلة، كان الحب الذى يحمله المتشرد، المعتاد على المشى والتجول في طرق العالم.
أنه عالم من إبداع الكاتب الأمريكي فرانك باوم (مايو١٨٦٥-مايو١٩١٩)، ومع كل رواية يحيكها، تبهر جميع الأعمار وتطالبه بالمزيد، فكتب أربعة عشر رواية واستكمل تلاميذ وأحفاد فرانك روايات عالم أوز. ومنذ عام ١٩٠٠ لم يتوقف العالم عن الأعجاب بها، وترجمتها في ترجمات وطبعات لا نهائية، كما انها تحولت الى المسرح والسينما.

5



مركز المحروسة


ISBN 978-977-313-814-1




الغلاف: عبد الرحمن الصواف